



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

جامعة الجزائر 2

أبو القاسم سعد الله - بوزريعة -

قسم التاريخ

عنوان الأطروحة :

المراكز التعليمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية (1246-924 هـ / 1519-1830 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر

إشراف :

أ.د/ مختار حساني

إعداد الطالبة :

عائشة بابه

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
ابراهيم سعيود	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة الجزائر
مختار حساني	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً و مقررأ	جامعة الجزائر
وهيبة قطوش	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشأ	جامعة الجزائر
توفيق دحماني	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشأ	جامعة الجزائر
ودان بوغفالة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشأ	جامعة تيارت
رقية شارف	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشأ	المدرسة العليا للأساتذة

السنة الجامعية 1445هـ-1447 هـ / 2024-2025 م



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية



جامعة الجزائر 2

أبو القاسم سعد الله - بوزريعة -

قسم التاريخ

عنوان الأطروحة :

المراكز التعليمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية
(1246-924 هـ / 1519-1830 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر

إشراف :

أ.د/ مختار حساني

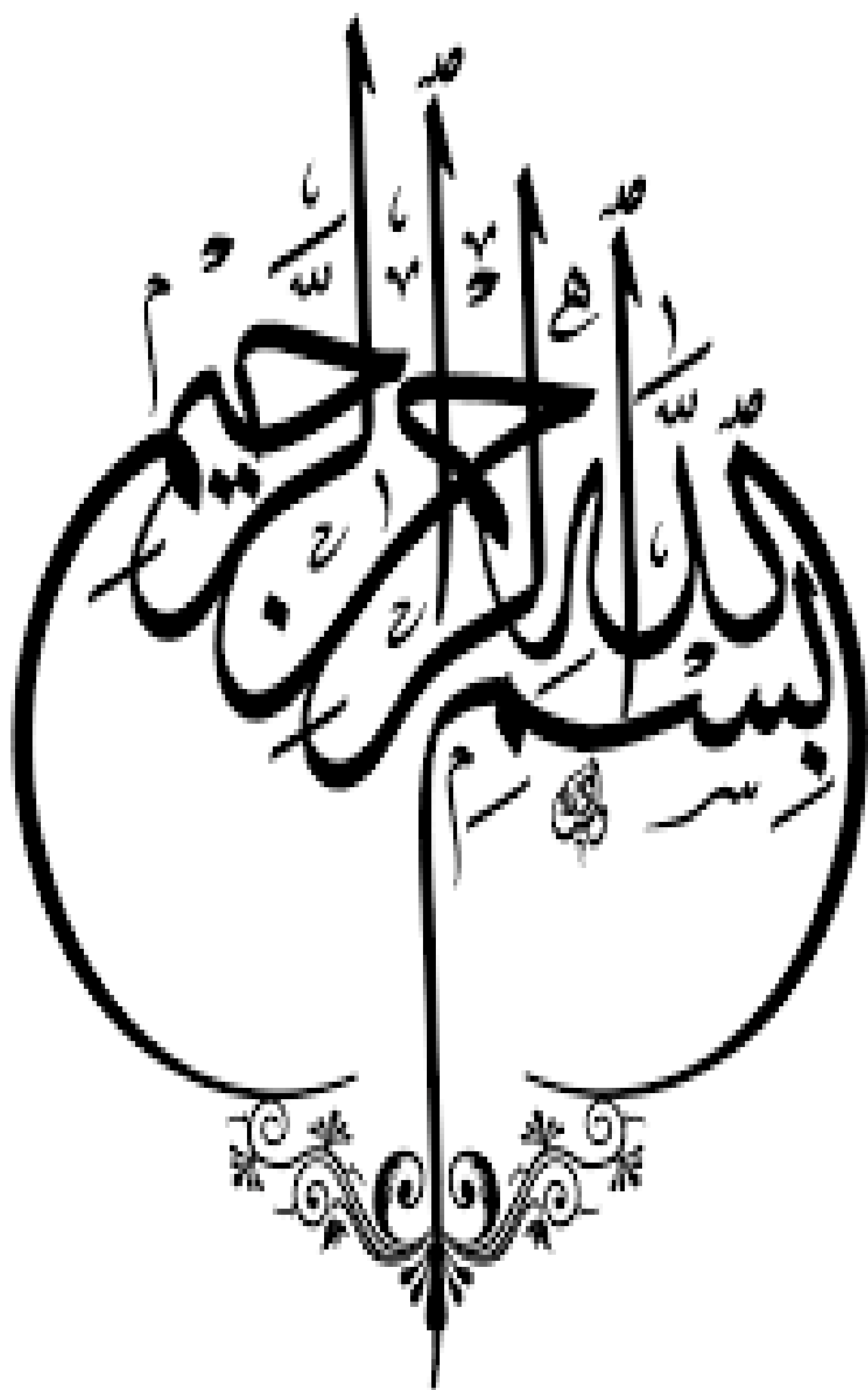
إعداد الطالبة :

عائشة بابه

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
ابراهيم سعيود	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة الجزائر
مختار حساني	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً و مقررأ	جامعة الجزائر
وهيبة قطوش	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشأ	جامعة الجزائر
توفيق دحماني	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشأ	جامعة الجزائر
ودان بوغفالة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشأ	جامعة تيارت
رقية شارف	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشأ	المدرسة العليا للأساتذة

السنة الجامعية 1445هـ-1447 هـ / 2024-2025 م



إهداء

إلى والدي رحمه الله

إلى والدي وكل عائلتي المحترمة

إلى كل من علمني حرفا في هذه الحياة

شكر و تقدير

أشكر الله عز و جل ...

وأشكر أستاذي المشرف الدكتور مختار حساني ...

كما يسرني أن أتقدم بخالص الشكر و الاعتراف بالجميل ممزوجاً بالشكر والامتنان العميق إلى

القائمين على المكتبة السليمانية بتركيا : *süleymaniye yazma eser kütüphanesi*

müdürlüğü على تكرمها بالإطلاع على بعض الوثائق المعتمدة في هذا العمل و القائمين على

مركز الأرشيف الوطني ببئر خادم وكذلك العاملين بالمكتبة الوطنية " الحامة " و المكتبة الوطنية المركزية.

و أشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إتمام هذا العمل ...

نسأل الله التوفيق والنجاح والسداد

جدول المختصرات

المختصرات باللغة الأجنبية

- T : tome.
- VOLE : voulume.
- P : page.
- N : numèro.
- èd : édition.
- O.P.U : office des publications universitaires.
- PP: pages contenue.
- IBID : ibidem.
- OP.cit : opus citatum.
- IMP : imprimerie.

المختصرات باللغة العربية

- تح: تحقيق.
- تع: تعليق.
- تق: تقديم.
- تن : تنقيح.
- تر: ترجمة.
- م: ميلادي.
- هـ: هجري.
- (د.ط): دون طبعة.
- (د.ت): دون تاريخ.
- ج: الجزء.
- ص: الصفحة.
- ط: طبعة .
- ع: العدد.
- مج: مجلد.
- د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
- م،و،ن،و: المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع.
- ص ص : صفحتان أو أكثر.
- م،و،ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- د.ك.ع.ط: دار الكتاب العربي للطباعة

مقدمة

تعد فترة الحكم العثماني بالجزائر (1519-1830م) من الفترات الفاصلة في التاريخ الإسلامي ، إذ مثلت حقبة حاسمة في تغير وتحول مجرى الأحداث التاريخية في المنطقة ، ورغم كثافة الدراسات والأبحاث التي تناولت تاريخ الجزائر الحديث، لا تزال هذه الفترة تتيح آفاقاً رحبة للبحث الأكاديمي المعمق، ما يعكس أهمية إعادة استكشاف أحداثها وتحليلها في سياقاتها المتعددة، ، فهذا المجال نال اهتمام الباحثين نظراً للتأثير الكبير للحكم العثماني الذي امتد على أوسع رقعة من مساحة الأقطار الإسلامية و لمدة زمنية طويلة، وظلت الدولة العثمانية تؤدي دوراً جوهرياً في حماية المسلمين في الفترة الحديثة باعتبارها مركزاً للخلافة الإسلامية؛ ولكونها أقوى دولة إسلامية آنذاك، مستمدين قوتهم من ولائهم للدين الإسلامي أولاً ، ثم إلى السلطان ثانياً ، ثم إلى الدولة ثالثاً . وشغلت الدولة العثمانية حيزاً هاماً في التاريخ الأوروبي المسيحي وتاريخ العالم الإسلامي : و امتدت فتوحاتها إلى ثلاث قارات : آسيا ، وأوروبا ، و إفريقيا .

وغدت الجزائر باعتبارها إيالة تابعة لها تسير على النهج العثماني و الطراز الإسلامي فانعكس ذلك على الطابع العمراني والثقافي بالجزائر و اقيمت المساجد المالكية والحنفية والمعاهد و انتشرت المدارس لتدريس علوم الشريعة وأصول الدين وما يتصل بها من دراسات إسلامية وإنشاء الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ، و على الرغم من عدم إشرافهم على المراكز التعليمية في الجزائر بشكل مباشر ، إلى أنهم ساهموا في تحييس أموالهم لصالح المؤسسات الدينية و الخيرية كأفراد و هذا ما جاء في عقود التحييس الواردة في سجلات المحاكم الشرعية وسجلات البايلك.

ويظهر لنا أن العديد من الدراسات ركزت على الجوانب السياسية والعسكرية للحكم العثماني في الجزائر، في حين أن الجانب التعليمي لم يحظَ بالبحث الكافي، مما يترك المجال مفتوحاً لمزيد من الدراسات المتعمقة حوله. فقد شكلت هذه الفترة محطة هامة في تاريخ الجزائر، واستأثرت باهتمام واسع من قبل الباحثين، نظراً لما شهدته الدراسات في الآونة الأخيرة من تركيز كبير على التعليم، لا سيما التعليم الديني، باعتباره جوهر الثقافة في ذلك العصر.

فالتعليم هو المحرك الأساسي للحركة الفكرية و العلمية إذ به تنتشر الثقافة بين أفراد المجتمع و به تتطور العلوم و تزدهر وبه أيضا يحقق المجتمع التطور التاريخي والرقى الحضاري، وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات التي تحدثت عن الجانب الثقافي لكن غمار البحث في هذا المجال مازال مفتوح ويحتاج التعمق أكثر في دراسة المؤسسات التعليمية ومناهجها والتركيز على النظرة العثمانية للثقافة المحلية وإسهاماتهم في هذا الباب وكذلك موقف الدولة العثمانية من تلك المراكز من حيث التأسيس، والتنظيم، والتمويل والإشراف، وغير ذلك؛ بحيث انحصر التعليم في تلك الفترة على العلوم الدينية كالعلوم الشرعية والأدب والعلوم النقلية، أكثر من العلوم الأخرى التي اشتهر بها العرب والمسلمون قديماً كالعلوم الطبيعية والتجريبية: كالطب، والهندسة، والرياضيات ، والصيدلة، وعلم الفلك حيث يمكن القول أنها كادت تكون

شبه منعدمة في تلك الحقبة من الزمن، وهذا ما يبرز لنا إمتزاج العلم بالدين خلال تلك الفترة ، وهي الميزة التي صبغت الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع جاءت الدراسة تحت عنوان: " المراكز التعليمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية"، والتي غطت حيز زمني يمتد من بداية ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519 إلى غاية دخول المستعمر الفرنسي 1830م وما هذه الدراسة إلا تكملة لدراسات سابقة تهدف إلى إضافة شيء جديد للمعرفة الإنسانية وتغطي جوانب يمكن قد تكون أهملت في الدراسات السابقة.

أولاً : أهمية الدراسة وأسباب اختيارها:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تعالج موضوع حساس ألا وهو التعليم و مؤسساته الذي يعد المحرك الأساسي لعجلة الحياة الفكرية و الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني ، بحيث نجحت هذه المراكز التعليمية في أداء وظائفها التعليمية والتثقيفية و تخريج جملة من العلماء و الأدباء و الفقهاء وتمكنت من نشر التعليم في المدن و القرى و الأرياف والبوادي، والجبـال من خلال مراكز التعليم: المساجد والجوامع ،والكتاتيب القرآنية والمدارس، والزوايا ...و غيرها من المؤسسات والمنشآت التي أخذت شكل الطابع الديني .

كما أن أهمية الدراسة تكمن في إظهار التفاعل بين العثمانيين والعنصر المحلي في مسألة التعليم وكيف ساهم العثمانيين كأفراد في دفع عجلة التعليم في تلك الفترة التي وصفت بعبارات قاسية كالركود والتخلف والدروشة، وجمود العقل الفكري...الخ فعلى الرغم من هذه الحقيقة المرة التي بالغت الكتابات الغربية الحاقدة على ايةالجزائر في تشويه صورتها، متجاهلةً الدور الحضاري لهذه المنطقة ، لا سيما في المجالات التعليمية والثقافية . إلا أن الأمل كان يبعث من خلال بروز جملة من العلماء الأجلاء خلال تلك الفترة ومن خلال مؤلفاتهم التي كانت ذات قيمة علمية كبيرة .

وتبرز أهمية الدراسة في إبراز صور تلاحم المجتمع الجزائري فيما بينهم وخصوصاً ما تعلق بالمؤسسات الخيرية التي خصصت عوائدها —أوقافها — لخدمة التعليم و تسهيل مهمة المراكز التعليمية التي عرفت انتشار واسع على الرغم من بساطة التعليم في تلك الفترة ، وغياب ممول رسمي يتكفل بأعباء وتكاليف المؤسسات الدينية والمدارس التعليمية.

أما بخصوص انتقائنا لهذا الموضوع جاء نتيجة مجموعة من الميول، وخصوصاً عندما كنت أطلع بالمكتبة المركزية وأتجول في أروقة المكتبة بحثاً عن بعض المجالات، شديني مقال للباحث: العيد مسعود حول حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني والدور المحوري الذي يلعبه التعليم في نهضة الأمم وتطورها. و أسباب أخرى يمكن تلخيصها في

النقاط التالية:

- ✓ الرغبة في دراسة الجانب الثقافي والتعليمي في الجزائر خلال العصر العثماني ومن خلالها تتجلى لنا صورة العلم في تلك الفترة و مقارنتها بالأزمة المتعاقبة لأن بالعلم ترتقي الشعوب وتتحضر.
- ✓ تسليط الضوء على أهم الأدوار التعليمية التي ميزت الجزائر العثمانية.
- ✓ إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة تاريخية حديثة حول المراكز التعليمية بالجزائر في العهد العثماني وموقف العثمانيين من هذه المراكز.
- ✓ رغبتنا في تقديم دراسة شاملة تغطي جميع جوانب الحياة السياسية و الاجتماعية بصفة عامة و الثقافية (التعليم و مراكزه) بصفة خاصة في الجزائر العثمانية .
- ✓ الكشف عن أسماء المعلمين و المواد المدرسة و الإجازات العلمية و المؤلفات، و المناهج التعليمية المعتمدة آنذاك.
- ✓ مصير المؤسسات التعليمية ومؤسسات الأوقاف (التي غطت تكاليف المراكز التعليمية) بعد دخول المستعمر الفرنسي سنة 1830.

ثانياً : أهداف الدراسة:

- تقوم هذه الدراسة بشكل أساسي على إبراز الأهمية التاريخية والعلمية للمراكز التعليمية في الجزائر ويمكن حصر أهداف الدراسة فيما يلي:
- ✓ تهدف الدراسة على العموم إلى الكشف عن الرصيد الحضاري و الثقافي الذي تميزت به الجزائر في العصر العثماني.
 - ✓ الكشف عن الحياة السياسية و الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال العصر العثماني.
 - ✓ الوقوف على المؤسسات التعليمية ودورها التعليمي والتثقيفي في الجزائر العثمانية .
 - ✓ كما تهدف الدراسة إلى الوقوف على مظاهر الثقافة التي كانت تميز تلك الفترة وخاصة ما تعلق بـ: تحرر التعليم من سيطرة الدولة وسيطرة الحكام العثمانيين.
 - ✓ الوقوف على مدى تدخل السلطة العثمانية في التعليم بالجزائر وإسهامات العثمانيين في هذا الجانب .
 - ✓ ظهور كوكبة من العلماء أبدعوا في عصر غلب عليه التقليد وغياب التجديد والانفتاح على ما يشهده العالم من إبداعات فكري.
 - ✓ الكشف عن مناهج التعليم المتبعة في المؤسسات التعليمية في الجزائر العثمانية.

- ✓ تهدف الدراسة إلى إبراز العوامل المؤثرة على التعليم في العصر العثماني .
- ✓ الوقوف على أوضاع التعليم ودور المعلمين في نشر العلم وأهم رحلات العلماء ومؤلفاتهم في العهد العثماني.
- ✓ الوقوف على دور الأوقاف في دعم المراكز التعليمية و إيواء الطلبة والتكفل بمصاريفهم بالجزائر خلال العهد العثماني.

ثالثاً: الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة :

المشكلة التي تعالجها الدراسة وتحاول إبرازها هي: حول طبيعة المراكز التعليمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية ومصيرها بعد سنة 1830، فهل كان للحكم العثماني تأثيرات على التعليم في الجزائر، وإلى أي مدى ساهموا في تطوير وإصلاح التعليم وإدخال نظم حديثة، أم ظل التعليم محصوراً في نطاق معين! ولم يواكب التطور الحاصل في العلوم الحديثة! . وهل تأثرت المؤسسات التعليمية بنظام الحكم العثماني . ويمكن حصر هذه التساؤلات في أسئلة فرعية كالآتي:

- كيف تأسس الحكم العثماني في الجزائر؟، وما العوامل التي أدت إلى دخول استقرار العثمانيين في المنطقة؟
- كيف كان وضع التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وما طبيعة المناهج التعليمية المعتمدة آنذاك؟
- ما مدى تدخل الدولة العثمانية في التعليم بالجزائر، وهل ساهمت في استمرارية النظام التعليمي؟
- ما هي أهم المراكز التعليمية التي تولت مسؤولية نشر التعليم في ظل غياب جهات رسمية تشرف عليه، وتتكفل بمصاريفه، ودفع أجور المعلمين، وتغطية تكاليف تعليم الطلبة؟
- ما الأدوار المختلفة التي لعبتها المؤسسات التعليمية مثل المساجد، المكتبات، الكتاتيب القرآنية، الزوايا، والأضرحة في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري؟
- ما هو دور الأوقاف ومؤسساته في دعم المراكز التعليمية وتزويدها بما تحتاجه من أجل استمرار نشاطها؟.
- كيف أثرت الظروف السياسية والاجتماعية على نظام التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وما انعكاس ذلك على المناهج وأساليب التدريس؟
- إلى أي مدى ساهم ارتباط التعليم في الجزائر العثمانية بالفقه الإسلامي، اللغة العربية، والتصوف في الحفاظ على الهوية الإسلامية و العربية؟

- كيف تساهم دراسة المؤسسات التعليمية في العهد العثماني في مقارنة مستوى التعليم قبل وبعد الاحتلال

الفرنسي، الذي سعى إلى تدمير هذا النظام؟

رابعاً: المنهج المتبع :

لقد اعتادت الدراسات في مثل هذا الصنف على توظيف مناهج ذات صلة وثيقة بالموضوع للحصول على حقائق دقيقة، وهذا ما تبناه في هذا البحث بحيث اعتمدت الدراسة على تقصي الحقائق التاريخية بإتباع المنهج التاريخي العلمي ودراسة الظواهر وفق ترتيبها الزمني لفهم تطورها. والمنهج الوصفي لتحليل هيكلية هذه المؤسسات التعليمية ، وأنواع المناهج، وأساليب التدريس، مما يساعد في تقديم صورة واضحة ومتكاملة عن طبيعة التعليم في تلك الفترة ووصف المؤسسات التعليمية محل الدراسة والتي يمكن أن يدور عليها البحث والتوصل إلى استنتاجات جديدة . والاستعانة بعدد كبير من الدراسات الحديثة التي تعرضت من قريب أو بعيد لموضوع الدراسة.

ومن خلال المنهج المقارن حاولنا تقديم تحليل دقيق للدراسة و إجراء مقارنة للمؤسسات التعليمية في الجزائر ومثيلاتها في بلدان المغرب العربي كجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس وما كان يدرس في المشرق العربي ، واستعمال المنهج المقارن في تحليل مدى انتشار التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، الذي يبرز التغيرات التي طرأت عليه بعد الاحتلال الفرنسي .

كما تم اعتماد المنهج التحليلي كونه يتماشى مع طبيعة الموضوع ، باعتباره منهجاً صالحاً لتحليل الأحداث و تقصي الحقائق التاريخية ، وتحليلها تحليلاً تاريخياً علمياً منطقياً، وموضوعياً بعيداً عن الذاتية والأحكام الفردية وفهم العوامل المؤثرة على التعليم من خلال دراسة المؤسسات التعليمية وعلاقتها بالمجتمع والنظام القائم آنذاك . ودراسة أسباب ضعف التعليم وانعزاله عن التطورات الحاصلة في أوروبا و العالم الإسلامي، وانحصار الحياة العلمية وتراجع النشاط الفكري والتعليمي، وضعف دور المؤسسات التعليمية في إنتاج المعرفة ونشرها داخل المجتمع.

خامساً: الخطة المعتمدة في الدراسة :

تم إنجاز موضوع الدراسة ضمن خطة كالتالي: مكونة من مقدمة و خمسة فصول و خاتمة:

◀ مقدمة:

احتوت المقدمة على أهم العناصر الأساسية من توطئة وجيزة ، وكذلك الأهمية العلمية للدراسة والأهداف المرجوة من البحث، والمنهج المتبع لتقصي الحقائق واستخلاص الاستنتاجات، وكذلك الإشكال المطروح والمصادر والدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث والصعوبات التي لا يخلو منها أي بحث... الخ.

وتمت مناقشة المواضيع ومعالجتها و تقسيمها إلى:

◀ فصل تمهيدي :

الذي عالج الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية بالجزائر في العهد العثماني(1519 - 1830م). و هذا الفصل جاء ليوضح بدايات الدولة العثمانية و تأسيس الحكم التركي بالجزائر لمعرفة طبيعة الحكم وانعكاسه على الحياة الثقافية ، والظروف السياسية التي مرت بها الجزائر وكيف أثرت التقسيمات الإدارية الجديدة للبلاد على الوضع الثقافي في اية الجزائر وكذا الأوضاع الاجتماعية مبيناً مدى ارتباط الوضع الثقافي في الجزائر خلال الحقبة العثمانية باختلاط العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري والذي شكل نوع من التمازج بين الثقافات المحلية و الوافدة من خارج البلاد وأبرز التحولات التي طرأت على المشهد السياسي في ظل الهيمنة العثمانية. كما تم التطرق إلى التنوع الكبير داخل المجتمع الجزائري، بفعل التفاعل بين السكان المحليين والعناصر الوافدة، مثل الأتراك، الأندلسيين ، ... مما أدى إلى ظهور نسيج اجتماعي متجانس يجمع بين مختلف الثقافات والتقاليد. و ما نتج عنها من تنشئة وتعليم .وتناول مكانة المرأة الجزائرية و مدى مشاركتها في الحياة العلمية والثقافية في المجتمع خلال العهد العثماني.

وخلص هذا الفصل بالتطرق الى الأوضاع الثقافية في الجزائر في العهد العثماني فتناولنا فيه لمحة عن الوضع الثقافي خلال القرنين الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر والمميزات الثقافية في القرون الثلاثة : السابع عشر، والثامن عشر ، والتاسع عشر ، و العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية.

◀ الفصل الأول :

فقد جاء الفصل تحت عنوان: المنشآت التعليمية الدينية ودورها في الجزائر خلال العهد العثماني وتم التطرق فيه إلى : المبحث الأول: الكتاتيب القرآنية بالجزائر في العصر العثماني: تطرقنا الى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكتاب. وإسهامات السلطة العثمانية بالجزائر في ترسيخ منظومة الكتاتيب القرآنية و دور الكتاتيب القرآنية التعليمي والتثقيفي بالجزائر في العصر العثماني. أما المبحث الثاني: المسجد بالجزائر في العصر العثماني: مفهوم المسجد لغة واصطلاحاً و إسهامات العثمانيين في بناء المساجد و تطويرها. أهم المساجد بالجزائر في العهد العثماني و دور المسجد التعليمي و التثقيفي في العهد العثماني بالجزائر. أما المبحث الثالث: الزوايا و الأضرحة والرباطات بالجزائر في العصر العثماني: عالج العناصر التالية : الزوايا والأضرحة والرباطات: المفاهيم والنشأة ودورها التعليمي ،المفاهيم وأهم الزوايا والرباطات و الأضرحة في الجزائر في العهد العثماني ، إسهامات السلطة العثمانية في إنشاءها و تنظيمها ،الدور التاريخي للزوايا والأضرحة و الرباطات. اما المبحث الرابع فدرس: المعمرات في العهد العثماني: مفهوم المعمرات لغة واصطلاحاً ،أنواع المعمرات بالجزائر في العهد العثماني ،دور السلطة العثمانية في إنشاء المعمرات.

◀ الفصل الثاني:

وقد خصصناه لـ: المباني التعليمية و التثقيفية في الجزائر خلال العهد العثماني و تناولنا في المبحث الأول : المدارس في الجزائر خلال العهد العثماني: مفهومها، أنواعها، ودورها التعليمي تعريف المدارس لغة واصطلاحاً ،دور العثمانيين في تأسيس المدارس بالجزائر ،أنواع المدارس في الجزائر العثمانية ،أهم المدارس الجزائرية في العهد العثماني. أما المبحث الثاني : المكتبات في الجزائر خلال العهد العثماني: نشأتها ودورها العلمي: مفهوم المكتبات لغة و اصطلاحاً ،و دور المكتبات وأثرها في حركة التعليم في اية الجزائر ،اهتمام السلطة العثمانية بالمكتبات ،أنواع المكتبات وأهمها بالجزائر في العهد العثماني ، وقد ورد في المبحث الثالث: الأندية المنزلية بالجزائر في العهد العثماني :مفهوم الأندية المنزلية لغة و اصطلاحاً ، دور الأندية المنزلية بالجزائر في الحياة التعليمية خلال العهد العثماني.

◀ الفصل الثالث :

فتناولنا فيه: **واقع التعليم بالجزائر في العهد العثماني (1519-1830م)** وتطرقنا فيه المبحث الأول: السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني وعالجنا أوضاع التعليم بالجزائر في العهد العثماني : تدخل السلطة العثمانية في شؤون التعليم بالجزائر. المعلمون في العهد العثماني بالجزائر التلاميذ بالجزائر خلال العصر العثماني. أما المبحث الثاني: المناهج التعليمية بالجزائر في العهد العثماني من خلال دراسة :مناهج التعليم الابتدائي بالجزائر في العهد العثماني ، مناهج التعليم الثانوي بالجزائر في العهد العثماني، المواد التعليمية بالجزائر في العهد العثماني ،و تطرقنا في المبحث الثالث: حوافز التعليم وأهدافه بالجزائر في العهد العثماني.

◀ الفصل الرابع :

ورد تحت عنوان : **المؤسسات التعليمية بالجزائر العثمانية من خلال : (العلماء /الرحلات العلمية /الأوقاف).** وجاء المبحث الأول معنون بـ: مكانة العلماء ووظائفهم بالجزائر في العصر العثماني: مكانة العلماء بالجزائر وأهم العلماء البارزين ووظائفهم .والمبحث الثاني: الرحلات العلمية بين الجزائر وغيرها من البلدان في الفترة العثمانية : مفهوم الرحلة العلمية ، وظائف العلماء بالجزائر في العهد العثماني، أهداف ودوافع الرحلات العلمية في العهد العثماني. أشهر الرحلات العلمية في العهد العثماني. والمبحث الثالث: دور الأوقاف في دعم المؤسسات التعليمية بالجزائر في العهد العثماني، وتم التطرق الى :مفهوم الوقف لغة واصطلاحاً. أنواع الأوقاف في العهد العثماني ،وأهم المؤسسات الوقفية في الجزائر في العهد العثماني ،ودور الوقف في دعم الحياة التعليمية في الجزائر العثمانية .

◀ الخاتمة : تتضمن عرضاً موجزاً لأهم النتائج والاستنتاجات المستخلصة مما تمت

مناقشته في الفصول السابقة.

◀ الملاحق : الخرائط و الصور التوضيحية والوثائق.

◀ البibliوغرافيا : وتشمل قائمة مراجع و مصادر الدراسة .

◀ الفهارس : مثل : فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن و البلدان ،وأخيراً فهرس

مخصص للموضوعات .

◀ الملخص : باللغتين العربية و الفرنسية والإنجليزية .

سادساً: الدراسات السابقة:

أثناء إنجازي هذا العمل، لفت انتباهي الكم الهائل من الكتابات الغربية و خصوصاً الفرنسية منها، حول تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية من "1519-1830" مقابل قلة الكتب باللغة العربية التي لا تستطيع أن تزاخم التأليف الأوروبية الخاصة بالجزائر في العصر العثماني ، إلا إذا استثنينا بعض المؤرخين والمختصين، وهذه المصادر الأجنبية غزيرة تستحق الاهتمام و الدراسة والتمحيص غطت الفترة الممتدة من القرن 16 إلى القرن 19 من خلال الكتب و الرحلات و مذكرات القناصل ومدونات التجار: مثل ما كتبه :

جون فونتير دو بارداي "John michel venture de paradis" الجزائر في القرن الثامن عشر ، و جواو كارفالو ماسكارينهاس وكتابه : " أسير في الجزائر-esclave à Alger" وتوماس هيز : " journal d'un voyage à alger 1675-1676" و وليام شالر "مذكرات قنصل أمريكا.." ، وليام سبنسر : " الجزائر في عهد رياس البحر " ، كورين شوفالييه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ... ، بوتي دو لاكروا ومذكرته حول مدينة الجزائر، وتوماس شاو thomas shaw ورحلته الى الجزائر ، جوون وولف : " الجزائر و أوروبا "... و ديقو دو هايدوا، وألبير ديفولكس... وغيرهم كثير فسادت النظرة الغربية الحاقدة على الإسلام والدولة العثمانية وتعرضت الجزائر خلالها للعديد من الهجمات ووصفت بأنها كانت تعيش فترة انحطاط في مختلف المجالات: السياسة والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية خلال الحقبة العثمانية.

حيث عبر عن ذلك المستشرق الفرنسي بوتي دولاكروا ورحلته إلى الجزائر سنة 1695 في العهد العثماني ، فسجل الكثير من المعلومات والمعارف وخاصة في الجانب الثقافي وحكم على المغرب بصفة عامة أنهم جهلة وليس لهم ذوق في العلم والفن، وكذلك أوجين فايسات "له كتاب تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي " الذي أشار أن الوضع المتدهور في الجانب التعليمي كان بسبب الأتراك الجهلة.

وربما هذه الدراسات الغربية جاءت لتجريح في أضخم دولة إسلامية مترامية الأطراف شملت : أوروبا وآسيا وإفريقيا وتقزيم دور المسلم الجزائري وكذلك لخدمة الدول الاستعمارية الكبرى ومخططاتها فيما بعد، وخصوصاً فرنسا التي احتلت الجزائر في سنة 1830 ، كما أن تلك الكتابات الفرنسية اهتمت فقط بدراسة وثائق قناصلهم ومصالح بلادهم على سواحل الجزائر

وكذا الحروب التي دارت بينهم وبين غزاة الجزائر ودراسة العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين الجزائر والدول الأوروبية ومواقف الجزائر من الأسرى المسيحيين، أما فيما يتعلق بالحياة الثقافية أثناء تلك الفترة فلم تشمل اهتماماتهم إلا ما تعلق باللهجات وأصول السكان، وكل ما كتب عن تاريخ الجزائر الثقافي أخذ عن العلوم المساعدة لعلم التاريخ (كالرحلات والتراجم).

ومن أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها نذكر على سبيل المثال لا الحصر : سجلات المحاكم الشرعية بالأرشفيف الوطني الجزائري بئر خادم و هي عبارة عن وثائق في علب مرقمة، تشمل وثائق البيع والشراء و عقود الأوقاف المحبسة على المنشآت الدينية: كالمساجد والزوايا ... وأحكام قضائية وكذلك الأملاك العقارية الموقوفة لصالح الخير من دور وبساتين ودكاكين ... بمدينة الجزائر وضواحيها، وكذا سجلات بيت المال والبايلك ، فتعرفنا على السجلات الإدارية المتعلقة بالفترة العثمانية مكتوبة باللغتين العربية والعثمانية ، والأوقاف الخاصة بالمؤسسات التعليمية والدينية والتي شملت الزوايا و الكتاتيب القرآنية...والمساجد : كمسجد الكبير والجامع الأعظم وجامع السيدة وجامع كتشاوة...وغيرها فهذه الوثائق توفر مادة خام لدراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية وتعتبر كنزاً معرفياً لا يُقدَّر بثمن وكذلك بعض الوثائق المخطوطة التي تحصلت عليها من المكتبة السلیمانیة بإسطنبول: *süleymaniye yazma eser kütüphanesi müdürlüğü* " كما اعتمدت على عدد من المصادر المطبوعة والمخطوطة أهمها:

- ابن زاكور، نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء كبار الأعيان الذي وصف الحياة الثقافية وحركة التعليم في الجزائر، كما وقف على علمائها أمثال :أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري، وأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري ، وأبي حفص عمر بن محمد المانجلاتي ...وغيرهم وطرق التدريس، وتعد رحلته أهم المصادر التي غطت فترة من أزهى عصور الدولة العثمانية في الجزائر.

-الرحلة الورثلانية للشيخ سيدي الحسين بن محمد الورثلاني التي جاءت تحت عنوان : " نزهة الأنظار في فضل علم التواريخ والأخبار " تح: محمد بن شنب وتعد هذه الدراسة التاريخية من أنفس ما صنف في مجال الرحلات خلال القرن الثاني الهجري /الثامن عشر الميلادي، فوقفت دراسته على العلوم المنتشرة آنذاك كالفقه والحديث، والتوحيد والتفسير والتصوف، والمباني الدينية خاصة الزوايا والمرابطين، وكذا علماء تلك الفترة .

- أبي راس الناصري "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، تح : و تقديم أ.مُحَمَّد غانم إذ يكتسي أهمية بالغة في التاريخ السياسي والاقتصادي و الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني ويحتوي في أغلب أوراقه على معلومات دقيقة عن هذه الفترة. وكذلك كتابه "فتح الإله ومنتبه في التحدث بفضل ربي ونعمته " : هذا المصدر الذي يقدم لنا صورةً عن التعليم في الجزائر مركزاً على مدينة معسكر ومازونة .

-غزوات عروج وخير الدين، لمؤلف مجهول، فيعتبر هذا الكتاب مصدراً هاماً لتاريخ الجزائر في الحقبة العثمانية، كما أنه يلقي الضوء على بدايات التواجد العثماني في الجزائر ويُعتبر من المصادر التاريخية المهمة التي توثق فترة نشاط الأخوين بربروس في منطقة البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا خلال القرن السادس عشر الميلادي.

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي ، فقد تناول هذا الكتاب التاريخ السياسي والعسكري لمدينة وهران خلال العهد العثماني، خاصة في ظل الصراع بين العثمانيين والإسبان ومحاولة استرجاع المدينة .

-عبد الكريم الفكون ، " منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم و الولاية " ، وهو مصدر مهم جدا للحياة الفكرية والدينية والعلمية في الجزائر العثمانية. واشتمل الكتاب أصناف من التراجم للعلماء والصلحاء ، وكذلك لمدعي العلم و المتشبهين بالعلماء ، وكذلك خصص حيز من دراسته لمدعي الولاية والدين ، و ذكر المقربين له و كتابه يعكس جانباً من الفكر الإصلاحية في الجزائر.

بالإضافة إلى مجموعة من المصادر من الكتب ،والمخطوطات، والرحلات التي تعد من أهم المصادر التي تناولت تراجم المؤلفين و العلماء ووصفت المراكز التعليمية السائدة آنذاك وكذلك تناولت السلطة العثمانية و تفاعلها مع أفراد المجتمع الجزائري ، و هذه المصادر لا يسعنا إجمالها في هذه الصفحات من بينها على سبيل المثال لا الحصر : أحمد بابا التنبكتي " نيل الإبتهاج في تطريز الديباج " مذكرات شريف أحمد الزهار، مُحَمَّد بن عبد الرحمن الزهرة النيرة بما جرى للجزائر حين غارت عليها الجنود الكفرة حمدان خوجة المرأة ،التمقروتي ، النفحة المسكية أواخر القرن السادس عشر ، إبن حمادوش لسان المقال في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، ابن

ميمون الجزائري التحفة المرضية، وحسن الوزان "ليون الإفريقي" و كتابه : وصف إفريقيا ، ابن خلدون ، المقدمة، ابن اياس مُجدد بن أحمد اياس الحفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق مُجدد مصطفى، خمس أجزاء، إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن تاريخ دول البحار عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، أبو العباس الغبريني ، عنوان الدراية ، وأحمد مامرمول كربخال، كتاب إفريقيا... وغيرهم من المصادر .

بالنسبة للمراجع العربية المعتمدة في البحث فهي كثيرة و متنوعة من أهمها:

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، يهدف الكتاب إلى إظهار المؤثرات في الحياة الثقافية الجزائرية في العهد العثماني في فترة "1500-1830" الجزء الأول والثاني، تناول، التعليم ومؤسسته، والتأليف، والمكتبات، والعلوم والتصوف، وبيان التاريخ والسير للجزائريين حيث أنهم تركوا أعمالاً هامة في التاريخ والتراجم والسير بعضها ما يزال مرجعاً إلى اليوم، فإنتاج القرن التاسع الهجري كان في الواقع خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاثة قرون مبتدئة بعهد الموحدين، وكان في نفس الوقت فاتحة لإنتاج عهد العثمانيين بالجزائر .

أما بالنسبة للمراجع باللغة الأجنبية فحاولنا الإستعانة ببعض مآلفه الباحثون الغربيون على سبيل

المثال لا الحصر: كتاب "*Édifices religieux de l'ancien Alger*" للمؤرخ ألبرت دوفولكس (Albert Devoulx) هو دراسة تفصيلية للمباني الدينية في الجزائر خلال الفترة العثمانية و يتناول بالتفصيل أشهر المساجد الجزائرية مثل مسجد كتشاوة، مسجد السيدة، ومسجد علي بتشين وكذلك الزوايا و المدارس معتمداً على الوثائق العثمانية ومراجع تاريخية لدراسة كيفية إنشاء هذه المباني وتطورها. وكتاب: "*Voyage dans la Régence d'Alger*" للمستشرق البريطاني توماس شو (Thomas Shaw) هو وصف تفصيلي للجزائر خلال القرن الثامن عشر، حيث يستند إلى رحلاته وأبحاثه أثناء إقامته في المنطقة، وأيضاً: الدراسة التي تسلط الضوء على الفترة الطويلة التي عاشتها الجزائر تحت حكم العثمانيين في مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية:

Grammont. *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*

كما اعتمدنا على الدراسة الوصفية للجزائر خلال الفترة العثمانية، تستند إلى مشاهدات المؤلف أثناء إقامته في المنطقة: "*Shaw. Voyage dans la Régence d'Alger*". كما تناولنا كتاب Digo de

Haedo. Topographie et histoire générale d'Alger الذي يقدم وصفًا دقيقًا للحياة داخل المدينة لكنه لم يخلُ من نظرة متحيزة يقلل فيها من الدور الحضاري للجزائر تحت الحكم العثماني، ويصورها كمدينة قائمة فقط على الغزو البحري والقرصنة، متجاهلاً تطورها الاقتصادي والثقافي وازدهارها كواحدة من أهم مراكز التجارة والتعليم في المنطقة. وربما هذه النظرة سادت أغلب الكتابات الغربية، وبخصوص بقية الكتابات مدرجة ضمن القائمة الببليوغرافية.

كما حاولنا الإلمام قدر المستطاع بالدراسات السابقة التي تتقاطع مع موضوعنا ومن بينها:

-رشيدة شجري معمر العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات (1671-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، وعلى العلماء ومكانتهم في هذا الوقت، ومراكز التعليم في الجزائر حيث انصب اهتمام العلماء على الفقه، والتفسير، والحديث؛ لهذا كانت الثقافة دينية أكثر منها أدبية، وهي الميزة التي صبغت الحياة الثقافية في الجزائر في العهد العثماني.

- الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، لفاطمة دخية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تهدف الدراسة إلى الكشف عن الحياة الاقتصادية والفكرية والسياسية للدولة الجزائرية في ظل الحكم العثماني وكذلك دراسة الحياة الثقافية في تلك الفترة والمراكز الثقافية التي كانت منتشرة في الجزائر في العهد العثماني، وكذلك التعريف بالشعر الجزائري في العهد العثماني من خلال عناصر بناء القصيدة .

-بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بحيث تهدف الدراسة إلى إبراز الأوضاع الداخلية للجزائر في أواخر العهد العثماني من أوضاع سياسية، وإدارية، واقتصادية، وكذلك الأوضاع الثقافية ومدى انتشار التعليم فيها، وبيان أهمية المباني الدينية، والثقافية بالأحياء السكنية، والمدارس، ومظاهر النشاط التعليمي والثقافي بمدينة الجزائر، ومراكز التعليم، والثقافة، وحرية التعليم، كذلك تسليط الضوء على واقع العلوم والفنون بمدينة الجزائر.

-خديجة حالة، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي، تهدف الدراسة إلى توضيح تاريخ الجاليات الأوروبية بالجزائر

وإظهار مدى تأثير ثقافة الجاليات الدينية والعلمية على الجزائر في العهد العثماني وكذلك تناولت الدراسة العلاقات الجزائرية الأوروبية إبان العهد العثماني، والحياة الاجتماعية، والثقافية للجاليات الأوروبية، ومدى التأثير الذي لحق بالجزائر جراء ذلك.

-سعدية رقاد، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، حيث تهدف الدراسة إلى توضيح مصادر البعث الثقافي، وعوامل انتشاره في بايلك الغرب الجزائري، وكذلك إظهار المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري 1700-1830م، والمؤسسات العلمية في تلمسان والحواضر الأخرى لبايلك الغرب وكذلك المؤسسات العلمية في وهران والتطرق إلى واقع المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري، ودور الحكام العثمانيين في الإنفاق على المؤسسات العلمية في بايلك الغرب.

-و الباحثة فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (1520-1830م)، رسالة دكتوراه، تهدف الدراسة إلى شرح مصطلح البيوتات ودلالاته في تراث الجزائر العثمانية، والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، والتركيز على الأسر العلمية بدار السلطان، وأيضاً البيوتات العلمية والأسر العلمية المتفرقة ذات الأصل الأندلسي.

- أحمد بحري حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900م) رسالة دكتوراه تهدف الدراسة إلى الكشف عن التاريخ السياسي لمازونة، والعادات، والتقاليد بها والتاريخ الثقافي لمدينة مازونة، ووضع العلوم بها، ووضع التعليم والمؤسسات التعليمية- مدرسة مازونة الفقهية -والكتاتيب والرباطات، والزوايا والمساجد وكذلك علماء مازونة والعلماء الذين درسوا في مازونة .

سابعاً: الفرق بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة:

على الرغم من مساهمة الدراسات السابقة في إثراء الدراسة الحالية، إلا أن الدراسة الحالية تقدم بعداً جديداً من خلال تحليل الأثر البعيد لنظام التعليم في الجزائر وركزت بصورة مكثفة على المراكز التعليمية والمناهج التعليمية وكذا طريقة التدريس وكذا طريقة العقاب داخل الكتاب، وغيرها من المواد المستعملة للتدريس كاللوح والصلصال.. والعوامل المؤثرة في التعليم خلال العهد

العثماني، دور الزوايا والمعمرات، الأندية المنزلية ...، والدور الذي قامت به المؤسسات الثقافية بصفة عامة في الجزائر خلال العهد العثماني و تخصيص عناية فائقة بهذا الموضوع من خلال الوثائق والمصادر المخطوطة والمطبوعة، وأيضاً دعمت الدراسة بجدول ورسوم بيانية توضيحية من عمل الباحثة من خلال المصادر مما كان جديراً بالاهتمام أن يكون محل دراسة علمية تأصيلية.

ثامناً: صعوبات البحث :

كأي دراسة وبحث أكاديمي لا بد من وجود مجموعة من العوائق والصعوبات التي واجهتنا أثناء عملنا هذا والمتمثلة في اتساع المجال الجغرافي للبحث فهو يغطي طيلة التواجد العثماني في الجزائر إلى غاية دخول المستعمر الفرنسي - وهي فترة طويلة شملت ثلاث قرون - وما قام به من تصفيات للمراكز التعليمية والمؤسسات التي تغذيها. إضافة إلى النظرة الغربية المتناقضة التي غطت تاريخ هذه الفترة، وخصوصاً أمام قلة المصادر العربية التي تناولت الحياة الثقافية بحد ذاتها، وأغلب المصادر هي عبارة عن تراجم ورحلات وسير، وكذلك تنوع المادة العلمية من كتب ومخطوطات ومعاجم... زاد الأمر صعوبة، وعدم القدرة على التنقل لأسباب خارجة عن نطاقنا، موازاة مع أداء واجباتنا المهنية... الخ

ونرجو في الأخير من الله العزيز القدير أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا العمل ودراسته بالصورة التي ترضي الله و الرسول و كل باحث متخصص، ومهتم بتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية خاصة ما تعلق منها بالجانب الثقافي و التعليمي عملاً بقول الله تعالى: ((وَقُلْ إِعْمَلُوا فَسَيَّرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)) سورة التوبة : الآية : 105 . وعملاً بقول رسوله الكريم : ((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)) رواه مسلم .

الباحثة

الفصل التمهيدي:

الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية بالجزائر في العهد العثماني

(1519 – 1830م)

✓ المبحث الأول: الأوضاع السياسية في الجزائر العثمانية:

- بدايات الدولة العثمانية وتأسيس الحكم التركي بالجزائر .
- مراحل الحكم العثماني في الجزائر .
- نهاية الحكم العثماني بالجزائر .

✓ المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية في الجزائر العثمانية:

- البنية الاجتماعية في الجزائر والعوامل المؤثرة في تطورها خلال العهد العثماني .
- التدرج الطبقي للمجتمع الجزائري في العهد العثماني .
- مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع خلال العهد العثماني: بين التعليم والزواج .

✓ المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية في الجزائر العثمانية:

- لمحة عن الوضع الثقافي في الجزائر خلال القرنين الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر .
- المميزات الثقافية في القرون الثلاثة (السابع عشر و الثامن عشر و التاسع عشر)
- العوامل المؤثرة على التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني .

المبحث الأول : الأوضاع السياسية في الجزائر العثمانية

1/ بدايات الدولة العثمانية و تأسيس الحكم التركي بالجزائر :

1-1 البدايات الأولى للدولة العثمانية:

لعبت سياسة الغزو والتوسع التدريجي دورًا حاسمًا في ترسيخ نفوذ العثمانيين، وتوسعت الدولة العثمانية تدريجيًا على حساب البيزنطيين والإمارات التركية المجاورة، حيث تمكنوا من السيطرة على أقاليم هامة، وجعلها مع مرور الزمن قوة إقليمية بارزة، مهدت الطريق لتحويلها إلى إمبراطورية عالمية امتدت لقرون. ويتزامن ظهورهم مع أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر بعد أن عرفت منطقة الأناضول Anatolie⁽¹⁾ فترة فراغ سياسي كان ناتجًا عن حالة الإنهاك والإعياء الذي أصاب أكبر كيانات سياسيين متصارعين على النفوذ فيهما وهما:

دولة سلاجقة الروم Seldjoukide⁽²⁾ والدولة البيزنطية Empire-Byzantin هذا ما مهد لظهور دولة قوية تملأ الفراغ السياسي هي الدولة العثمانية التي كانت عبارة عن إمارة صغيرة داخل حدود العالم الإسلامي تعتمد كل الاعتماد على الفكرة الأساسية التي مبدأها الجهاد ضد الكفار المسيحيين⁽³⁾.

⁽¹⁾ **الأناضول** : شبه الجزيرة المستطيلة التي تتكون من 755,688 كلم² على إمتداد الغرب من قارة آسيا و هي تشكل 97% من أراضي تركيا في الوقت الحاضر و يفصل الأناضول أو آسيا الصغرى من الشمال الغربي بحر مرمرة ومدينة جنة قلعة و مضيق البوسفور عن أراضي تراقيا التي تقع ضمن القسم الأوروبي من تركيا و يحده من الشمال البحر الأسود، و من الغرب بحر إيجه ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط، أما من الشرق فيتصل بمرتفعات جبلية واسعة. ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000 م، ص: 39.

⁽²⁾ **دولة سلاجقة الروم** : دولة السلاجقة أسستها مجموعة من القبائل التركية التي تحمل إسم " الغُز " أو " الأوغوز "، هاجرت من أقصى بلاد الترك خلال القرنين الثالث والرابع الهجري الموافق للقرنين التاسع والعاشر الميلادي تحت ظروف سياسية و إقتصادية قاهرة و حاولت الاستقرار في إقليم ماوراء النهر و خراسان و سكنت بالقرب من بحر قزوين و في الهضاب المحاذية لنهر سيحون و جيحون و فيما بعد العراق و آسيا الصغرى، وسمي السلاجقة نسبة إلى زعيمها سلجوق بن بقاق الذي وحد تلك القبائل و جمع شملها وظهرت عدة إمارات للسلاجقة، أما بخصوص دولة سلاجقة الروم فتمكن سليمان بن قتلмыш من تأسيسها و يعتبر عصر علاء الدين فيقباد 616-624 هـ/1219-1237 م عصر إزدهار سياسي و إقتصادي و عمراني لدولة سلاجقة الأناضول. سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، مكتبة الآداب، ط 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م، ص: 31، 53.

⁽³⁾ الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي 1288-1916، د.م. ج، ط2، 2011. ص: 16.

-أنظر الملحق رقم : ((1))، ص: 266.

فقد أخذت هذه الدولة الصغيرة في التوسع بشكل تدريجي والتي بدت غير مهمة في ذلك الوقت، وذلك لمدى صغرها في هذه الفترة من التاريخ ، فقد قامت بعملية التوسع من خلال إخضاع وضم الأراضي التابعة لبيزنطة في البلقان، والأناضول، و الإمارات التركمانية المتنامية وقد أصبحت منذ عام 1517 أقوى دولة في العالم الإسلامي آنذاك حيث قامت بضم المنطقة العربية إليها والجزائر في سنة 1519 . و سنتعرض في مايلي البدايات الأولى لتأسيس الدولة و إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ⁽¹⁾.

1-1 مؤسس الدولة : عثمان بك : في عام 656 هـ / 1258م ولد لأرطغرل ⁽²⁾ ابنه عثمان ⁽³⁾ الذي تنتسب إليه الدولة العثمانية وهي السنة التي قام فيها المغول بقيادة الزعيم هولاكو ⁽⁴⁾ بالزحف نحو بلاد المسلمين و تمكن من دخول بغداد في سنة 1258م ، ونشر الزعر و الهلع بين المسلمين و الدمار حيث يقول ابن كثير : " ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ودخل كثير من الناس في الآبار

⁽¹⁾ لمزيد من التفاصيل حول قيام الدولة العثمانية : محمود تقي الدين، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص ص: 12-39. ينظر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ط1، مطبعة محمد أفندي مصطفى ، مصر ، 1893، ص ص: 9-11.

⁽²⁾ أرطغرل : ابن الشاه سليمان ينتمي إلى قبيلة قباي إحدى قبائل الغز التركية وقد خرجت هذه القبيلة من أواسط آسيا متجهة إلى الغرب تحت قيادته ووقفت قبيلته إلى جانب دولة سلاجقة الروم بزعماء علاء الدين الأول و حقق عدة إنتصارات كما حصل أرطغرل على لقب محافظ الحدود و تمكن من التوسع على حساب المناطق البيزنطية توفي في (678هـ-1288م) خلفه في الحكم ابنه عثمان الذي سميت الدولة بإسمه .إسماعيل أحمد باغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان ، ط2 ، 1998 ، ص : 10 . أنظر الملحق رقم : ((2))، ص : 267 .

⁽³⁾ عثمان : مؤسس الدولة العلية العثمانية، ففي سنة 699 هـ - 1300 م افتتح المجال لعثمان واستأثر بجميع الأراضي السلجوقية بعدما أغارت جموع التتار على آسيا الصغرى ووفاة آخر سلاطين السلاجقة علاء الدين. محمد فريد بك، المرجع السابق، ص 11 .

⁽⁴⁾ هولاكو : حفيد جنكيز خان وقائد التتار توفي سنة 663 هـ - 1265 م ينتمي إلى قبيلة المغول التي ظهرت كقوة حربية هائلة في القرن الثاني عشر وتمكنوا من بسط سيطرتهم على الصين، تركستان الشرقية، بلاد فارس، جنوب روسيا، أطراف من أوروبا الشرقية، كما تمكنوا من التوغل في الكثير من المدن الحصينة والتوغل في قلب العالم الإسلامي. زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى (بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون) ، دار الفكر العربي للنشر، ص ص130، 141.

وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمناوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الحانات، ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة"⁽¹⁾.

لقد كانت هناك مهزلة كبرى، فقد كانت الأمة ضعيفة بسبب معاصيها وذنوبها لذلك سلط عليهم المغول، فقاموا بسفك الدماء، وهتك الأعراض، وقتل الأنفس، وتخريب البيوت وسرقة الأموال، وفي تلك الظروف العظيمة والوهن الذي ساد مفاصل الأمة، ولد عثمان مؤسس الدولة العثمانية⁽²⁾، ففي بداية القرن الرابع عشر هزت الأزمات الداخلية الكثيرة الإمبراطوريات الكبرى التي كانت تمتد من نهر جيحون (أوكسوس) إلى الدانوب كدولة الإيلخانيين في إيران، والقبيلة الذهبية في أوروبا الشرقية والإمبراطورية البيزنطية Empire-Byzantin في البلقان وغرب الأناضول.

وفي نهاية القرن نفسه يتمكن أحد أحفاد عثمان، وهو المعروف بمؤسس السلالة العثمانية من تأسيس إمبراطورية تمتد من الدانوب إلى الفرات، ويعود الفضل في هذا الأمر إلى السلطان بايزيد الأول المعروف بلقب "يلدرم"، أي الصاعقة والذي ذكره مخطوط "لطائف الأول فيمن تصرف في مصر من الدول" لمحمد ابن المعطي المنوفي: "و قد استولى على الكثير من قلاع النصارى و بلادهم و أراضيه... فتوفى إلى رحمة الله تعالى سنة خمس و ثمان مائة فكانت مدة سلطنته ست عشر سنة..."⁽³⁾.

(1) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج17، ط1، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، 1998، ص 359.

(2) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، شركة الأمل للتجهيزات الفنية، ط1، 2001م، ص 45.

(3) بايزيد الأول: (791 - 805 هـ / 1389-1402 م)، يذكر مخطوط " لطائف الأول فيمن تصرف في مصر من الدول" أن يلدريم بايزيد هو ابن السلطان مراد خان وعمره إثنا وأربعون سنة جلس على تحت السلطنة الشريفة في سنة إحدى وتسعين وسبع مئة تمكن من إخضاع جميع الإمارات المسيحية الواقعة في الأناضول وضمها للممتلكات العثمانية، كما قام بمجموعة من الفتوحات في بلاد الصرب وبلغاريا، كما حاصر القسطنطينية، ولقب بالصاعقة لأنه كان يتنقل كالبرق بين الجبهة البلقانية والجبهة الأناضولية. محمد ابن المعطي ابن أبي الفتح ابن احمد ابن عبد الغني بن علي الإسحاق المنوفي الشافعي، "لطائف الأول فيمن تصرف في مصر من الدول"، مخطوط، تحت رقم: 697، محفوظ بقسم المخطوطات بالمكتبة السليمانية: süleymaniye yazma eser kütüphanesi " müdürlüğü"، ينظر: علي الصلابي، المرجع السابق، ص 65.

فقد قام يلدرم بتشيت الجيش الصليبي في معركة نيقوبوليس خلال عام 1396م، حيث كان يضم الجيش الصليبي مجموعة من الفرسان الذين تفخر بهم أوروبا في ذلك الوقت، وقام بتحدي سلطنة المماليك التي كانت أقوى دولة إسلامية في هذا العصر، وقام بانتزاع بعض المدن منها التي كانت تقع على الفرات، كما قام بتحدي الحاكم تيمور العظيم " حاكم آسيا الوسطى وإيران"، حيث أنه كان الحاكم الجديد لها⁽¹⁾.

وقد قدمت الدولة العثمانية العديد من أمرائها شهداء في حروبهم مع البيزنطيين ومن بين هؤلاء الشهداء كوندز ألب بك أخو عثمان بك الذي استشهد في عام 1306 م حيث بلغت مساحة الإمارة التي تركها عثمان غازي في عام 1324م : 16000 كم² فقط فإذا ما وضعنا في الاعتبار أن أبا عثمان بك قد ترك له 4800 كم² من الأراضي فإن 16000 كم² التي تركها عثمان بك تعادل تقريباً 3/5 أضعاف مساحة الإمارة التي تركها أبوه⁽²⁾.

كما كان عثمان بك حاكماً استراتيجياً، فلقد قام بتوجيه فتوحاته إلى أراضي بيزنطة/ Empire-Byzantin باعتبار أن كل فتح يناله منهم سيزيد من قوته، كما أنه في نفس الوقت تحاشى بكل جهده التصادم مع جيرانه أمراء الأناضول الذين يحيطون به، كإمارة جيرمان أوغلوا القوية. ولقد كانت فتوحات عثمان بك ذات أهداف، ومغزى فشمالاً وصل إلى الضفة الشرقية من نهر سقاريا، واقترب كثيراً إلى مدخل النهر والبحر الأسود، وفي الغرب نفذ إلى البحر حيث قام بالاستيلاء على الضفاف الجنوبية لبحيرة إيزنك من البيزنط وكذلك أخذ الضفاف الشرقية لبحيرة أولوباد، ورصيف مودانيا الذين يقعان بينهما في منطقة متوسطة⁽³⁾، فمن فتوحات عثمان بك:

- اسكي شهر في 1288.
- بيله جك في 1299 أو 1304 .

(1) خليل اينجليك، المرجع السابق، ص 13.

(2) نفسه.

(3) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مج 1، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ط1، 1988م، ص ص

- ومودانيه في 1321 (1).

1-2.1 نسب العثمانيون :

اختلفت المصادر العثمانية حول أصل العثمانيين ، وهذا الإختلاف مرده الى انهم لم يكتبوا تاريخا قبل سقوط القسطنطينية و السبب الثاني هو أن المؤرخين من أوروبا و بيزنطا لم يفرقوا بين العثمانيين و القبائل التركية الأخرى الذين شنوا هجمات على : Empire-Byzantin (2) والمتفق عليه أن العثمانيون ينتسبون إلى عشيرة " قايي " ، فقد كانت تلك العشيرة من عشائر أتراك "الأوغوز" الذين قاموا بالهجرة من آسيا الوسطى إلى الأناضول و تتفق الروايات على أن السلطان سليمان شاه جد السلطان عثمان كان سلطاناً على ماهان في شمال بلاد فارس (3).

ويعتبر عثمان الغازي هو أحد الأبناء الثلاثة لأرطغرل غازي حيث كان يلقب بفخر الدين وتذكر الروايات أن والده أرطغرل الغازي تنبأ بالأعمال الكبيرة والعظيمة التي سيحققها ابنه قبل موته ، فبسبب خبرته في الإدارة واستعداده العالي الذي قد منحه الله إياه أن قام جميع الأمراء بالاعتراف به رئيساً على العشيرة بعد وفاة والده فبالرغم من أن عثمان كان أصغر أولاده الثلاثة إلا أن كل الأمراء قد اعترفوا به رئيساً على العشيرة ، وبهذا الأمر فقد اتفقت الآراء أن عثمان الغازي أصبح أميراً على العشيرة (4).

وتميزت حياة الأمير عثمان مؤسس الدولة العثمانية بالجهاد في سبيل الله، والدعوة إليه في كل الأمور، فقد كان علماء الدين يحيطون بالأمير ويقومون بالإشراف عليه وعلى التنفيذ، والتخطيط الشرعي في الإمارة.

حيث قام عثمان بكتابة وصية له وحفظها التاريخ لنا وهي وصية لابنه أورخان ، فقد كان عثمان على فراش الموت وكانت تلك الوصية فيها دلالة منهجية شرعية سارت عليها الدولة العثمانية بعد موته، وكان مما ذكر في وصيته لابنه أن قال " يا بني : إياك أن تشتغل بشيء لم

(1) نفسه .

(2) غالي غربي ، المرجع السابق ، ص : 45.

(3) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص : 11 . ينظر : محمد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، تر : أحمد السعيد سليمان، تق : أحمد عزت عبد الكريم، د.ك.ع.ط، 1967، ص 180.

(4) عثمان نوري طوباش، العثمانيون رجالهم العظام ومؤسستهم الشاخصة، تر: محمد حرب، دار الأرقم للنشر، ط1، 2016م، ص 25 - 26.

يأمر الله رب العالمين وإذا واجهتك في الحكم معضلة فأخذ من مشورة علماء الدين موثقاً، يا بني : أحط من أطاعك بالإعزاز وأنعم على الجنود ولا يغرنك الشيطان بجنك وبمالك وإياك أن تبعد عن أهل الشريعة⁽¹⁾، "اعلم يا بني ، أن نشر الإسلام ، وهداية الناس إليه ، وحماية أعراض المسلمين وأموالهم أمانة في عنقك سيسألك الله عز وجل عنها".⁽²⁾

1-3.1 الملامح الأولى لإمارة بني عثمان :

لقد اشتركت إمارة آل عثمان مع الإمارات التركمانية الأخرى في عملية نشأتها الأولى، حيث أخذت هذه الإمارات تتميز بالتدرج، وتبرز بين بقية الإمارات الحدودية غربي الأناضول في الفترة ما بين 1280-1310م ، ومن ثم يكون المجتمع القبلي العثماني قد مر في تطوره بمرحلتين هما:

❖ المرحلة الأولى :

تتمثل المرحلة الأولى في دعوة الغزاة " آلب " للغزو والجهاد في الأراضي البيزنطية Empire Byzantin ، حيث وجدت هذه الدعوة استجابات عديدة من القبائل التي كانت في المناطق الحدودية، حيث لعب الأمير والقائد الغازي دوراً كبيراً في عملية تشكيل مجموعة خاصة مع رفاقه الغزاة اكتسبت بالتدرج وضعاً خاصاً داخل العشيرة حيث انفصلت هذه الفئة عن بقية أفراد القبيلة الذين قاموا على شؤون الزراعة وتربية الحيوانات في ذلك المجتمع القبلي.⁽³⁾

❖ المرحلة الثانية :

تميزت هذه المرحلة الثانية بعملية توحيد فرق الغزاة تحت قيادة واحدة محكمة قد فرضت نفسها من خلال ما قامت بتحقيقه من إنجازات وفتوحات، وانتصارات ، حيث وصلت هذه المجتمعات

⁽¹⁾ علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص49، ينظر : عصمت عبد المجيد بكر ، المدخل لدراسة النظام القانوني في العهدين العثماني والجمهوري التركي، دار الكتب العلمية، ص10، أنظر أيضاً : شيخ الإسلام ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية، سيد باغجوان، دار الكتب العلمية، ص26.

⁽²⁾ علي محمد الصلابي، المرجع السابق ، ص50، أنظر : إيناس حسني البهجي ، تاريخ الدولة العثمانية ، مركز الكتاب الأكاديمي، ص55، أنظر أيضاً : مؤيد أحمد غازي ، تاريخ الدولة التركية، المكتبة الجندرية، ص22.

⁽³⁾ سيد محمد السيد محمود ، المرجع السابق، ص 83 .

التركمانية في هذه الفترة لمستويات كبيرة من مستوى الإمارات التي تقوم برعاية الأمور السياسية بين قادة الغزاة⁽¹⁾.

وتختلف المصادر التاريخية العثمانية في عملية تحديد دور الشخصيات العثمانية التاريخية فبينما تنسب بعض التواريخ إلى أرطغرل قيامه ببعض الغزوات وتحقيق الانتصارات العسكرية . يرى آخرون أن هذا الجيل لم يكن ناشطاً لا سياسياً، ولا عسكرياً، فعلى الأقل بعد قدومهم إلى بيشينيا Bithynia⁽²⁾ يروى أنه في عهد أرطغرل، وبعد انتقال القبيلة إلى بيشينيا لم يكن هناك أي قتال، أو حروب عسكرية، فلقد كانوا ينتقلون بين مراعي الصيف والشتاء فقط⁽³⁾..

فمن الواضح أن سعي العثمانيين من أجل التنافس السياسي لم يبدأ إلا مع عثمان فالظروف هي التي دفعت القبيلة من أجل المشاركة الفعالة في الأمور السياسية للتخوم وبالتالي إلى السجلات التاريخية، فقامت حوالي سنة 1288 م، فالأكيد إذاً أن القبيلة قد تمتعت بارتقاء عظيم في مستوى نجاحاتها العسكرية والسياسية تحت قيادة عثمان ، لذلك كان اسم عثمان وليس أي اسم آخر من أسلافه هو المعروف للإمارة ، فلا نعرف بأي اسم عرفت قبيلته قبل قدومه، ولكن العثمانيين "اتباع عثمان"، فإن القبيلة والإمارة نعتتا بهذا الاسم لمدة طويلة⁽⁴⁾.

4.1-1 قيام الدولة واتساعها :

لقد أتاحت لأرطغرل فترة سلام طويل استطاع خلالها أن يقوم بعملية تدعيم وتوطيد حكم العشيرة على الأراضي التي وكل إليه أن يحكمها، ثم استغل عثمان هذه الفترة من أجل أن يقوم بالاستعداد لفترة الفتوح التي توجت أواخر حياته، ولا تتوفر لنا قرائن معاصرة من شأنها أن تعيننا على الحكم الشامل على عثمان، فهو لم يكن ابن أمير ولم يعتد على أنه حاكم لدولة صغيرة جداً، ويبدو أن إنجازاته قد اقتصرت على عملية إرساء قواعد الأسرة وبدء التوجه نحو عملية توسيع رقعة الدولة في البداية على حساب البيزنطيين مستغلاً الفوضى في العاصمة، وفي البلقان

(1) نفسه ، ص 84 .

(2) بيشينا : منطقة قديمة في شمال غرب آسيا الصغرى (تركيا حالياً) و هي قريبة من بحر مرمرة و البوسفور و البحر الأسود تمكن العثمانيون من التوسع على حسابها ما بين عامين 1325-1333م بعدما كانت تابعة للأراضي البيزنطية .

(3) للمزيد من التفاصيل : راجع مخطوط " تاريخ دولت عثمانية" رقم 2354، مركز المخطوطات ، إسطنبول ، ص ص : 76- 80 .

(4) جمال كفادار ، تكوين الدولة العثمانية ، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، مج 11، ع 41 - 42، بيروت ، 1999م، ص 60.

وأعدائها الأقوياء ، مع تفادى الاصطدام بالدول التركمانية العظيمة التي كانت تجاوره حتى يأتي الوقت الذي يشهد فيه ساعد الدولة بحيث يمكنه من خلالها أن يواجههم بقوة جيشه وعتاده (1).

فقد بدأت الفتوحات الفعلية له في أوائل القرن الرابع عشر مستغلا الفوضى والإهمال المسيطرين على الأراضي البنظية بالأناضول و إنشغالها بالقلقل و الفتن في العاصمة و في البلقان و بالصدمة المستمرة بأعدائها الأقوياء من أمثال أولاد كرميان و الإمارات الساحلية القوية الخاضعة لهم و أدى الانهيار النهائي لدولة السلاجقة إلى استلائه على قلعتي إسكي شهر وقرجة حصار، فمن الواضح أن عثمان كان شخصية جذابة تقوم بإغراء الآخرين بخدمته، كما أنه تحلى بالثابرة وضبط النفس والهيبة، ورغم حماسه الدينية فقد اتصف بالتسامح (2).

فلقد عين عثمان الموظفين اللازمين من أجل إقامة شعائر الإسلام ومن أجل تطبيق الشريعة فقد وطد سلطته على أساس العدالة، فما لبث أن قام بتوسيع رقعة دولته التي وصلت إلى "بني شهر"، وبذلك أصبح على مرمى البصر من بروسة ونيقية حيث يعتبر من أهم المدن اليونانية في غربي الأناضول ، فما لبثت بني شهر أن أصبحت عاصمة لملكه وبذلك فقد توفرت له قاعدة قوية للانطلاق صوب بروسة والقسطنطينية (3).

فالعثمانيون كانوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مسلمون قبل أي شيء، فكان ولاؤهم يتجه بالترتيب:

أولاً : الدين الإسلامي.

ثانياً : السلطان.

ثالثاً : الدولة.

ولقد كانت روح الجهاد الغالبة على العثمانيين هي روح الجهاد الديني الذي كان يغلب على إسلام العثمانيين ، فلقد زادوا صلابة وقوة عندما استقروا في الأناضول على حدود أو على مقربة

(1) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، تر : أحمد السعيد سليمان ، تق : أحمد عزت عبد الكريم ، د.ك.ع.ط، 1967، ص 180.

(2) نفسه.

(3) أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط2، 1986م، ص 36 - 37.

من الكيانات المسيحية التي كانت متناثرة في هذا الإقليم في ذلك الوقت ، فالإسلام عند العثمانيين دين محاربين ، فكان شعارهم الصيحة من أجل الحرب وحمل السلاح ، وازدادت هذه الروح ناراً عندما واجه العثمانيون التكتلات الصليبية المتعاقبة الواسعة النطاق التي كانت تضم العديد من الدول الأوروبية.⁽¹⁾

لقد أظهر الأمير عثمان قدرة فائقة في وضع النظم الإدارية لإمارته بحيث قطع العثمانيون على عهده شوطاً بعيداً على طريق التحول من نظام القبيلة المتجولة إلى نظام الإدارة المستقرة؛ مما ساعدها على توطيد تطورها، ومركزها تطوراً سريعاً إلى دولة كبرى، وإعدادها للدور الضخم الذي قامت به بعد ذلك. ونشأت الإمارة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول على حافتي العالم المسيحي، والعالم الإسلامي، وقد فرضت عليها سياسة حربية معينة ، ذلك ان هذه الإمارة كانت على الحدود والثابت في تاريخ الأناضول أن الإمارات التي نشأت على الحدود كانت أوفر نصيباً من عوامل التطور والنمو من إمارات الداخل .⁽²⁾

وعلى أثر ازدياد قوة العثمانيين وبدء فترة الحروب الكبرى لجأوا إلى وسيلة جديدة تعمل على زيادة أعدادهم بدلاً من جيش البيادة و الإقطاعيين وقوة الخيالة التي كانت معتمدة في عمليات التوسع، فسعت الى توفير فئة خاصة شديدة الولاء للدولة، وهذه الوسيلة تسمى " الديوشمة " أو *Devchirmé*⁽³⁾ تعني جمع عدد من أطفال المسيح وإعدادهم من أجل المهام الإدارية والقتالية بعد اعتناقهم الديانة الإسلامية ويعتبر هؤلاء الأطفال دعامة استندت عليها القوة العثمانية، فسلطة العثمانيون لم تستند على أي أساس شعبي، أو تفوق عرقي، بل كانت

⁽¹⁾ عبد العزيز مُجَّد الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، (د. ط)، 1980م، ص 10.

⁽²⁾ إسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص ص 12- 13.

⁽³⁾ الديوشمة أو الديوشمة : هو نظام يقصد به "ضريبة الغلمان" أو "ضريبة الدم" وهي الضريبة التي كانت تجبي من سكان القرى المسيحية، و أول من تظن لهذه الفكرة قره خليل جندرلي صديق الأمير علاء الدين رئيس وزراء السلطان أورخان ، ويتم جمع الأطفال المسيحيين الأرثوذكس كل خمس سنوات من بلدان البلقان وبلاد اليونان والمجر وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي واللغة العثمانية وتربيتهم تربية عسكرية وتقسّم الدفعة المتخرجة إلى ثلاث مجموعات الدفعة الأولى: المتفوقة تعرف بغلمان السلطان تلتحق بالقصر السلطاني، الدفعة الثانية: يتم تعيين أفرادها في المناصب المدنية العليا في الباب العالي ، الدفعة الثالثة: و هي أقل حظ من الدفعات السابقة فيتم إلحاقها بفرق المشاة في الجيش العثماني و أطلق عليهم بني تشيري *Yeni ceri* أو الجيش الجديد . غالي غربي، المرجع السابق، ص ص: 38,39 .

نوعاً من الحكم المستبد الذي تباشره أسرة واحدة تقوم بالاستناد على قوة عسكرية من المدنيين قوامها رجال الخدمة السلطانية الذين كانوا يتميزون بالإخلاص للسلطان ، وقد ملأ أطفال الديوشرمة بعد تعليمهم، وتدريبهم صفوف فرقة الانكشارية وقوة الخيالة النظاميين، ومن خلال اتساع الدولة ،وكان الأتراك يشكلون الفئة المهيمنة على حين أن اطفال الديوشرمة كانوا يشكلون قمة جهاز الحكم ويقومون بالسيطرة على الأتراك ذاتهم .⁽¹⁾

كانت الإمارة العثمانية من أكثر الإمارات الحدودية تواضعاً، لدرجة أنها لم تكن تستوفي مقومات المدينة. ويرجع ظهورها إلى سببين رئيسيين.

• السبب الأول :

هو سبب جغرافي سياسي يدخل في إطار ضربات الحظ الاستثنائية التي لا يمكن أن تتكرر فقد أتاحت الظروف لأرطغرل بك وطناً في جنوب شرقي بحر مرمرة وكأنه على مدخل بيزنطة وبهذا الأمر فقد كان أرطغرل أقرب أمير من حدود بيزنطة ولم يكن سواه من الأمراء الحدوديين في مثل هذا الوضع الخطير، فرض هذا الوضع على العثمانيين ضرورة التحلي بالحذر الدائم والمستمر، وأن تكون دولتهم على أهبة الاستعداد من أجل القتال والجهاد والغزو في كل لحظة وهو موقف يبرره أن اكتساح الروم لمثل هذه الإمارة بوضعها الجغرافي كان من الناحية الجغرافية يسهل اكتساح غيرها من الإمارات⁽²⁾.

• السبب الثاني:

وهذا السبب يمثل الخصائص النفسية والجسمية لأرطغرل بك، ونسله الذي جاء من أخلاط إلى دومانيج، فلا يمكن وجود داهية لدى الإمارات التركمانية في الأناضول الغربية إدارياً وعسكرياً عدا آيدن أوغلو أو مور بك أما الآخرون فلا يزيد على كونهم مجموعة من القادة يقومون بواجبهم على الوجه الاكمل . وعلى خلاف هذا الامر فقد كان الوضع بالنسبة للعثمانيين مختلف، فلقد أنجبت مجموعة من الدهاة المتعاقبين وكل حاكم من الحكام قد اعتلى العرش قد

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 41.

(2) يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 90 .

تفوق على من كان قبله بإمكاناته وخصائصه كما انهم تميزوا بالقدرة على التخطيط والحركات العسكرية المحسوبة .⁽¹⁾

وعندما أعلن السلطان عثمان استقلال الدولة العثمانية الإسلامية في عام 699هـ/1299م أتاه من كل حذب وصوب علماء وأعيان وأمراء السلاجقة التي قد انحارت بدافع الجهاد تحت لوائه من أجل أن تصبح الدولة العثمانية المتنفس الوحيد للحماس الديني الإسلامي، فجاء كل راغب في الجهاد في سبيل الله من أجل نشر تعاليم الدين ونشر الدين الإسلامي في البقاع المتعددة، فلقد جذبت هذه الإمارة العديد من الأشخاص الذين تحمسوا لنصرة دين الله تعالى ضد المسيحية، وهذا إنما يؤكد على أن الدولة العثمانية كانت إسلامية المنطق والهدف، فكان الغزو والجهاد عاملين مهمين في عملية تأسيس وتطوير الدولة العثمانية القوية.

فالمجتمع في إمارات الحدود قد صاغه إطار فكري خاص قد أشبعه بفكرة الجهاد المستمر والفتح الدائم في سبيل إعلاء كلمة الله، حتى تشمل العالم بأسره، فلقد كان التركمان الرحل القادمون إلى الأناضول عبارة عن القلب النابض في المقاطعات الحدودية العثمانية، هؤلاء قد جاهدوا بلهفة في سبيل النصر، أو الشهادة وقد تربوا تربية إسلامية مليئة بالقيم الروحية المبنية على حب العمل وحب الجهاد من أجل نشر الاسلام في البلاد المسيحية وصد الغارات الصليبية المعادية للإسلام والامة الإسلامية ، ويتجلى هذا الاتجاه في سياسة العثمانيين وتشجيعهم للجهاد من أجل نشر دين الله تعالى .⁽²⁾

وتمكن العثمانيين من بسط سيطرتهم على العالم الإسلامي في بداية القرن السادس عشر هذا التاريخ الذي يعتبر بداية الفتوحات العثمانية للبلاد العربية التي كانت نتيجة من نتائج الصراع السياسي والمذهبي بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية بإيران، فظهر هذه الأخيرة على مسرح الأحداث السياسية كان وراء تحول وجهة العثمانيون من الغرب إلى الشرق فقد كانت تثير

(1) نفسه .

(2) خلف بن دبلان بن خضر الوديناني، الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1909م، جامعة أم القرى، ط2، 2003م، ص 31 - 32 .، ينظر : يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص : 88 .

العديد من القلاقل والاضطرابات وتهدد وجود الدولة العثمانية إلى أن تم أول صدام بينهما في معركة جالديران 1514/08/23 م.⁽¹⁾

كان من نتائج هذا الصدام: سيطرة العثمانيين على الأناضول الشرقية و الجنوبية باستثناء القسم الواقع تحت السيطرة المملوكية وكانت نتيجة امتدادات الدولة العثمانية اللاحقة على البلاد العربية وحمود المشكلة الصفوية قرابة العشرين سنة ذلك أن الضربة التي تلقتها الدولة الصفوية في معركة جالديران لم تكن قاضية على الشيعة⁽²⁾.

فتمكن السلطان سليم الأول الذي يرد تاريخ توليه الحكم من خلال مخطوط " تاريخ دولت عثمانية " في سنة التي تصادف تاريخ : تسعة مئة و ثمانية عشر هجرية ، وتوفي في سنة تسعة مئة وستة وعشرون هجرية⁽³⁾ تمكن خلال فترة حكمه على الرغم من قصرها من فتح أرمينيا،

(1) أحدث تولى سليم الأول الحكم ما بين 1512-1520م تغيراً جذرياً في سياسة الدولة العثمانية ففي عهده توقف الزحف العثماني نحو الغرب الأوروبي أو كاد أن يتوقف، وواجهت الدولة العثمانية اتجاهها شرقاً نحو المشرق الإسلامي وقد ذكر بعض المؤرخين الأسباب التي أدت إلى تغير السياسة العثمانية صوب المشرق العربي ونذكر منها: " التشبع العسكري العثماني في أوروبا"، "إنقاذ العالم الإسلامي من التحرك الصليبي الجديد المتمثل في البرتغال والاسبان الذين وجهوا ضربة قاسمة للاقتصاد المملوكي في تلك الفترة"، " سياسة الدولة الصفوية بزعامة الشاه إسماعيل ومحاولتها نشر المذهب الشيعي في المنطقة ". حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ ايران السياسي من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية، مجلد 3، ط 1، 2008، ص 80. ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ط 1، دار النفائس، بيروت لبنان، 2009، ص ص 72-80. ينظر أيضاً: إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص: 57.

(2) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 81. لمزيد من التفاصيل حول الاستعدادات للمعركة الداخلية والخارجية راجع: وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان: جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية-القاجارية والدولة العثمانية، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1990. و للمزيد من المعلومات حول جذور الصراع الصفوي العثماني راجع: عبد اللطيف هريدي، الحروب العثمانية الفارسية وآثارها في انحسار المد الاسلامي عن أوروبا، ط 1، دار الصحو، القاهرة، 1987، ص 41.

(3) سليم الأول الغازي : الملقب ب " يازو " أي القاطع : من مواليد 885 هـ بأماسيا ، جلس على العرش سنة { 918 هـ - 1512 م } و عمره 46 سنة عرف بالشجاعة وحب الحرب، وكان محبوباً لدى الجيش الإنكشاري تمكن من الإنتصار على الصفويين في معركة جالديران 1514 ، و فتح ديار بكر و الموصل، و كان النصر حليفه في معركة مرج دابق مع المماليك 1516 وقتل قانصوه الغوري و معركة الريدانية 1517 وانحزم طومان باي . وضم مصر إلى الممتلكات العثمانية ، وفي سنة { 925 هـ - 1519 م } عزم على فتح جزيرة رودس لكنه لم يمهله الأجل المحتوم ووافته المنية في سنة { 926 هـ - 1520 م }، فخلفه ابنه الوحيد السلطان سليمان القانوني ، وقام بإنجازات عظيمة تمثلت في الفتوحات العظيمة و التنظيمات الداخلية و بناء الجوامع لمزيد من التفاصيل ينظر : إبراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية (المعروف بكتاب التحفة الخليمية في تاريخ الدولة العلية) ، ط 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت-لبنان ، 1988 ، ص ص : 79-85 . أنظر : محمد فريد بك ، المصدر السابق، ص ص: 188-197 . أنظر الملحق رقم ((3و4)) و((5))، ص ص : 268-270 .

وكردستان، وإقليم الجزيرة الفراتية وبلاد الشام وجزء من شمال العراق - ليكتمل فتح العراق في عهد السلطان سليمان القانوني - وديار بكر والرقّة والموصل وفتح منطقة مرعش وإمارة البستان وذي القدر، وسيطر العثمانيون على طرق التجارة الشمالية التي تربط بين تبريز والاناطول الشرقية وبالتالي سيطروا على طرق نقل الحرير الفارسي بين تبريز وحلب وبين تبريز وبورصة⁽¹⁾.

وكانت القوة الثالثة ذات الوزن في العالم الإسلامي وقتئذ هي دولة المماليك⁽²⁾ في مصر والشام و صاحبة السيادة "على الحجاز و اليمن ، و تاخمت حدود الدولة العثمانية في القرن الخامس عشر حدود الدولة المملوكية في الشام و مع تأرجح العلاقات بين الطرفين وخصوصاً الصراع على النفوذ حول إمارة ذي القدر و إمارة البستان التي تقع شمال الشام وجنوب شرق آسيا الصغرى وهي أشهر الإمارات التركمانية، والقطرة التي أفاضت الكأس هي إيواء المماليك للشائرين على السلاطين العثمانيين زاد الطين بلة ، فكان الصدام بين القوتين السنتين أمر حتمي⁽³⁾.

فاصطدم الطرفان في معركة مرج دابق شمال حلب عام 922هـ-1516م ومني السلطان المملوكي قانصوه الغوري بهزيمة نكراء قتل فيها و ضاعت جثته بين آلاف الجثث نظراً لخيانة خاير بك نائب المماليك بمصر و اتصاله بالعثمانيين و قد لاذ معظم الجيش المملوكي بالفرار

(1) محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 82. أنظر: إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 58.

(2) دولة المماليك : جمع ممالك وهم من "الرقيق" أو "العبيد البيض" الذين كانوا يشترون من أسواق النخاسة و يستخدمون لأغراض عديدة في المجتمعات منذ القدم ويتم إستخدامهم من شبه جزيرة القرم و بلاد القوقاز والقبجاق جنوب روسيا حالياً و آسيا الصغرى ، و تركستان وبلاد ما وراء النهر . وإستخدامهم الأيوبيين بشكل واسع في الجيش وقد سمي ممالك صلاح الدين الأيوبي بالمماليك الصالحة ومرت دولة المماليك بأكثر من مرحلة (مرحلة دولة المماليك البحرية و دامت 144 سنة تعاقب على الحكم 29 سلطاناً /و المرحلة الثانية دولة المماليك البرجية لأنها تسكن أبراج القلعة بالجبل أو كما سميت بالجرسية أو الشركسية التي استمرت من سنة 1381-1517) . إيناس حسن البهجي ، المماليك البداية و النهاية ، ط1 ، دار التعليم الجامعي ، الإسكندرية ، 2015 ، ص : 31، 301. لمزيد من التفصيل حول المماليك البحرية والبرجية أنظر : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئزي ، المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج3، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان، 1998 ، ص ص 411-426.

(3) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 59.

وبذلك انتهت المعركة لصالح العثمانيين و أتاح لهم هذا الامر السيطرة على سوريا و دمشق وتوغلوا في بلاد الشام و مصر إلى أن وصلوا إلى أبواب مصر ⁽¹⁾.

وواصل السلطان العثماني سليم الأول زحفه على مصر، فاستولى على يافا و غزة والعريش ثم عبر سيناء و دخل الدلتا متجهاً نحو القاهرة ، فجمعت معركة أخرى الطرفين سميت في التاريخ الحديث باسم معركة الريدانية 23/ جانفي /1517م وانتصر فيها العثمانيون انتصارا باهراً و هزم المماليك بقيادة طومان باي ⁽²⁾ الذي أعدم شنقاً على باب زويلة ⁽³⁾. فاستقر الأمر للعثمانيين وضموا البلاد العربية لتأمين دولتهم و زادهم خضوع شريف مكة إلى ضم الأماكن المقدسة هذا ما أضفى على الدولة العثمانية الزعامة الدينية في العالم الإسلامي ⁽⁴⁾ وهذه الانتصارات الباهرة التي حققتها ستفتح لها أفاق جديدة للتوسع وضم مناطق جديدة لحسابها في شمال القارة الإفريقية .

وخلال فترة (1512 – 1566م) تلك الفترة التي تمثل عهد السلطان سليم الأول وابنه السلطان سليمان القانوني ⁽⁵⁾ تحولت الدولة العثمانية من دولة صغيرة إلى دولة تتميز بقوتها

⁽¹⁾ إيناس حسن البهجي ، المرجع السابق ، ص: 312.

⁽²⁾ طومان باي : هو الحادي والعشرون من ملوك الجراكسة ، إشتهر الملك قانصوه الغوري وكان من أقربائه وقدمه إلى الأشرف قايتباي ولهذا يدعى بطومان باي من قانصوه فصار من جملة مملوكه الكتابية ، وتولى عدة مناصب و من بينها توليه الداواريه الكبرى وخلف قانصوه الغوري في حكم مصر عند خروجه لمقاتلة العثمانيين في بلاد الشام ، وكان يتمتع بمحبة الناس و طاعة العسكر له ، وبقي في منصبه حتى ثبت مقتل السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق في 1516 التي جمعت مع العثمانيين . وبعد رجوع الامراء إلى مصر وقع إختيارهم عليه لتولي منصب السلطان المقتول قانصوه الغوري و هزم شر هزيمة على يد العثمانيين في معركة الريدانية وقتل الأمراء والعسكر مالا يحصى عددهم . محمد ابن = = أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط 1 ، تحقيق: محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984، ص ص: 102-152.

⁽³⁾ نفسه ، المصدر السابق ، ص : 485 . أنظر : إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق ، ص : 60.

⁽⁴⁾ إسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص : 61 .

⁽⁵⁾ سليمان القانوني : فترة الحكم (1520-1566) هو السلطان العثماني العظيم العاشر تعتبر فترة حكمه من واحدة من أكثر فترات الحكم العثماني إزدهاراً ، ولد في السادس من نوفمبر 1494 م في طرابزون، تمكن من إعتلاء العرش و هو في سن 26 عاماً ، تمكن من فتح بلغراد 1521 ، و جزيرة رودس 1522 ، المجر 1526 واستكمل فتح العراق سنة 1534 وتمكن بعد دخوله بغداد أن يجعل جزءاً أكبر من طريق الحرير تحت السيطرة العثمانية ، كما دخل في معارك ضارية مع الصفويين إستمرت سبعة أعوام التي إنتهت بتوقيع إتفاقية أماسية عام 1555 التي تعد من أولى الإتفاقيات العثمانية الفارسية في التاريخ بموجبها يحتفظ العثمانيين بملكيتهم في شرق الأناضول و أذربيجان و تبريز و ميزوبوتاميا بما فيها بغداد ، مما يسمح للعثمانيين =

وسيطرتها، وذلك بفضل النجاحات المتتالية في الآفاق الواسعة التي تمتد من أوروبا الوسطى إلى المحيط الهندي⁽¹⁾.

ويعتبر سقوط غرناطة سنة 1492م إيذاناً بنهاية الوجود الإسلامي في إسبانيا بعدما أسس فيها المسلمون أعظم حضارة على مر التاريخ، وبعد سلسلة من حروب الاسترداد التي قادتها الممالك المسيحية الإسبانية ضد الوجود الإسلامي في إسبانيا وحتى في سواحل شمال إفريقيا حيث أصبح مضيق جبل طارق الذي يعد الحد الجنوبي لإسبانيا بؤرة التوتر فهو خط حدودي غير فاصل بين العالم المسيحي في شبه جزيرة إيبيريا والعالم الإسلامي في شمال إفريقيا والذي لحقه حالة من التدهور والانهيار والضعف في أوضاع الغرب الإسلامي فقد انتهت دولة الإسلام في الاندلس وتوال بعدها سقوط أقطار شمال إفريقيا في أيدي الغزاة (الإسبان و البرتغال)⁽²⁾.

و يتضح لنا ان نشاط القراصنة الأوروبيين في البحر المتوسط ازداد وتصاعد الهجمات على السفن الإسلامية، أدى إلى اضطراب حركة الملاحة والتجارة في المنطقة. وقد نتج عن ذلك تصادم متكرر بين القوى الأوروبية والغزاة المسيحيين من جهة، والدولة العثمانية التي كانت تسعى لحماية أسطولها ومصالحها البحرية من جهة أخرى. وشهدت تلك الفترة معارك بحرية ضارية، حيث حاول العثمانيون التصدي لهذه التهديدات المتزايدة، مستخدمين أساطيلهم العسكرية للدفاع عن طرق التجارة وحماية السواحل الإسلامية من الغارات المتكررة. وأسهمت هذه الصراعات في تشكيل خريطة النفوذ البحري في البحر المتوسط، مما عزز من أهمية القوة البحرية في التنافس بين الإمبراطوريات الكبرى آنذاك.

=بالوصول إلى الخليج العربي كما فتحت في عهده طرابلس 1551، جربة 1560، إشتهر بإصلاحاته الإدارية و القانونية و هو ما أكسبه إسم القانوني توفي في 7 سبتمبر 1566. صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، تر: منى جمال الدين، ط 1، دار النيل للطباعة و النشر، القاهرة، 2014 م، ص ص: 102-114.

(1) خليل اينالجيك، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة مُجد م. الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، ط 1، 2002م، ص 9. أنظر أيضاً: الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي 1288-1916، د.م.ج، ط 2، 2011. ص 16.

(2) عبد القادر فكايير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (910-1206 هـ/ 1505-1792 م)، دار هومة، 2012، ص: 20. ينظر: مُجد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بروس (1512-1543)، ط 1، دار الأصالة، الجزائر، 2012م، ص ص: 99، 100.

1-2 تأسيس الحكم العثماني في الجزائر :

ارتبط تأسيس الحكم العثماني في الجزائر بظهور الأتراك العثمانيين في البحر المتوسط، وتقدمهم نحو سواحل إسبانيا الشرقية، وكذلك سواحل شمال إفريقيا، فقد كان العثمانيون يمثلون الإسلام وعرفت الحروب التي قامت بينهم بالجهاد البحري ومن هنا بدأت أولى ملامح العلاقات العثمانية بالجزائر فلقد كانت السفن العثمانية تنخر عباب البحر الأبيض المتوسط بقيادة بحارة عثمانيين سوف يلعبون دوراً مهماً في المستقبل خصوصاً في ربط شمال إفريقيا بالدولة العثمانية (1).

وعرفت الجزائر مع بداية القرن الـ 16م حالة من الاضطراب السياسي، والفوضى العارمة التي كانت تعم المجتمع الجزائري في ذلك الوقت ويدل على هذه الفوضى ما عبرت عنه الشواهد الآتية:

- انتشرت الفوضى في كل مكان، وكانت الجزائر مقسمة إلى: مشيخات و إمارات و قبائل مستقلة : مشيخة الجزائر تتصدرها قبيلة الثعالبة ، و إمارة كوكو التي تشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى أما القسم الشرقي من بلاد القبائل و عاصمته قلعة بين عباس فقد كان تابعا للأمير الحفصي عبد العزيز (2)، و من ثمة فإن حكم ملوك بني زيان قد إقتصصر على تلمسان و ضواحيها ، حيث كان سكان الولايات القسنطينية وسكان مدينة الجزائر، وأهل الشرق الوهراني لم يبقوا معترفين بسلطة عليهم (3).

وعرفت الجزائر مطلع القرن السادس عشر (4) حالة من الفوضى و الإضراب السياسي و يمكن وصف الوضع في تلك الفترة بثلاث عبارات : فوضى و تفهقر ، و انحلال و هذه العبارات

(1) سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 - 1830)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، 2012م، ص: 12 - 13.

(2) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2، د.م . ج ، الجزائر ، 2007 ، ص: 08.

(3) عائشة غطاس ، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، 2007 ، ص: 11، 12 .

(4) خصص البكري في القرن الحادي عشر بضعة سطور فقط لذكر مدينة الجزائر، بينما وصفها الإدريسي في القرن الثاني عشر بأنها مركز تجاري مزدهر. وفي الفترة ذاتها، أشار المراكشي إلى أنها مدينة صغيرة تابعة لقبيلة بني مرزغنة. أما في القرن السادس =

الثلاث كانت تعكس صورة الجزائر في ذلك الوقت و هو ماعبر عنها المؤرخ توفيق المدني في كتابه حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا كما عبر عنه أحد الجواسيس الإسبان " إن كامل بلاد شمال إفريقيا يجتاز فترة إنحيار نفسي يظهر أن الله قد أراد منحها لصاحي الجلالة المسيحية"⁽¹⁾ وفي أواخر القرن 15 كانت وهران تبدو وهي في ظل حكم السلطة الاسمية لبني زيان في صورة جمهورية تجارية حقيقية مستقلة ، أما مدينة بجاية فقد كانت في نفس ذلك العصر تكتسب ثروة طائلة وبصفة مستقلة من التجارة الواسعة التي كانت تتم مع البلاد الايطالية.⁽²⁾

كما كانت مملكة تلمسان تشمل بصفة غير محددة الغرب الجزائري الحالي وكان رجال الدولة في أواخر القرن الخامس عشر قد تمتعوا بنوع من الحرية و إستقلوا عن السلطة المركزية، فكان أدياء الملك لا يجدون صعوبة في عملية جمع الأنصار من أجل محاربة السلطان القائم، وكان الأبناء يشورون، ويقومون بخلع آبائهم كما أن الأبناء في ذلك الوقت منشغلين بجروبهم مع بعضهم من أجل اقتسام ملك أبيهم⁽³⁾.

نتيجة لهذه الظروف شهد الاقتصاد تدهورًا ملحوظًا ، وعمت الفتن، والفوضى في أوساط المجتمع الجزائري، مما أدى إلى وقوع الناس في حالة من الفوضى والاضطراب.⁽⁴⁾

=عشر، فقد أعرب العبدري عن أسفه لحالة المدينة العلمية، مؤكداً ندرة المثقفين وأهل المعرفة فيها. غير أن القرن الخامس عشر شهد إشعاعاً فكرياً بارزاً بفضل العلامة سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ما يبطل الادعاء بأن المستوى الثقافي للمدينة كان متدنياً، ويؤكد أن الحركة العلمية لم تندثر كلياً. ومع ذلك، فإن هذا الحراك الثقافي لا يزال حديث العهد، إذ لم تبرز الجزائر تاريخياً كمركز علمي ينافس مدناً عريقة مثل تونس وبجاية وتلمسان، التي اشتهرت بأدباءها وعلمائها ، ومع بداية القرن السادس عشر حكم مدينة الجزائر سالم تومي و بتحديد سنة 1510 وهو ينتمي إلى قبيلة الثعالبة فرع بني تومي ، و هي السنة التي سقطت فيها بجاية ، فأصاب مدينة الجزائر هلع شديد و قرر مجلس أعيان المدينة توقيع معاهدة الاستسلام، كورين شوفالييه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510 ، 1541 ، تر: جمال حمادة ، د.م. ج ، 2007 ، ص: 11، 23 .

⁽¹⁾ أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا ، 1492-1792 ، ط2 ، ش.و.ن.ت، الجزائر ، 1976 ، ص : 68 .

⁽²⁾ نفسه ، ص : 69 .

⁽³⁾ نفسه .

⁽⁴⁾ محمد السعيد قاصري ، مقارنة تاريخية بين نظام الحكم العثماني في الجزائر وبين نظام الحكم في دولة الأمير عبد القادر ، المجلة التاريخية الجزائرية، ع3، 2017م، ص 88.

1-2-1 استقرار الإخوة بارباروسة:

لم يكن التدخل العثماني في المغرب العربي متوقعًا، ولم يكن مطروحًا داخل أروقة الدولة العثمانية. كما أن هذا التدخل لم يكن نتيجة لتخطيط عثماني مسبق، بل فرضته الظروف السائدة آنذاك، خاصة بعد الغزوات الإسبانية المتكررة على سواحل المنطقة وظهور عروج من أجل الدفاع عنها و استرجاع أهم السواحل الواقعة ناحية الشرق الجزائري: جيجل و بجاية⁽¹⁾ ودخل الإخوة مدينة الجزائر التي كانت تحت حكم سالم تومي الذي قتل على أيدهم في أوت 1516م⁽²⁾

فقد تسلم اخوه خير الدين السلطة من بعده وطلب من السلطان العثماني سليم الاول أن ينطوي تحت سيطرة حكمه نتيجة المبادرة التي اشترك فيها أهل الجزائر. فالمبادرة لم تكن سوى رد فعل على التدخل الإسباني، وبعد أن استقرت الأمور، توحدت الجزائر، وأصبحت دولة تحكم كأي دولة كبرى.⁽³⁾

و إشتهروا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وفي الممالك المسيحية بإسم : الإخوة بربروسا⁽⁴⁾ بسبب غزواتهم البحرية العظيمة ، فجابوا البحار وقدموا مساعدات جلييلة لمسلمي

⁽¹⁾ مُحمَّد بن عبد الرحمن ، الزهرة النيرة بما جرى للجزائر حين غارت عليها الجنود الكفرة ، مخطوط ، مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، كلية الآداب ، الجزائر ، 1978 ، ص 2-32 .

⁽²⁾ - Digo de haedo ,topographie et histoire général d'alger(la vie à Alger au sezième siècle) ,traduction de l'espagnol et notes de a.berbrugger et dr.monnerneau.presentation de abde rrahmane rebahi,3ed grand alger,2007,p:26

⁽³⁾ مؤيد محمود حمد المشهداني ، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 - 1830 ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5 ع 16، 2013م، ص 413.

⁽⁴⁾ الإخوة بربروسة : هناك إختلاف بين المؤرخين ويراد بكلمة بربروس ذوي اللحية الحمراء أو الشقراء أو الصهباء أو الزعراء ، و هي صفة أطلقها عليهم المؤرخين الغربيون ، يقال والدهم من العناصر الإسلامية و بقايا الجيش العثماني الذي فتح بلاد اليونان ، و أهمهم أندلسية الأصل و هناك من يقول بأنهم من أصول ألبانية و البعض الآخر يشير إلى أنهم ينحدرون من جزيرة ميديلي في بحر إيجه و أغلب المصادر تشير إلى أنهم من أصل تركي ، و هم أربعة إخوة : مُحمَّد إلياس ،إسحاق ،عروج ،خير الدين . عائشة غطاس ،المرجع السابق، ص: 19،20 . أنظر :إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار،ج1، ط1، المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر، 1894، 359. أنظر أيضا : مذكرات وليام شالر ،القنصل الأمريكي في الجزائر، ترجمة: إسماعيل العربي، دار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 40 .

الأندلس و ساهموا في نقلهم من السواحل الإسبانية إلى شمال إفريقيا . عمل الإخوة في خدمة سلطان تونس الحفصي، وغيره من الحكام المحليين ففي أكثر الأوقات كان الرياس (القباطنة) العثمانيون يتصرفون بمبادرة ذاتية تماماً وكثيراً ما كانوا يعملون في عملية الجهاد البحري باسم السلطان الحفصي⁽¹⁾.

فإستقر الإخوة في تونس و إتخذوا من جزيرة جربة قاعدة لنشاطاتهم البحرية ومساعدة المسلمين الأندلسيين الفارين من إسبانيا ، كما سمح لهم السلطان الحفصي أبا عبدالله محمد من إستخدام ميناء حلق الوادي فتمكنوا من إنشاء قاعدة بحرية و إستراتيجية قريبة من طرق الملاحة التي كانت تعبر بجزيرة صقلية و تمكنوا من تكوين أسطول بحري يضم إثنين عشر سفينة و ألف رجل⁽²⁾.

1-2-2 انضمام الجزائر إلى الخلافة العثمانية :

كما أشار نيقولاي في كتابه إنه من الصعب التأكد من تاريخ محدد لدولة الجزائر التابعة في عملية التحول إلى ولاية عثمانية عادية فهناك من يرجع تاريخ إنضمام الجزائر إلى سنة 1514 م و ما قام بإرساله السلطان سليم الأول إلى الإخوة بربروس من معدات عسكرية و هدايا فخرية⁽³⁾ . فالتساؤل المطروح هنا هو كيف أصبحت الجزائر ولاية عثمانية تحت الحكم المباشر للباب العالي ؟، حيث يمكن القول بأن هناك عدد كبير من المؤرخين لا سيما مؤرخي المدرسة الفرنسية، لا يلاحظون هذا الفارق ويكتفون بالتركيز على مجرد حقيقة الفتح العثماني للجزائر⁽⁴⁾.

-Henri Grammont , histoire d'alger sous la domination turque (1515-1830),ernest leroux,rue bonaparte, paris,1887, p:20.

⁽¹⁾ نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 – 1574، تر: يوسف عطا الله، دار الفارابي، ط1، 1988م، ص 95.

⁽²⁾ عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص : 20.

⁽³⁾ محمد دراج ، المرجع السابق ، ص : 4 لمعرفة أسماء الأمراء والملوك المعاصرين للسلطان سليم ينظر الملحق رقم 05، ص 356.

⁽⁴⁾ نيقولاي ، المرجع السابق ، ص 109 .

أما المؤرخون الأتراك المعاصرون فيعتبرون المسألة عبارة عن نتيجة لتلك الزيارة التي لقبت بـ " الزيارة التاريخية"، ويذكرون أن زيارة خير الدين بربروس كانت الهدف منها: الإعلان عن قرار الجزائر الطوعي بالانضمام إلى السلطنة العثمانية، فمهما كانت صحة هذا الأمر فإن أحداث عام 1533م كان لها تأثير كبير وبالغ الأهمية على مصير البلاد، حيث قادت الجزائر رسمياً إلى السلطنة العثمانية.⁽¹⁾

و رغم هذا يمكننا القول بأن إنضمام الجزائر جاء قبل هذه الفترة وهو ما جاء في النقاش الذي دار بين أعيان الجزائر و خير الدين بعد تكالب الأوضاع عليه ومحاوله ترك الجزائر والإلتحاق بإسطنبول بعد مقتل أخوه عروج في نهر المالح 1518⁽²⁾ وهو ما جاء في كتاب غزوات عروج و خير الدين : "... أنا بقيت في بلادكم منفردا غريبا لا ناصر لي و لا معين ، و قد رأيت ما وقع من سلطان تلمسان و ما أجلب به علينا من النصارى ..."⁽³⁾.

فهذا الحوار كان معبراً عن الوضع الحرج الذي يمر فيه خلال تلك الفترة و خصوصاً ما تعرض له من المناطق الحفصية المجاورة ومن الإسبان و محاولة القضاء عليه بعد إستشهاد أخيه قرب نهر المالح سنة 1518 م⁽⁴⁾ ، و أيضاً ما أسفر عنه بني زيان في تلمسان وتحالفهم مع الإسبان بمدينة وهران التي احتلوها في سنة 1509 م⁽⁵⁾ . بعد أربع سنوات من احتلال المرسى

(1) نفسه .

(2) ذكر كورين شوفالييه : أنه قتل في ماي 1518 م على يد الإسبان وكان موته خسارة كبيرة و ثقيلة . كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، 36 .

(3) مؤلف مجهول ، غزوات عروج و خير الدين ، تصحيح و تعليق نور الدين عبد القادر ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1934 ، ص : 44.

(4) وليام شالر، المصدر السابق ، ص : 40 . ينظر : أحمد بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني ، ط1، تح: المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2013 ، ص : 559 .

(5) غادر أسطول من ميناء قرطاجنة في 16 ماي وأبحر باتجاه المرسى الكبير، وهي مدينة تقع بالقرب من وهران وكان خاضع للسيطرة الإسبانية من سنة 1505 ، و كان مكون من ثلاثة و ثلاثون سفينة و حوالي خمسين قارب يحملون أربع و عشرون شخص ، وصلوا المرسى الكبير في 18 ماي متجهين نحو وهران في 19 من نفس الشهر .

الكبير في 1505 م ، وبقيت تحت سلطتهم إلى تحريرها سنة 1792⁽¹⁾، كما رأى إستحالة في البقاء مع غياب الإمدادات العسكرية من قوة تساعد في طرد العدو، فوقع أنظاره على الباب العالي و خير الجزائريين إما البقاء و إلحاق الجزائر بالباب العالي أو التخلي عن الجزائر⁽²⁾.

و في سنة 1519 م أرسل أعيان مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول رسالة إستنجد ينشدونه فيها الحماية والإنضمام إلى الدولة العثمانية .و تعد هذه الرسالة أول وثيقة في تاريخ العلاقات العثمانية الجزائرية و قد ورد فيها : " و ما فاد ما يريد عبيدكم إعلامه لمقامكم العالي هو أن خير الدين كان قد عزم جنابكم العالي . إلا أن عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لا يرتحل خوفا من الكفار إذ هدفهم هو النيل منا ، و نحن على غاية الضعف و البلاء ... " (3).

و بموافقة السلطان العثماني على هذا الطلب أصبحت الجزائر ولاية عثمانية ومنح خير الدين رتبة بايلرباي وهي رتبة تخول صاحبها اختصاصات إدارية وسياسية واسعة متشعبة كما تجعله قائداً أعلى للقوات المسلحة في إقليمه ممثلاً للسلطان العثماني⁽⁴⁾.

لقد كان الجزائريون طيلة فترة الجزائر العثمانية يتنافسون أتراكاً وعرباً في أعمال الخير المختلفة والمتنوعة، فكانت أعمال الخير تشمل الأوقاف الطائلة على المدارس و المساجد، والمنشآت العامة، وكانت دور العلم عامرة وحلقات الدروس خاصة بالطلاب في كل مساجد المدن الكبرى⁽⁵⁾.

(1) إسماعيل سرهنك ، المرجع السابق ، ص 356.

(2) عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص : 24 .

(3) نفسه ، ص : 25 .

(4) نفسه . - ينظر : صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي " 1514 - 1830 ، ط2 ، دار هومة ، الجزائر 2007 ، ص : 82 .

- Henri grammont , op -cit , p:30.

(5) أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، د. ط، 1984م، ص ص 73 - 76.

لقد أعطى الحكم العثماني للجزائر اسمها الحديث الذي بدأت تعرف به منذ ذلك الوقت بعدما كان مقتصرًا فقط على المدينة التي أصبحت مركزاً للحكومة العثمانية أو كما وردت في التقسيمات الإدارية تحت إسم " دار السلطان " ⁽¹⁾ أما بقية المناطق فقد قسمت إلى : بايلك الشرق و بايلك الغرب و بايلك التيطري ⁽²⁾ ، وقام العثمانيون بإدخال مفهوم الحدود السياسية إلى المغرب العربي الحديث بعد عملية القضاء على مواجهة الخطر الأوروبي المحيط بهم ، فقد تمكنوا من تحرير حصن البنيون سنة 1529 م و بجاية سنة 1555 وهران في سنة 1792م وغيرها من الإنتصارات التي أكسبت الجزائر وحدتها السياسية و الإقليمية ⁽³⁾.

تمّ الإعلان رسمياً عن تبعية الجزائر للدولة العثمانية من خلال منح خير الدين لقب بيكلريك. ، أو بايلر باي بمعنى " أمير الأمراء " ونائب السلطان والعامل باسم الباديشاه، وبهذا الأمر تكونت ولاية الجزائر ودعي للسلطان العثماني على المنابر، وضربت العملة باسمه، وقامت إدارة الجزائر بالخضوع لإدارة خاصة ضمن منظومة أوجاقات الغرب. ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ دار السلطان : يعتبر المقاطعة المركزية في الجزائر خضعت لتنظيم محكم و هي تتكون من ثلاث مناطق : فحص مدينة الجزائر ويشمل السفح الشرقي للساحل مكوناً ريف مدينة الجزائر وينقسم هذا الفحص إلى سبع دوائر: فحص بوزريعة ، فحص بئر مراد رابيس ، فحص زواوة ، فحص زوجة ، فحص بئر الخادم ، فحص القبة ، فحص الحامة ، يوزع الباقي من دار السلطان على الأوطان : منطقة شرشال ، قبيلة بني مناصر ، ساباو ، يسير . عائشة غطاس، المرجع السابق ، ص : 144.

⁽²⁾ بايلك الشرق و الغرب و التيطري : يعتبر بايلك الشرق و عاصمته قسنطينة من أكبر البايلك بحيث يتربع على مساحة واسعة ، و يأتي بيالك الغرب في المرتبة الثانية من حيث المساحة وبداية الأمر كانت عاصمته مازونة

ثم معسكر ثم وهران ، و يأتي في المرتبة الأخيرة بايلك التيطري و هو أصغر البايلك و أفقرها ثروة و عاصمته المدية . أحمد شريف الزهار ، مذكرات شريف أحمد الزهار ، تحقيق : أحمد توفيق المدني ، ط2 ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1980 ، ص : 47 ، 48 .

⁽³⁾ مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص: 48 .

⁽⁴⁾ مؤيد محمود حمد المشهداني ، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 – 1830م ، ص 416 – 417.

2/ مراحل الحكم العثماني في الجزائر:

مر الحكم العثماني في الجزائر بالعديد من المراحل، ومن ذلك:

❖ فترة البايبربايات (1519 - 1587م):

يعد عصر البايبربايات من أزهى عصور الحكم التركي في الجزائر⁽¹⁾، وهذا من خلال مآثره البلاد من تحسن في مختلف الميادين التعليمية و الاقتصادية و العمرانية وذلك بفضل رياس البحر و أبناء الجزائر في تثبيت دعائم الإيالة الجديدة و استتباب الأمن و الاستقرار⁽²⁾ ومن بين أهم البايبربايات : خير الدين بربروس ، حسن آغا حسن بن خير الدين ، صالح راييس و عالج علي الذين ساهموا في الدفاع عن حدود الدولة العثمانية، و يبدأ عصر البايبربايات ببداية تاريخ إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية في سنة 1519م وتعيين خير الدين بايلرباي⁽³⁾ عليها من قبل السلطان العثماني من خلال تزويده بقوة عسكرية وأسلحة وذخائر، فقد جاء هذا التعيين من أجل أن يدعم سلطة خير الدين في البلاد، فقام باتخاذ مركزه في مدينة الجزائر⁽⁴⁾.

وتم تعيين أحمد بن القاضي حاكماً على بلاد القبائل واشتهرت إمارة كوكو بمقاومتها للوجود العثماني في الجزائر بعد أن كان حليفاً لهم ، حيث خاض أحمد بن القاضي صراعات مع العثمانيين، خاصة ضد الباشا رمضان، في محاولة للحفاظ على استقلال إمارته وكان سياسياً محنكاً، وتحالف في بعض الفترات مع الإسبان في بجاية لمواجهة العثمانيين، لكنه لم يتمكن من الصمود أمام القوة العثمانية المتزايدة، مما أدى إلى تراجع نفوذ إمارته. رغم ذلك، لعبت إمارة كوكو دوراً مهماً في تاريخ الجزائر خلال تلك الفترة، خاصة في منطقة القبائل الكبرى، أما من

⁽¹⁾ محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية ، ط2 ، تح : محمد بن عبد الكريم ، ش.و.ن.ت. الجزائر ، 1981 ، ص : 35 .

⁽²⁾ أبي الحسن التيمقروني ، النفحة المسكية في السفارة التركية ، تقديم وتعليق سليمان الصيد المحامي، دار بوسلامة للطباعة و النشر والتوزيع ،تونس ، 1988 ص 91 . ينظر : عمار بوحوش ، المرجع السابق ، ص : 61 .

⁽³⁾ بايلرباي : هذا اللقب الشرفي هو عبارة عن كلمة عثمانية تعني أمير الأمراء ، و هو تكريم من قبل السلطان يمنحه لأمر منطقة ما مع الكسوة و تكليفه بمهام إدارة المنطقة . عمار بوحوش ، التاريخ السياسي من البداية لغاية 1962 ، ط2 ، ، دار البصائر ، الجزائر ، 2008 ، ص 57 .

⁽³⁾ - henri grammont , op –cit , P:30

الناحيتين الشرقية والغربية، فلم ينعم الحفصيون والمرينيون بالراحة بسبب تولية خير الدين ، وأخذ كل واحد يدبر المؤامرات ضد خير الدين ونظامه، فالإسبان من جانبهم قد نظموا حملة عسكرية لمواجهة خير الدين قادها الدون "هيغو دي مونكادا" hougodemoncade ونزلت بوادي الحراش في 17 أوت 1518م⁽¹⁾.

يذكر كورين شوفالييه : " لقد فقد سكان مدينة الجزائر عقولهم و صوابهم وأرادوا الفرار حاملين معهم ثرواتهم و نسائهم وأطفالها ، لكن باربروس منعهم من الخروج من المدينة و جهز مواقعه و تحصيناته وهو لا يمتلك جيشاً كبيراً وخاصة بعد الهزيمة و الخسارة التي مني بها عروج ويتكون جيشه من خمسة إلى ستة آلاف رجل فقط سيحاربون الجيش الإسباني الذي جاء من البر ، ويقفون في وجه هيغو دومونكاد البحري الذي يضم 30 سفينة 8 سفن حربية و بعض القوارب التي ظهرت في ميناء مدينة الجزائر ... " ⁽²⁾ . ولكنها قد أصيبت بهزيمة شديدة، وفقد الإسبان أسلحتهم وعتادهم وكان من ضمن أسباب هزيمتهم تأخير عملية الإمدادات من الزيانيين المتحالفين معهم من تلمسان⁽³⁾.

وظن الإسبان أن عملية رحيل خير الدين سيعمل على تسهيل احتلال الجزائر، وطرد حلفائه منها فقاموا بالتركيز على موانئ تونس، واحتلوا الكثير منها وشارك في النزاع ضدهم خير الدين نفسه، ثم رأوا أن يضربوا الجزائر نفسها، فقاموا بإعداد حملة كبيرة قد استغرق إعدادها عدة أشهر، وقادها ملكهم شارل كان نفسه، فقد نزل بجهة حسين داي في عاصمة الجزائر يوم 23-10 1541 وكان مصيرها الفشل مثل باقي الحملات السابقة⁽⁴⁾.

و من الأعمال التي حققها خير الدين في عام 1521 السيطرة على القل، ثم عنابة وقسنطينة في سنة 1522م، وقام بوضع حاميات من الانكشارية قدرت بنحو 200 جندياً من الجنود في

⁽⁴⁾ - ibid , P:31-32.

⁽²⁾ كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 39 .

⁽³⁾ يحيى بو عزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر، د.م.ج ، (القسم الثالث: الجزائر الحديثة)، ج 2 ، ط2، الجزائر ، 2009، ص : 17 .

⁽⁴⁾ نفسه ، ص 18.

المدينة الأولى، و600 جندياً في المدينتين التاليتين يرأسهم ضباط يسمون العسكر، لقد كان قائد الحامية القسنطينية يسمى يوسف حيث أعطى الحرية في عملية اتخاذ السياسة التي يراها مناسبة مع السكان، وحثه خير الدين على عملية تحسين علاقاته بالسكان خاصة وأن قسنطينة يصعب تموينها من البحر، ويتحتم تموينها عبر الأسواق المحلية؛ لذا فقد ربط القائد يوسف علاقة جيدة مع الشيخ الفكون (الجد) الذي مكنه من الاتصال بأولاد يعقوب الذواودة الذين يتحكمون بمناطق واسعة بقسنطينة وتعهدوا بتزويد الأتراك بالمؤن مقابل عملية الحصول على البارود بصفة كافية⁽¹⁾.

بعد عملية انسحاب خير الدين من تونس عقب استنجد الحسن الحفصي بشارلكان عام 1535م، عرجت قواته إلى قسنطينة، ولكن تم منعها من عملية الدخول، فقام القائد يوسف، والشيخ الفكون بالتدخل، وقاموا بإقناع الجيش بمحاولة التمركز خارج المدينة والحصول على ما يكفي من المؤن لهم، وعندما عين حسن أغا قبطاناً على البحرية العثمانية خلفه حسن قورصو بايلر بايا على الجزائر وقد وضع عدة حاميات تركية في أماكن مهمة بقسنطينة ما بين 1540 و1541 وفي زمورة، برج بوعريج، ومسيلة، وبويرة، ولقد لعب الصراع بين القبائل دوراً مهماً في عدم استقرار الترك بالمنطقة وتوصلت الأطراف المتنافسة إلى حل بأن يستقر الحنانشة شرق البلاد والذواودة غربها، وتم تعيين بوعكاز بن عاشور على الذواودة شرق قسنطينة وعبد العزيز من قلعة بني عباس على مجانة عام 1542م⁽²⁾.

وفي عهد البيلربايات شاركت الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية في نجدة فرنسا 1542-1543 وحصار مالطا 1565، و معركة ليبانت 1571، و في فتح تونس 1574. كما تميزت هذه المرحلة بمحاولة إرساء الحكم العثماني وإدخال العديد من التنظيمات الإدارية و نشأة لنواة كيان سياسي بمحدوده و عاصمته و اقاليمه.⁽³⁾

(1) حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية - وهران، الجزائر، 2009م، ص 4.

(2) نفسه.

(3) مراد الثالث: "1546-1595" لمزيد من التفاصيل ارجع الى: فريد بك، المرجع السابق، ص: 259-266.

❖ فترة الباشوات (1587 – 1659م):

لقد تم تغيير نظام البايلرباي بنظام الباشوات بأمر من السلطان العثماني مراد الثالث⁽¹⁾ بعدما ارتأت الدولة أن تقوم بإدخال مجموعة من التعديلات على الحكم الجزائري و حددت فترة الباشوات بثلاث سنوات⁽²⁾، حيث وجدت أن ولاية الجزائر أصبحوا يحكمون القطر حكماً مطلقاً، ويقومون بالتصرف في شؤونه بكل حرية رغم اعترافهم بسيادة الباب العالي عليهم حتى طمع بعض الولاة في عمل مملكة تضم المغرب الإسلامي، فقد حاولوا وضع حد أمام سلطة جيش الانكشارية المجندين من بلدان الأناضول من خلال الاعتماد على الفرق المجندة من القبائل الجزائرية من العرب وغيرهم، ولكن طموحاتهم لم يطمأن لها الحكام العثمانيون في اسطنبول فقد بدأت الدولة العثمانية تشتم رائحة التمرد والإنفصال عنها والإستقلال بهذه البلاد فقاموا بتغيير النظام من خلال أسلوب جديد في الحكم وهو نظام الباشوات الجديد فقد اقتضى ذلك حذف البايلر باي الذي كان يحمله حاكم الجزائر وصار يلقب بالباشا من أجل إحكام سيطرتها على البلاد⁽³⁾.

إن الدافع الكبير الذي أدى إلى عملية استحداث نظام الباشوات هو الرغبة الشديدة في عملية إحكام سيطرة العثمانيون على البلاد ومنع حدوث التمرد ضدها، لكن الأمور قد سلكت مسلكاً مغايراً تماماً، فلقد بدأ ديوان الأوجاق يزداد نفوذه وتزداد سيطرته خلال هذا العهد، وتدرج من أجل التخلص من سيطرة العثمانيين وتلاقت جهوده مع جهود الباشوات من أجل تجسيم هذا الاتجاه وإبرازه⁽⁴⁾.

(1) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: 48.

(2) ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ " العهد العثماني "، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 14. ينظر:

-Diego de Haedo,op-cit,pp234,235.

(3) يحيى بو عزيز، المرجع السابق، ص 34. ايضاً لمزيد من التفاصيل حول تعيين الباشوات:

-Joao Mascarenhs,Esclave à Alger " récite de captivité de joao mascarenhas 1626-1626" ,trad de portugais,édition chandingene,pp92-93 .

(4) يحيى بوعزيز، نفسه.

فلقد شجع الباشا خضر " 1589-1592م " طائفة الرياس من أجل الغزو البحري، وسعى من أجل وضع حد للامتيازات التي كانت تخص التجار الفرنسيين في ساحل عنابة والقالا، وقام بالأمر بهدم المركز التجاري لديهم وأسر الأشخاص المشتبه في أمرهم ، ولم يستطع خلفه أن يعالج الموقف كما تريد الدولة العثمانية؛ لأن الديوان قد عارض أوامر وتعاليم السلطان التي حملها إليه مبعوثه الخاص الآغا مصطفى القابجي القاضية بإعداد المركز الفرنسي، وإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين.⁽¹⁾

عندما تم الفتح المبارك وسافر الباشا سنان قام الانكشاريه بعده فضبطوا حكمهم في تونس وقاموا بتمهيد قواعده، وقاموا أيضاً بتدعيمها، واستمرت البلاد بأيديهم خلفاً بعد سلف، وقاموا بإصلاح ما فسد من أسوارها وقلعتها وقاموا بجعل دار الإمارة بها وهي المعبر عنها بدار الباشا⁽²⁾.

وجعلوا أيضاً دار الديوان من أجل أن يرسم بها عند التشاور في أمور البلاد وسنوا لهم مجموعة من القوانين لتطبيق الأحكام على الجزائر، فجعلوا المتصرف في البلاد ، والمتصرف في أمور المرتبات ودفعها والنظر في أمور العامة من المناطق والإقطاعات، وما ينضاف إلى ذلك هو الباشا الوارد من الاعتبار العثمانية، فكلما ذهب باشا خلفه باشا ولا يكون إلا بتولية الاعتبار العثمانية، وجعلوا نظر العساكر لأغاثهم وجعلوا ولاية لجمع الجبايات⁽³⁾.

وقاموا بتدوين الدواوين وخرج الولاية لجباية الأموال على مقتضى تلك الدواوين وجعلوا تفرقة المال الذي تجبیه البايات على العساكر في دار الباشا على مقتضى مراتب العساكر فانتشرت الأعلام والأحكام في أقاليم إفريقيا، وخطب الخطباء باسم السلاطين العثمانية وضربت السكة باسمهم وتوجهت الآمال نحوهم وانضفت إفريقيا إلى السلطنة العثمانية.⁽⁴⁾

(1) نفسه، ص 35. ينظر : إتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989 ، ص: 772 .

(2) محمود مقديش، نهضة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الاسلامي، ج2، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1988 م، 85 .

(3) نفسه .

(4) نفسه ، ص 86

لقد اتسمت مرحلة الباشوات بانتشار الفوضى، والاضطرابات السياسية لتحديد فترة الحكم فيها إلى ثلاث سنوات، فلقد انكب الولاة المعينين من طرف الأستانة على جمع الأموال؛ إما إثراء لأنفسهم، أو من أجل تعويض ما صرفوه من أموال من أجل شراء هذا المنصب إلى حد قد جعل زمام السلطة ينفلت من أيديهم لصالح الانكشارية التي أخذت تقحم نفسها في الشؤون السياسية العليا في البلاد وهي عبارة عن أمور لم تكن من اختصاصهم.⁽¹⁾

مما أدى إلى تدمير الأهالي من هذا التسبب الإداري و في بعض الأحيان كان الباشوات يضطرون للهروب نظراً لدخولهم في صراعات مع الإنكشاريين أو طائفة رياس البحر، ودامت فترة الباشوات مايقارب 72 سنة تعاقب خلالها على الحكم حوالي 27 باشا عاد بعضهم إلى الحكم منهم أربع مرات و إقتصرت على العنصر التركي العثماني⁽²⁾.

وقد عرف عهد الباشاوات عدة إنتفاضات أفقدتها سيطرتها فتراجعت منها: انتفاضة تلمسان 1627م التي تلتها انتفاضة الكراغلة الأولى عام 1629م – 1630م، والثانية عام 1633م؛ ليشهد الجنوب الجزائري تمرداً شعبياً هو الآخر دام قرابة عشر سنوات في الانتفاضة التي عرفت بإنتفاضة "ابن الصخري"، و تمرد أولاد عبد المؤمن بقسنطينة وأولاد مقران بمجانة عام 1643م.⁽³⁾

❖ فترة الأغوات (1659 – 1671م):

قرر الديوان في سنة 1659 إلغاء منصب الباشا و إسناد السلطة إلى قادة الاوجاق لقد دخلت الجزائر مرحلة جديدة هي مرحلة تسمى بالأغوات⁽⁴⁾، وقد كانت سياسة الباشا إبراهيم سببا في إضرار الفتيل الذي اشعل نار ثورة الجند و ذلك بسبب إمتناعه عن دفع أجور الجند و إقطاع مبلغ من المكافأة الموجهة لطائفة رياس البحر المرسله من قبل السلطان العثماني وبذلك

(1) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق، ص 277 .

(2) عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص : 49.

(3) كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2014م، ص 9 – 10.

(4) -henri grammont , op –cit , p:209

دخلت الجزائر مرحلة حاسمة سيطر فيها الجند على مقاليد السلطة⁽¹⁾. فبعد أن اعتلى البوكباشي خليل رأس السلطة في الجزائر بعد تمرد الانكشارية على الحكم في الجزائر بشكل كامل في مواجهة الباب العالي، حيث إنه بعد سيطرة الانكشارية على الحكم في الجزائر حدثت مجموعة من التطورات الخطيرة أثرت على السلطة العثمانية، فقد شملت هذه التطورات تحديد مدة حكم الأغا التي لم تتجاوز السنتين على أن ينظر الديوان في أموره بعد ذلك، بالإضافة إلى حصر نفوذه وتحديد مسؤولياته ومهامه⁽²⁾.

لقد كان لقب الأغا يعتبر لقباً تشريفاً للحاكم، وعملية تفخيم لسلطته، بل هو لقب فخري يفتخر به، بينما كان الديوان هو الحاكم الأساسي والحقيقي؛ لذلك كثرت عمليات الاغتيالات نتيجة للتآمرات والمكائد التي كانت تدبر نحو الحكام، لقد أثر هذا الأمر بشكل كبير على استقرار أوضاع الحكم في الجزائر، وأدى ذلك إلى ضعف القوة العسكرية؛ نتيجة لتعرضها للعديد من الضربات الأوروبية الصعبة والثورات الداخلية⁽³⁾.

كل هذه الأمور أدت إلى إدخال البلاد في حالة عارمة من الفوضى، فلم يستقر أغا واحد في الحكم أكثر من سنة، بل اشتد أكثر من ذلك، حيث أدت حالة التمرد من الانكشارية والأهالي إلى تغيير أكثر من خمسة أغوات خلال سنة 1671م، وهو ما أدى إلى عودة رياس البحر إلى الواجهة وإمساكهم بزمام الأمور داخل الإيالة؛ خوفاً من ضياع امتيازاتهم، وثرواتهم في البلاد، فقاموا بإلغاء نظام الأغوات، وتعيين واحداً منهم كحاكم وإطلاق عليه لقب الداى حيث كان أول داى يحكم من رياس البحر هو الحاج محمد⁽⁴⁾.

لقد أدت مجموعة من العوامل إلى خلق أزمة مالية شديدة، حيث لم تكن موارد الخزينة في ذلك الوقت كافية لسداد رواتب الجنود الانكشارية، فلقد بذل إبراهيم باشا جهداً جباراً في عملية جمع الأموال من خلال طرق غير شرعية من خلال ابتزاز أغنياء الدولة، وفرض العقوبات

(1) نفسه .

(2) سفيان صغيرى ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 - 1830 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2012م، ص ص 34 - 35.

(3) نفسه .

(4) نفسه.

والغرامات الإضافية على التجار والحرفيين وكل من يمكنهم الدفع ، غير أنه لم يفلح في مسعاه، لقد اشتد غضب الانكشارية على إبراهيم الذي عجز عن دفع مستحقاتهم، فلم يمهله، بل قاموا برمييه في السجن في 1659م خاصة أن ذلك قد صادف قدوم علي باشا الذي عين حديثاً من طرف الباب العالي.

فحمل الوالي الجديد معه فرماناً يأمر الجزائريين بتجهيز، وإرسال عمارة بحرية إلى المشرق مع عملية تعويض مالي مقابل مشاركتهم في عمليات حرب جزيرة كريت، لكن الوالي قد وجد نفسه في وضع حرج جداً ، إذا كان الانكشاريون في حالة أقرب من الهيجان ينتظرون بفارغ الصبر دفع رواتبهم المتأخرة في حين كانت الخزينة فارغة، ولما لم يجد بداً، فعزم على اقتطاع قسم من المال المرسل لطائفة الرياس، وعلى أثر هذا الأمر، ثارت طائفة علي باشا وتأزم الوضع.⁽¹⁾

ويعتبر نظام الأغوات عملية من أجل إيجاد نوع من الديمقراطية داخل الطبقة العسكرية التركية الحاكمة ، إذ أن مدة الآغا لا تتجاوز الشهرين ويخلفه في مهامه أكثر العسكريين أقدمية، بالإضافة إلى كون هذا النظام غير واقعي ولا علمي، وأنه يحمل في نفسه بذور الزوال، إلا أنه يتميز بظاهرتين:

✓ **الأولى :** أنه كان عبارة عن محاولة بارزة من أجل الانفصال عن السلطة العثمانية، والاستقلال بدولة الجزائر.

✓ **الثانية :** أنه كان عبارة عن انتقام من طائفة الرياس التي كانت كلمتها هي العليا في عهد معظم الباشوات.

لقد ظهرت بوادر ضعف هذا النظام منذ السنة الأولى من عملية استقراره ، فعندما انتهت المدة المقررة لولاية خليل آغا الذي كان أول آغا رفض التخلي عن مهامه، فثارت في وجهه كل طائفة الرياس وفرقة اليولداش وأعدمته وعينت مكانه رمضان آغا الذي اغتيل بدوره في شهر اوت من سنة 1671م بعد حكم دام ستة سنوات ، وقد تولى رمضان آغا بناء المسجد الجديد

⁽¹⁾ أمين محرز ، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671) ، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، د. ط، د. ت، ص 77 - 78.

الشهير بالجزائر وهكذا فقد تبين من أول عهد الأغوات استحالة تحقيق هذا النظام القائم على المساواة المطلقة بين القادة العسكريين.⁽¹⁾

❖ فترة الدايات (1671 - 1830) :

عجز قادة الجيش البري في تحقيق الأمن و الإستقرار في البلاد و تميز عهد الأغوات بالفوضى و إراقة الدماء و الإضطراب ، و بعد النظام العسكري المنتهي آلت مقاليد الحكم إلى طائفة رياس البحر القوة البحرية المنافسة للجيش البري و قد عرفت هذه المرحلة بداية حكم جديد عرف بعهد الدايات الذي ينقسم إلى مرحلتين تاريخيتين هما : المرحلة الأولى من سنة : 1671 - 1710 و المرحلة الثانية : من 1710-1830⁽²⁾ .

لقد كان الدايات في بداية عهدهم ينتخبون من طائفة الرياس التي قامت باسترجاع نفوذها بعد إلغاء نظام الأغوات، فرغم هذا الانقلاب الذي حدث في نظام الحكم ، فإن السلطان العثماني قد استمر في تعيين الباشوات -الباشا ممثل السلطان في البلاد -، إلا أن وجودهم في الجزائر كان شرفياً فقط؛ إذ جردوا من كل السلطات ، و أصبح الدايات منذ سنة 1689 ينتخبون لمدى الحياة⁽³⁾ .

لقد كان منصب الداى يتولاه في غالب الأمر أحد الشخصيات البارزة في الدولة وهم: الخزناسي والآغا وخوجة الخيل، إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة ، فقد كان بإمكان أي فرد أن يصل إلى منصب الداى.⁽⁴⁾

ويعتبر علي آغا (1665 - 1671م) هو آخر آغا عثماني حكم الجزائر، تم اغتياله سنة 1671م إذاناً بذلك نهاية نظام الأغوات الذي امتد فترته من 1587م حتى سنة 1671م، وتنصيب حكم جديد وهو نظام الدايات حيث قام رياس البحر بعد قيامهم بالثورة على الانكشارية بتعيين أحدهم وهو من أقدم رياس البحر الحاج محمد التريكي " 1671 - 1682 "

(1) مبارك بن محمد الهلالي الملي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، مكتبة النهضة الجزائرية، (د.ط)، (د.ت)، ج 3 ، ص : 172 .

(2) عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص : 54.

(3) أرزقي شويتم ، المجتمع الجزائري و فعاليتيه في العهد العثماني (1519 - 1830م)، دار الكتاب العربي، ط1، 2009م، ص 38.

(4) أرزقي شويتم ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800 - 1830م)، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، الإسكندرية، 1988م، ص 19.

دايا على الجزائر⁽¹⁾ بحكم دام إحدى عشر سنة و هي فترة طويلة نسبياً تعادل فترة حكم الأغوات كما أن نهايته لم تكن مأساوية و دموية مثلما كان الأمر في عهد الأغوات . بل إعتزل السلطة و تولى بعده صهره بابا حسن الذي غادر المدينة في شهر جويلية 1689⁽²⁾.

وجاء بعده أربعة و عشرون داياً كان آخرهم حسين باشا وهذا الأمر فقد دخلت الجزائر مرحلة جديدة من نظام حكم العثمانيين وهو نظام الدايات بدءاً من سنة 1671م وصولاً لسنة 1830م.

لقد اخذ الحاكم العثماني في الجزائر بداية من سنة 1671م يلقب بلقب الدايا وهو لقب شرقي فخري، وتدل هذه الكلمة على القايد أو القائد باللغة التركية وتعني (ألب) أي الخال، وأول من لقب لقب به هو محمد بكداش، كما أن لقب الدايا يطلق على أمراء ولاية تونس، حيث إن سنان باشا كان قد نظم الانكشارية في تونس، وجعل كلاً منهم أميراً، سمي بالدايا وهو لقب يشعره بالعظمة، وقد باشر الدايات مهامهم في الجزائر في السلطة منذ سنة 1671م ونجد من الدايات الأربع الأوائل حسين رايس و بابا حسن ولقد جمع الدايا حسين " ميزوموترو " في بادئ الأمر بين لقبى الباشا والدايا و أيضا الدايا إبراهيم⁽³⁾.

يتم تعيين منصب الدايا في الجزائر عن طريق إجراء انتخابات في حالة ما إذا توفي الدايا على سريريه، أو تم قتله وهو ما قد تكرر كثيراً، وقد أجريت هذه العملية في العديد من المرات وسط منافسة شديدة ، فقد كان الدايات في بادئ الامر من رجال رياس البحر ولكنهم فقدوا مكانتهم بعد استرجاع طائفة الانكشارية لمكانتهم ونفوذهم في السلطة فأصبح الدايا يتم انتخابه من رجال الانكشارية حيث يمارس من خلالها سلطته بشكل شبه مطلق ويخضع لسلطة الانكشارية رغم كل الصلاحيات والمزايا التي يتمتع بها فكان هناك نوع من ازدواجية السلطة و توتر العلاقات الخارجية و تمردات الجند المستمر⁽⁴⁾.

(1)-Henri grammont , op -cit , p:220

(2)عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: 55 .

(3)- henri Grammont , Ibid .

(4)سفیان صغيري، المرجع السابق ، ص ص 39 - 40.

وفي عهد الداوي حسن⁽¹⁾ أصبحت التجارة في أيدي اليهود وفي خدمة مصالحهم بالدرجة الأولى، ويرجع ذلك إلى أنهم عرفوا كيف يستفيدوا من الظروف الدولية وبحلولها إلى أداة يقومون باستغلالها من أجل تحقيق مكاسبهم، مركزين بذلك على تقديم معلومات إلى الدايات حول التحركات الأجنبية وتقديم الرشوة إلى الموظفين ومساعدة بعضهم على الوصول إلى مناصب عليا وغيرها من الأساليب التي تعود اليهود على استعمالها.⁽²⁾

لقد كان الداوي يتمتع بسلطات محدودة، وصلاحيات تم تحديدها من قبل هيئة الأوجاق، وكانوا يمثلون ضباط التركيبة الذين كانوا متواجدين في مجلس الدولة، وكان في عهده السهر على عملية تطبيق القوانين المدنية والعسكرية والإشراف على حصون المدينة، وتنظيم الجيوش، ومراسلة القبايل المختلفة؛ قصد تهدئتهم والمحافظة على أمنهم، وحماية القبايل من الظلم، والبحث عن السبل التي تكفل تحقيق ازدهارها فيظل السلام بعيداً عن مخاطر الحرب. ومن صلاحيات الداوي أيضاً تعيين الوزراء وغيرهم من أعضاء حاشيته، والإشراف على الشؤون المالية وتنظيم إدارتها على أحسن ما يرام.

وكان القادة العسكريين لهم سلطة كبيرة في الديوان، فهم الذين يكونون الديوان وكان عددهم في الهيئة ستون، يجتمعون كل يوم في الصباح في محل مخصص من أجل الاطلاع على الأعمال الإدارية ومراقبة الحكومة بمقتضى السلطات المخولة لهم بصفتهم هيئة عليا تتكون من قادة الأوجاق، فلا يحصل الداوي على مرتبة، إلا منهم وبحضورهم، وهم الذين يقومون بالانتخابات وتعيين العامل المبعوث من الباب العالي الذي يحمل قرار من جرى تعيينه وكانت الجزائر تتمتع بسلطة مستقلة تدير بها شؤونها.⁽³⁾

عمل الدايات جاهدين على التخلص من منصب الباشا وإلغاء إزدواجية السلطة وكانت المحاولات الأولى التي تقضي بذلك من قبل الداوي حسين ميزمورتو الذي نجح في الجمع

(1) الداوي حسن : حكم من سنة 1791 - 1798 ، في عهده عرفت العمليات الجهادية نشاطاً كبيراً وشكلت خطراً حقيقياً على السفن الأوروبية وغنمت غنائم كثيرة . إسماعيل سرهنك ، المرجع السابق، ص: 369 .

(2) بن صحراوي كمال ، الدور الدبلوماسية ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات ، رسالة ماجستير ، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي، مصطفى اسطيمبولي - معسكر، الجزائر، 2008م، ص 133.

(3) أحمد السليماني، تاريخ مدينة الجزائر، د.م.ج ، (د.ت) ص 43 .

بين السلطتين : سلطة الداى و سلطة الباشا في آن واحد غير أن التجربة لم تدم طويلاً و عادت الجزائر إلى إزدواجية السلطة ⁽¹⁾.

ومنذ سنة 1710 بدى واضح التخلص من إزدواجية السلطة و الجمع بين السلطتين بعد مساعي الداى علي شاوش الذي بادر إلى إلغاء منصب الباشا و أقر السلطان العثماني ذلك مما سمح للدايات كسب المزيد من النفوذ و فسح لهم المجال لممارسة سلطتهم بشكل فعلي ⁽²⁾. وتميزت هذه الفترة إلى غاية 1830 بشخصيات هامة و بروز سبعة عشر داياً من بينهم : الداى علي شاوش (1710-1718م)، مُحمَّد الخزناجي بن حسن (1718-1724م) ، والداى كرد عبيدي (1724-1732م) ، و إبراهيم الخزناجي (1732-1745م)، و إبراهيم كوجك (1732-1748م) ، و مُحمَّد بكير (1748-1754م) ، وعلي نقسيس أو بو صبع (1754-1766م) و مُحمَّد عثمان باشا (1754-1766) الذي يعتبر عهده من أطول الفترات حكماً و بقاءً في سدة الحكم ، الداى حسن (1791-1798) و الداى مصطفى باشا (1798-1791) والداى الحاج علي باشا (1809-1815) و الداى علي خوجة (1817-1818) وآخرهم الداى حسين (1818-1830) ⁽³⁾.

وعرفت الجزائر خلال عهد الداى حسين نوع من الإستقرار النسبي ، لكن توتر العلاقات الخارجية في عهده سرعت نهاية حكمه و سقوط الجزائر في بوتقة الإستعمار الفرنسي الغاصب .

3/ نهاية الحكم العثماني بالجزائر:

✓ الثورات الريفية :

لقد عرفت الجزائر في القرن التاسع عشر العديد من الثورات ، فكان من أهمها الثورة الدقاوية التي قادها كل من ابن الشريف، وابن الأحرش في شرق وغرب البلاد.

- ثورة ابن الأحرش :

⁽¹⁾ عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص : 57 .

⁽²⁾ نفسه .

⁽³⁾ نفسه ، ص ص : 58 - 60.

يعرف لدى العامة بابن الأحرش، أو بالبودالي⁽¹⁾ وأصله من عرب المغرب الأقصى فقد قيل إن ابن الأحرش قد جمع جيشاً من المغاربة والجزائريين، وانضم إلى الجنود المصريين من أجل محاربة الفرنسيين، وأظهر أثناء المعارك شجاعة كبيرة مما جعله يكتسب شهرة وصيتاً، فبعد أن مكث ابن الأحرش بعض الوقت في تونس انتقل إلى مدينة عنابة على ظهر إحدى السفن الإنجليزية، واستقر به المطاف في مدينة جيجل وهناك بدأ ابن الأحرش دعوته ويقوم بالإعداد لإعلان الحرب على السلطة الحاكمة في الشرق الجزائري، فقد تمكن من جمع عدد كبير من الأنصار وكان أول نشاط قام به هو تسليح السفن، وأمر بحارتها بالإغارة على السفن الفرنسية التي كانت تصطاد المرجان في السواحل الجزائرية الشرقية، واستولوا على إحدى السفن الفرنسية، وأسر أربعة وخمسين منهم، وبعد هذه الغزوة الناجحة قرر ابن الأحرش أن يعلن الحرب على السلطة الحاكمة.⁽²⁾

- ثورة درقاوة :

لقد عرفت مدينة وهران في العهد العثماني العديد من الاضطرابات العسكرية والسياسية والتي كان أطراف النزاع فيها بايات وهران المتعاقبين؛ دفاعاً على السلطة العثمانية، أما الطرف الآخر فهم أصحاب السلطة الدينية، أو الطرق الصوفية والمرابطون المتواجدون في بايلك الغرب. وتعد ثورة درقاوة من أخطر الثورات والاضطرابات بداية القرن التاسع عشر الميلادي في أواخر العهد العثماني وقد شملت المنطقتين الشرقية بزعامة مُجَّد إِبْن عبد الله المشهور بالبودالي إِبْن الأحرش الذي ثار على السلطة العثمانية في سنة 1804 والغريبة بزعامة شيخ الطريقة الدرقاوية عبد القادر ابن شريف الدرقاوي ما بين سنة (1805-1813)⁽³⁾ .

(1) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 م ، دار هومة ، الجزائر ، 2012 ، ص : 194.

(2) أرزقي شويتام ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره، (1800 - 1830 م) ، دار الكتاب العربي، ط1، 2011م، ص ص 89 - 93 . أنظر : حنفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط1 ، دار الهدى للطباعة و النشر ، الجزائر ، 2008 ، ص: 23 .

(3) سعد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519 - 1830 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، ص ص 131 ، 132. أنظر : حنفي هلايلي ، المرجع السابق ، ص : 23، 24 .

كان المرابطون ورجال الطرق الصوفية هم السلطة الروحية للجزائريين وهذا لما يقدمونه من خدمات تعليمية واجتماعية، وقد جعل هذا الأمر علاقتهم بالسكان علاقة روحية متينة عكس علاقة السكان بالسلطة العثمانية، وينتسب ثوار درقاوة إلى الطريقة الصوفية التي ترجع أصولها إلى الطريقة الشاذلية، حيث ظهرت هذه الثورة في عهد الباي مصطفى المنزالي الذي انهزم في معركة فرطاسة التي جمعه مع جيش الباي أحمد بن الشريف الدرقاوي، فانهمز الباي وتراجع إلى مدينة وهران، ثم قام الثوار الدرقاويون بإحكام سيطرتهم على معظم مدن بايلك الغرب واستولوا على معسكر العاصمة للبايلك بالإضافة إلى مدن مليانة ومازونة، والقلعة، وتلمسان، وتم القضاء على الحاميات التركية الموجودة في تلك المدن.⁽¹⁾

لقد بدأ ابن الشريف يعد عدته، وعتاده، وجنوده من أجل أن يشن الحرب على سلطة البايك في الغرب الجزائري، ويرجع ذلك إلى أنه عندما كان بالغرب الأقصى عند شيخه محمد العربي الدرقاوي قال له "ياسيدي أن بوطننا قوماً يقال لهم الترك لا شيء لهم من دعائم الإسلام، ويظلمون الناس، ولا يميزون بين العلماء والأولياء وغيرهم، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي؛ ليستريح منهم العباد وتظهر منهم البلاد، فقال له عليك بجهادهم وقتالهم وأن الله ينصرك عليهم"⁽²⁾.

فإن الأسباب التي دفعت ابن الشريف إلى القيام بالثورة هي شبيهة بتلك الأسباب التي أدت إلى نشوب ثورة ابن الأحرش في الشرق الجزائري، كما اتبع ابن الشريف نفس الطريقة التي اتبعها ابن الأحرش في عملية جمع الانصار ونشر الدعوة، وقد كان لثورة ابن الشريف عدة نتائج من أهمها: توقف النشاط الزراعي طوال فترة الحرب، مما أدى إلى قلة الحبوب، فارتفعت أسعارها، كما خلفت الحروب خسائر بشرية ومادية.⁽³⁾

⁽¹⁾ عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، كلية العلوم والحضارة الاسلامية، الجزائر، 2014م، ص ص 58 - 60.

⁽²⁾ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 100.

⁽³⁾ نفسه، ص ص 100 - 107.

- ثورة التجانيين :

إن الإعلان عن تأسيس الطريقة التيجانية في عام 1782م أثار الكثير من الخلافات بين أتباع الطريقة و السلطة العثمانية ، والذي ترجمته المضايقات المتكررة على عين ماضي التي كانت عبارة عن المركز الرئيسي للطريقة ، فإن أول حملة ضد الطريقة كانت قائدها الباي "مُحَمَّد الكبير" باي الغرب الجزائري عام 1784م، وكان هدفها تشديد الحصار على عين ماضي، والحد من نشاط التجاني، وفي العام الموالي جهز صالح باي قسنطينة حملة أخرى على عين ماضي ، وبعد مرور سنتين قام عثمان باي ابن الباي مُحَمَّد الكبير بشن حملة أخرى على عين ماضي . فكانت تلك المضايقات الكثيرة وراء هجرة الشيخ أحمد التجاني إلى فاس عام 1798م حتى يحافظ على طريقته من الزوال ، فلقد كان حريصاً على تقوية طريقته بوطنه من خلال توصية الشيخ صاحبه الحاج علي التماسيني بإعادة ابنه إلى عين ماضي ⁽¹⁾ مقر الطريقة قرب الأغواط و أرسلت عدة حملات للقضاء عليها ما بين (1787 - 1827) ⁽²⁾.

وزاد من حدة التوتر والعداء بين التجانيين والعثمانيين هو سماع الداوي حسين بمغادرت أنه مُحَمَّد الكبير لأداء فريضة الحج ، فأمر باي قسنطينة بتقصي أمره و إلقاء القبض عليه فور رجوعه من الحج؛ لكن هذا الأخير لم يتمكن من القبض على مُحَمَّد الكبير ⁽³⁾.

لقد كانت هذه الثورات أحد أهم الأسباب الأساسية لضعف الدولة، والإسراع في عملية إنهاء الحكم العثماني في الجزائر، فلقد كان لهذه الانتفاضات الانعكاس السلبي على ركود الحياة الثقافية والاقتصادية، فقد عمل العثمانيون على تفريق العلماء والطلبة وتعطيل نشاطهم الديني ، فقد كان سوء تعامل الحكام مع هؤلاء وخصوصاً المتصوفة هو الطابع الغالب على تلك المرحلة ⁽⁴⁾.

وقد هدفت هذه الثورات إلى وضع حد لاستنزاف خيرات الريف، وتسخير سكانه لفائدة الامتيازات الأجنبية والاحتكارات التي كانت في أيدي اليهود و تهدف إلى تصدير أكبر كمية

⁽¹⁾ سعاد عقاد، المرجع السابق ، 138.

⁽²⁾ حنيفي هلايلي ، المرجع السابق ، ص ص: 24،25 .

⁽³⁾ سعاد عقاد، المرجع السابق ، ص ص 138،139 .

⁽⁴⁾ نفسه ، ص ص 138 - 141.

من المواد الأولية، والحبوب التي يقوم بإنتاجها الريف بأسعار زهيدة في فترة كانت فيها المجاعة والأمراض تعصف بالسكان، وذلك بأمر من الداي مصطفى باشا الذي مكن التجار اليهود، ومنهم (بكري وبوشناق) من تصدير كل احتياطي الحبوب في الشرق الجزائري إثر موت الداي محمد عثمان باشا، وقتل صالح باي 1792م، وتولى حكام متعاملين مع التجار الأوروبيين واليهود على حساب المصالح الحيوية للإيالة الجزائرية.⁽¹⁾

ويتضح لنا أن السلطة العثمانية عرفت ضعفاً كبيراً في أواخر عهد الدايات بسبب حالة عدم الاستقرار التي نتجت عن كثرة الاغتيالات، وكثرة المؤامرات، فلقد شملت تلك المؤامرات السلطة، وأجهزة الحكم والموظفين الساميين، والمساعدين لهم أيضاً وشهدت الأقاليم الإدارية الأخرى نفس الظروف من الفوضى، وعدم الاستقرار بحيث تعرض العديد من البايات إلى القتل والثورات من طرف السكان بسبب سوء التسيير وتفاقمت الأوضاع من السوء إلى الأسوأ وهو ما أدى إلى اندلاع العديد من الثورات ضد الحكام الأتراك عبر مختلف أرجاء الجزائر.

كما يظهر لنا أن سياستهم اتسمت بالتعسف وإرهاق الناس بالضرائب الذي أدى إلى ظهور الحركات التمردية الكثيرة التي تزعمها شيوخ القبائل، ورجال الطرق الصوفية التي ازداد نفوذها وخطورتها؛ خصوصاً وأن حكام الأتراك لم يجدوا بداً من نقض عهده معهم بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة، فهمشوهم وحاولوا استغلالهم مثل باقي الرعية.

كذلك كان للتدخل الأجنبي من طرف فرنسا وبريطانيا في عملية تغذية التمرد الأثر البالغ في حدوث ثورات ضد الحكم العثماني في الجزائر، فقد عملت فرنسا على دعم وتشجيع القبائل الناقمة على السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر انطلاقاً من الشرق الجزائري وذلك من خلال مددها بالأسلحة والذخيرة، وعملية التحريض على الثورة والتمرد فكان لقنصليتها التي كانت متواجدة في الجزائر الدور الكبير في هذا الأمر، كما أنه لا يمكن تجاهل الدور الذي قامت به تونس في الشرق والمغرب في الغرب من عملية تدعيم الثورات والتمردات ضد الحكام العثمانيين في الجزائر، رغم محاولة الدولة العثمانية التوسط من أجل فض النزاع لأكثر من مرة.⁽²⁾

⁽¹⁾ نفسه، ص 142.

⁽²⁾ سفيان صغيري، المرجع السابق، ص: 145 - 148.

لقد عرفت الجزائر العثمانية في أواخر حكم الدايات أوضاعاً متردية سببها الرئيسي العديد الفوضى السياسية و توتر العلاقات ، فقد ساد الاستبداد المطلق في الريف والمدن، وأثر هذا الأمر على مستقبل البلاد في كافة نواحي الحياة.⁽¹⁾

✓ تكاثر الأزمات :

شهدت الجزائر في أواخر العهد العثماني أوضاعاً متوترة، فسجل التاريخ العديد من المشاركات بين حكام بايلك قسنطينة وبين الانكشارية راح على إثرها معظم البايات الذين حكموا بعد مقتل صالح باي فمن بين 19 بايا حكموا في الفترة ما بين 1792 و 1826م قتل 13 بايا وعزل الباقي ، كما شهدت المنطقة ثورة محلية كبرى كادت أن تنهي الحكم العثماني بالبلاد قبل الاحتلال الفرنسي، وهي ثورة ابن الأحرش التي أسلفنا ذكرها عام 1804 م والتي تسببت في فوضى عارمة بالبلايلك بعد قتل الباي عثمان كما أنها تسببت في المجاعة الكبرى التي ضربت البلايلك في تلك السنة حتى صار السكان يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك مما لا يباح اقتيائه ، كما أن قسنطينة قد تعرضت في هذه الفترة إلى حصار شديد قد دام شهراً كاملاً من طرف باي تونس حمودة باشا وكان سنة 1807م الأمر الذي زاد من تأزم الأوضاع العسكرية والاقتصادية ببلايلك ⁽²⁾ . فقد استمر تدهور الأوضاع في قسنطينة وأريافها حتى سنة 1808م.⁽³⁾

ويرجع تدهور الأوضاع في الجزائر في بداية القرن التاسع عشر إلى سوء تصرفات الدايا مع قناصل الدولة الأوروبية في الجزائر، وتلفهه على المال، ومعاناة خزينة الدولة من أمور زيادة الأسعار وغلاء المواد المجهزة المستوردة، وبخس أثمان المواد الأولية التي يتم تصديرها بالإضافة إلى صعوبة تنمية الموارد الداخلية للبلاد ، وتعدد الانتفاضات الشعبية والاعتيالات فلهذه الأسباب

⁽¹⁾ بلبروات بن عتو ، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008م ، ص ص: 1 ، 2.

⁽²⁾ جميلة معاشي ، الانكشارية والمجتمع ببلايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008م، ص ص: 231 - 232.

⁽³⁾ نفسه .

تمكن الجيش الفرنسي من محاصرة الجزائر وانزال قواته في ميناء سيدي فرج يوم 14 جوان والاستيلاء على العاصمة يوم 5 جويلية 1830م⁽¹⁾.

ونتيجة لاضمحلال المدخول المالي للدولة؛ أبدى الداي وحكومته اهتماماً شديداً بالشؤون الداخلية للبلاد، وصمم على تعويض المداخل من الغنائم والهدايا بمداخل محلية يتحمل أعباءها سكان الجزائر وكان من تلك المداخل:

- الإيجار الذي يدفعه الفلاحون مقابل استثمارهم للأراضي التي تملكها الدولة.
- الزكاة التي كانت تفرض على الحبوب والماشية والاموال.
- اللازمة: وهى ضريبة استثنائية تدفع كمساهمة من المواطنين في نفقات الجيش والدفاع عن الوطن .
- العشور وهي الضرائب على المحصول.
- الخراج و هي الضريبة التي يدفعها الأجانب من مسيحين و اليهود .⁽²⁾

فلقد كانت النتيجة الحتمية لزيادة الضرائب هي تزايد السخط الشعبي على حكم الداي وتهرب السكان من عمليات دفع الضرائب جملة واحدة ، وقيام الثورات الشعبية في العديد من النواحي بالبلاد وهذا ما يفسر الانهيار السريع للنظام العثماني بالجزائر .⁽³⁾

لقد شهدت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الفترة العثمانية استقراراً نسبياً وكانت فرنسا هي أول دولة حصلت على امتيازات تجارية لها بالسواحل الجزائرية خلال مطلع القرن السادس عشر، وبذلك أصبحت تلك الامتيازات هي الإطار العام للعلاقات بين البلدين كما أنها كانت السبب الأساسي فيما بعد إلى حدوث الكارثة المؤلمة في الجزائر، فحققت عدة عوامل فرنسا على التفكير في احتلال الجزائر، حيث لعبت مجموعة من الأسباب السياسية والاقتصادية والعسكرية دوراً محورياً في ذلك. من بين هذه الأسباب:

1-اهتمام فرنسا بالجزائر ورغبتها في الحصول على الامتيازات السواحل الجزائرية مثل: عنابة وسكيكدة والقل وجيجل.

⁽¹⁾عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، ص 79.

⁽²⁾نفسه ، ص : 80.

⁽³⁾نفسه ، ص ص 79 - 80 .

-موقع المغرب العربي الهام على وجه العموم والجزائر بوجه الخصوص مما جعلها محطة أنظار الدول الاستعمارية خصوصاً بعد ضعف الدولة العثمانية .

-تطلع فرنسا إلى ضرب الأسطول الجزائري، والحد من سيطرته البحرية، لاسيما أن مؤتمر فيينا في عام 1815م كان قد قرر وضع حد للقرصنة الجزائرية بالبحر الأبيض المتوسط.⁽¹⁾

ومن خلال ما سبق شنت فرنسا حملتها العسكرية على الجزائر، والتي توجت بفرض حصار عسكري على مدينة الجزائر استمر لمدة 3 سنوات من يونيو 1827 إلى يونيو 1830 م ، وفي مقابل هذا قام الداي حسين بتدمير المكاتب الفرنسية الموجودة في عنابة والقالمة، وفي شهر 1829م فكرت حكومة بوليناك على ضرورة تنفيذ مشروعها من أجل غزو الجزائر، لكن تلك الخطة فشلت بسبب أنها اكتشفت من قبل سلطان المغرب الأقصى، وانجلترا وهكذا نجد أن حكومة بوليناك قد قررت في شهر 1830م إرسال حملة عسكرية إلى الجزائر.⁽²⁾

وبررت الإدارة الفرنسية إرسال الحملة بأن الداي حسين قد أهان شرف فرنسا، وكذلك من أجل وقف القرصنة الجزائرية وتخليص أوروبا من القلق والاضطراب في البحر الأبيض المتوسط فعلى العموم كل هذه المبررات كانت تهدف إلى ضرورة إقناع الرأي العام الأوروبي والفرنسي بضرورة احتلال الجزائر.⁽³⁾

وعلى الرغم من تلك الأسباب السابقة، إلا أن السبب الرئيسي للقضاء على الحكم العثماني في الجزائر، والاحتلال الفرنسي لها يرجع إلى أسباب سياسية وأخرى دينية، وذلك كما يلي:

■ الأسباب السياسية :

وتتمثل الأسباب السياسية في اعتبار حكومة الرياس في الجزائر تابعة للإمبراطورية العثمانية التي بدأت تنهار، والدول الأوروبية تنهياً من أجل الاستيلاء على الأراضي التابعة لها خصوصاً أن الفرنسيين كانوا يعتقدون أنهم سيحصلون على غنيمة تقدر بـ 150 مليون فرنك كانت

⁽¹⁾ أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإسلامية، جامعة بابل، ع: 28، 2016م، ص 162 - 163. لمزيد من التفاصيل ارجع الى : غالي غربي، العدوان الفرنسي على الجزائر-الخلفيات والأبعاد -، -بحي جلال ، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1959 ، دار المعرفة ،القاهرة ، 1959 . -شارل اندري جوليان تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1871، ج1، تر: جمال فاطمي وآخرون، دار الأمة، 2008 .

⁽²⁾ أكرم بوجمعة ، نفسه.

⁽³⁾ نفسه .

موجودة بخزينة الداي، كما أن شارل العاشر ملك فرنسا كان يرغب في خلق تعاون بين روسيا حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في البحر المتوسط والتمركز في ميناء الجزائر الذي كان يعتبر في نظر الملك الفرنسي تابعا للإمبراطورية العثمانية المنهارة، وكان للمعارضة التي سيطرت على مجلس النواب في انتخابات نوفمبر 1827م قد خلقت مصاعب داخلية للملك الفرنسي الذي كان يعتقد أن الحل الوحيد من أجل إسكات المعارضة هو عملية إحراز انتصار باهر على داي الجزائر.⁽¹⁾

■ الأسباب الدينية :

من الأسباب الرئيسية لاحتلال فرنسا للجزائر الصراع الذي كان قائماً بين الدول المسيحية الأوروبية والدول العثمانية الإسلامية فقد انعكس على الجزائر؛ لأن الأسطول الجزائري القوي يعتبر في نظر الدول المسيحية الأوروبية عبارة عن امتداد للأسطول العثماني الذي كان يهيمن على منطقة المشرق العربي، فالتعاون الوثيق بين الدولة العثمانية الإسلامية والدولة الجزائرية المؤيدة لها في عملية الدفاع عن حوزة الاسلام قد دفع بالدول المسيحية في أوروبا أن تتعاون فيما بينها من أجل ضرب المسلمين في استانبول والجزائر.⁽²⁾

وخلاف لما سبق كان لمحمد علي باشا والي مصر دور كبير في القضاء على الدولة العثمانية في الجزائر، حيث أن محمد علي باشا يعتبر من صنائع مكائد الغرب وعميلاً مدسوساً من عملائهم بدأ واضحاً من وصوله إلى سدة الحكم نتيجة تخطيط صليبي على الأخص تخطيط فرنسي أو كان من نتائج ذكاء محمد علي ومكره وثقافته أو الأمرين معاً⁽³⁾.

ولقد احتوت الدول الغربية محمد علي، وأخذت تقوده في ركابها خصوصاً وأن فيه من الصفات والخلال التي ينشدها المستعمرون كجنون العظمة، وغلظة القلب وفظاظة الطبع ورقة الديانة وعدمها، وقد كان محمد علي يكره مسلمي مصر ويحتقرهم، وكان متواطئاً مع الفرنسيين عند احتلالهم للجزائر حتى أنه هم بعد أن جاءته الأوامر أن يقوم بنفسه باحتلال الجزائر خدمة

⁽¹⁾ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 83 .

⁽²⁾ نفسه، ص 86.

⁽³⁾ علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 1421هـ - 2001م، ص 501 .

للفرنسيين وعملاً لحسابهم الخاص، إلا أن الفكرة قوبلت بالرفض، حيث إنها ستعمل على تهيج المسلمين وتثيرهم، فقاموا بإلغائها واكتفى محمد علي بتزويد الفرنسيين في الجزائر بالغلّال.⁽¹⁾

ففرضت فرنسا سيطرتها على الجزائر بعد احتلالها للعاصمة في 1830، مستغلة ضعف الحكم العثماني والتوترات السياسية بين البلدين. ورغم المقاومة الشرسة التي واجهتها من قبل الجزائريين، إلا أن القوات الفرنسية تمكنت من التوسع تدريجياً وفرض نفوذها على مختلف المناطق، مستخدمة القوة العسكرية والقوانين الاستعمارية لإحكام قبضتها.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية في الجزائر في العهد العثماني.

1/ البنية الاجتماعية في الجزائر والعوامل المؤثرة في تطورها خلال العهد العثماني

إن تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي في هذه الدراسة جاء لمعرفة كيف كان التعليم والتثقيف في الجزائر العثمانية؟ وكيف أثر مباشرة على الحياة الاجتماعية، حيث شكلت المؤسسات التعليمية وخصوصاً المساجد⁽²⁾ ركيزة أساسية في بناء مجتمع قائم على المعرفة والعلم على الرغم من بساطة التعليم في تلك الفترة. كما ساهمت الحركة الثقافية في تعزيز الهوية الوطنية والدينية، وهو ما جعل الجزائر تحتفظ بشخصيتها المتميزة حتى بعد الاحتلال الفرنسي.

فالإنسان مدني بطبعه أي أنه لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة و هو بمعنى العمران وهو ما جاء في كتاب ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر، فقد خلق الله -سبحانه وتعالى- الإنسان وركبه في أحسن صورة لا يصح حياته وبقاؤها إلا بالغذاء، وهدهد -سبحانه وتعالى- إلى

⁽¹⁾ نفسه. لمزيد من التفاصيل ينظر: كتاب: عادل أبو المعاطي، محمد علي باشا، مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع، ط2019، 1. ينظر أيضاً: كريم ثابت، محمد علي، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ط2، 1943.

⁽²⁾ لمزيد من التفصيل راجع الوثائق المتعلقة بسلسلة بيت المال والبايلك: السجل 291، العلبة 280 و السجل 389، العلبة 292 التي تعودان إلى الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر: حيث تشير العلبة الأولى إلى المساجد وأهم القائمين عليه، أما الثانية توضح دور الجامع الأعظم الاجتماعي الذي كان بمثابة مدرسة يلجأ إليها الناس لتعلم العلوم الدينية والدنيوية، حيث يتم عقد حلقات العلم وتدرّس القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه وغيرها من العلوم ورعاية الفقراء والمحتاجين من خلال الصدقات والتبرعات "الأوقاف" التي تُجمع في المسجد، وكان يتم تقديم المساعدات للمحتاجين، سواءً من خلال الطعام أو المال أو المأوى.

التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من ذلك الغذاء. (1)

خلق الله الإنسان أمة واحدة مترابطة، حيث يعتمد بعضهم على بعض في شؤون الحياة، فلا يمكن للأفراد أن يعيشوا في هذه الدنيا منفردين دون التعاون والتكافل. فكل إنسان يسعى لكسب رزقه من خلال عمله، إلا أن قدراته الجسدية والنفسية محدودة، ولا تكفي وحدها لتلبية جميع احتياجاته لذا، لا بد أن تتضافر جهود الآخرين معه، ليكتمل بذلك نظام الحياة القائم على التعاون والتآزر بين البشر.... وهذا معنى قولهم: «الإنسان مدني بطبعه» يقصدون بذلك أن الإنسان لم يُمنح من القدرات ما يكفي لتلبية جميع احتياجاته بمفرده، بل لا بد له من الاستعانة بالآخرين. وهذه هي طبيعة الحياة الاجتماعية، حيث لا يستطيع الفرد أن يعيش منعزلاً عن مجتمعه، بل يعتمد على التفاعل والتعاون مع الآخرين لضمان استمرار حياته وتلبية متطلباته (2)

ومعنى الحياة الاجتماعية هي ارتباط الإنسان بغيره من الأشخاص من خلال علاقات تسودها المحبة والتعاون والتفاهم، سواء أكانت تلك العلاقات هي علاقات عمل، أو علاقات صداقة، أو غيرها من أنواع العلاقات الاجتماعية التي تفرض على الأشخاص الاختلاط مع الآخرين وتقديم الخدمات المختلفة لبعضهم البعض، فالحياة الاجتماعية السليمة يجب أن تسودها الأخلاق الفاضلة ومعرفة كل شخص لحدوده ومدى مساحة الحرية التي يتمتع بها، وهذا ما يعرف بالحياة الاجتماعية التي تتمثل في العلاقات بين الأشخاص فلا يستطيع الإنسان أن يعيش بمعزل عن الناس. (3)

(1) عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن مُجَدِّد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، ص 54.

(2) مُجَدِّد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ص 457.

(3) يقصد بالحياة الاجتماعية لبلد ما ذكر عناصر سكانه، أو طبقات مجتمعه من حيث الجنس واللغة، والدين، وعلاقة كل من هذه الطبقات بعضهما مع بعض، ثم وصف المناسبات، كالأعياد، والمواسم، ولحفلات ووسائل التسلية، وما إلى ذلك من مظاهر المجتمع فالتاريخ الاجتماعي هو العلم الذي يبحث في طبيعة المضامين الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية في بيئة جغرافية معينة =

وهناك ثلاث عوامل أثرت في الحياة الاجتماعية خلال العهد العثماني، وهي:

① العامل الأول: الوجود العثماني نفسه بالجزائر.

② العامل الثاني: هجرة الأندلسيين:

التي بدأت خلال القرن التاسع الهجري بعد سقوط غرناطة وتقوى ساعدها خلال القرن العاشر الهجري ، فقد حل بمعظم المدن الساحلية الجزائرية عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الذين قاموا بالفرار من الاضطهاد الإسباني ، الذين قاموا بالاستيلاء على ديارهم وأملاكهم وقاموا بتهديدهم في لغتهم وعقيدتهم، وكان من أشهر المدن التي حلوا بها في الجزائر: "شرشال وتنس ومدينة الجزائر ومستغانم وبجاية وعنابة ودلس" فقد وجد هؤلاء المهاجرون في الجزائر أرضاً، كأرضهم وأهلاً كأهلهم، فاستقروا بها وأسهموا في الحياة الاجتماعية من خلال إدخال عنصرين رئيسيين:

■ العنصر الأول :

من خلال مضاعفة الكفاح ضد الإسبان في الثغور والبحر من أجل الدفاع عن النفس.

■ العنصر الثاني:

هو نشر أنماط حضارتهم بين الجزائريين ، فقد كانت الأندلس إلى آخر عهدها رغم ضعفها السياسي عبارة عن تلك المرحلة الراقية من تطور الحضارة العربية الإسلامية، فارتقت بوجودهم في الجزائر العمارة والطب وصناعة الكتاب والوراقة.⁽¹⁾

③ العامل الثالث: النشاط الاقتصادي الجزائري للفئات الاجتماعية:

=عبد الرحمن النجدي ، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، (د. ط)، (د. ت)، ص 684. ينظر: حياة عبود مجّد، الحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى زمن المرابطين والموحدين، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود، الجمعية التاريخية السعودية، العدد: 13، 2006م، ص 130. وأيضاً: دور الإدارة المدرسية في تنمية العلاقات الإنسانية لدى المعلمين دراسة تحليلية في ضوء الفكر الإداري الإسلامي، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: 168، 2016، ص 383، 387.

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، 2007 م ص : 148. أنظر: مؤيد محمود حمد المشهداني، المرجع السابق، ص 425 - 426.

إن مكانة الفئات الاجتماعية في العهد العثماني ونشاطهم الاقتصادي، ساعدت وبشكل كبير في تحسين المستوى المعيشي بين السكان، فقد كان الحضر والكراغلة والأترك يساهمون وبشكل كبير بمداخيل اقتصادية كبيرة، وذلك بسبب ما كانوا يملكونه من أملاك عقارية، وإقطاعيات كالبنائيات والمنازل والمحلات، بالإضافة إلى إقطاعيات من الأراضي الزراعية، ولعل هذا الأمر هو سبب التطور المعيشي لهذه الفئات، بالإضافة إلى تولي مناصب في الحكم سواء من قبل العسكريين أو من الإداريين من الأتراك والكراغلة.⁽¹⁾

④ العامل الرابع: تأثير الحكم العثماني على الحياة الاجتماعية :

إن أهم ما ميز الحياة الاجتماعية في الجزائر هو سيطرت النظام الطبقي في التشكيلة الاجتماعية الذي كان له تأثير كبير على الحياة الاجتماعية، سواء بالنسبة لسكان الريف أو سكان المدينة : ففي المدينة نجد الفئات الاجتماعية مرتبة على النحو التالي: الأتراك، الكراغلة الحضر، البرانية، الدخلاء من العبيد والمسيحيين واليهود، بينما في الريف نجد الفئات الاجتماعية مرتبة على النحو الآخر: الأجواد، المرابطين، قبائل المخزن، قبائل الرعية⁽²⁾.

أما من ناحية المستوى المعيشي فقد كان متباين من فئة لأخرى فهناك الغنى الفاحش وهناك الفقر المدقع، ونظرا لتذبذب الوضع الصحي فقد عانت مختلف الشرائح الاجتماعية من العديد من الأمراض والأوبئة التي كانت تقوم باستهداف المجتمع الجزائري دورياً ومن بين هاته الأوبئة : وباء الكونية سنة 1654م، وباء 1664م وباء 1778م، وباء 1817-1818م، وراح ضحية هذه الأوبئة والأمراض حتى الحكام أنفسهم أمثال : حسين باشا، و الداي علي خوجة باشا 1817-1818م.⁽³⁾

إن سياسة العثمانيين كانت سببا في جمود العلاقات الاجتماعية حيث تميزت بالتنافر والتباعد الشديدين، وذلك بسبب الفوارق الاجتماعية والطبقية، وكانت سببا في عملية خلق شريحة جزائرية موالية لها كقبائل المخزن، وبعض الطريقين، وشيوخ الزوايا والمرابطين والأجواد

⁽¹⁾ عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة هران خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وحضارة إسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، الجزائر، 2014م، ص 119 - 121.

⁽²⁾ محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص : 99.

⁽³⁾ نفسه.

وتهميش الغالبية العظمى من الشعب الجزائري ، حيث يذكر صالح فركوس: " أن ظلت القبائل الجزائرية خلال الحكم العثماني تعيش صراعات دموية نتيجة السياسة التركية التي كانت تستهدف الحيلولة دون وحدتهما؛ لأن ذلك كان يشكل في اعتقاد أكثر الحكام الأتراك خطراً على وجودهم الأمر الذي لم يحقق انصهار المجتمع في بوتقة واحدة مع الأتراك وظل هذا المجتمع يعيش ظروفاً من الفرقة والوحشة وعداوات قاتلة" (1).

5 العامل الخامس: الوجود اليهودي:

يعود وجود اليهود بالجزائر إلى فترات تاريخية قديمة ، فلم يكن وجود اليهود بالجزائر مرتبطاً بالاستعمار، ولا كما يقال إن وجودهم كان مرتبطاً بالتواجد العثماني بالجزائر، حيث كان اليهود يفرون من القمع والاضطهاد المسيحي في إسبانيا بعد سقوط الأندلس، وقد زاد نفوذ اليهود خلال الحكم العثماني (2) مما كان له الأثر الكبير على الحياة الاجتماعية.

2/ التدرج الطبقي (الفئات الاجتماعية) للمجتمع الجزائري في العهد العثماني:

إن التركيب الاجتماعي للجزائر عرف التنوع في العرق و الدين ، وقسم المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني إلى سبع مجموعات مختلفة ، ومن بين هذه الفئات الاجتماعية نجد :

❖ الفئة الحاكمة :

بمجرد وصولهم إلى مدينة الجزائر شكلوا طبقة شعبية منفصلة (3) وتتصدر طبقة الأتراك السلم الهرمي و تتشكل من الفئة الحاكمة و المتمثلة في : الحكام ، الموظفين، وقادة رياس البحر، والأتراك من قوات الانكشارية وعلى الرغم من قلة هذه الفئة التي لم يتجاوز عددها أكثر من 20 ألف نسمة و التي كانت منعزلة عن السكان ، إلا أنها كانت في واقع الأمر تقوم بالسيطرة على الحكم ولها نفوذ كبير من خلال تسلمها المناصب الحكومية المهمة في الدولة ، وإبعاد أهل البلاد عن تلك المناصب والعمل على إبقاءهم بعيدين عن منافستهم ، بالإضافة إلى استقدام أبناء

(1) نفسه .

(2) قدم اليهود إلى الجزائر خوفاً من محاكم التفتيش و تصفيتهم من قبل الإسبان ، و سمح لهم خير الدين بالإقامة بالجزائر مقابل دفع الجزية و مجموعة من الإجراءات يتقيدون بها . أحمد بحري ، المرجع السابق ، ص: 43 . ينظر . فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2004م، ص5-6.

(3) كورين شوفالييه ، المصدر السابق، ص: 64 .

جلدتهم من الأناضول في حالة وجود نقص في إدارة البلاد ، ، حيث يذكر هايدوا أنهم كانوا على صنفين : الأعلاج ، و الصنف الثاني الأتراك الأصليين⁽¹⁾ ، فبسبب هذا الامر فقد انتشر العداء بين اهل البلاد والفئة الحاكمة من الأتراك⁽²⁾.

و قد ساهمت هذه الفئة بنشر عاداتهم و تقاليدهم كالمأكولات و الملابس إضافة إلى الفن المعماري و الموسيقى كما ساعدوا على إدخال المذهب الحنفي والطرق الصوفية و ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي⁽³⁾ .

❖ الأغواطيون والبسكريون:

البساكرة و الأغواطيون في الحقيقة لا تتمثل في تشكيلة جماعية معينة ، فهي تقوم بضم مجموعة من العناصر العديدة، والمختلفة فقد وفدت من مناطق متعددة منها وادي ريغ الزيبان، وتوقرت وطولقا⁽⁴⁾، هذا فيما يتعلق بلبساكرة أما الأغواطيون فينحدرون من قبيلة الزناجرة و أولاد نائل و من بين الأعمال التي قاموا بها : مثلاً قاموا باحتكار أعمال التنظيف في الشوارع وتصفية الزيوت ، وهذه الفئات كان هدفها هو تحسين مستواها المعيشي⁽⁵⁾.

وأما البسكريون فكان أكثرهم يشتغل بالمهن الوضيعة، فمنهم من يشتغل بالسقاية، ومنهم من يهتم بتنظيف المراحيض، ومنهم من يعمل في حفر الآبار، وتنظيف المداخن، ومنهم من كان حمال، أو خادم ومن بين المهام الموكلة اليهم أعمال الحراسة بالليل في الأزقة والأسواق، وهناك شهادات عديدة تشير إلى أن البسكريين أوكلت اليهم المهن الأكثر تواضعا، فاستنادا إلى وصف الفرنسي لوماي عام 1800م فإنهم كان يقومون بالأعمال الأكثر قذارة، وشقاء كما مارس هؤلاء مهنا متواضعة، كالاستخدام في المنازل وتحضير الخبز، وقد وصف شالر البساكرة بقوله: "البسكريون قوم مسالمون ومخلصون وكثيرا ما يستخدمون في المنازل حيث يتمتعون بالثقة، والبسكريون يحتكرون صناعة الخبز وهم الذين يحملن الخبز في الجزائر وهناك من اشتغل في الافران

(1) صالح عباد ، المرجع السابق ، 356 .

(2) حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2008م ص: 165.

(3) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 43.

(4) أمين محرز ، الجزائر في عهد الآغوات (1659 - 1671 م)، ، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، د.ط، د. ت، ص 154 .

(5) ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق ، ص: 239 . ينظر : أمين محرز ، المرجع السابق ، ص : 154

والحمامان وهو عمل يقتضي جهدا عضليا وكما عهدت الحراسة الليلية وبوابات الأسواق والحومات ليلا للبسكرة" (1).

❖ اليهود :

فبالرغم من أن هناك العديد من الفئات الأجنبية المسيحية إلا أن الجماعة التي كانت تعتبر جماعة نشيطة وارتفع شأنها في الجزائر هي جماعة اليهود (2) وربما هذا ما جعلنا نتسأل ما مصير هذه الأقليات من التعليم خلال تلك الفترة ؟ ، بحيث يعتبر اليهود من أهم وأقدم العناصر الدخيلة للبلاد (3) وأكثرها نشاطاً ؛ لأن اليهود كانوا يتعاملون مع الداي، وقادة الجيش، ويقومون بشراء الغنائم والبضائع التي يتحصل عليها رجال الجيش، واشتهر اليهود بعمليات السمسرة و الربا ، والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية (4) إلى درجة أنه أصبح من الصعب على أي عربي أن يقوم ببيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود، فقد اشتد غضب الجزائريين من الكسب الفاحش والأموال الطائلة التي يتحصل عليها اليهود على حساب الدولة الجزائرية . و إحتكر اليهود صناعة المجوهرات و ضرب العملة في مدينة الجزائر وكانوا في نظر المجتمع الجزائري من أدنى الطوائف الحرة على الرغم من ما كان يتمتع به اليهود من الناحية الاقتصادية (5).

❖ الكراغلة :

(1) مذكرات وليام شالر، المصدر السابق ، ص 109-110. ينظر : حنفي هلايلي، المرجع السابق ، ص 170. ينظر أيضاً : نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830م، من خلال سجلات المحاكم الشرعية ، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2009 .

(2) يذكر كورين شوفاليه أن خير الدين سمح لمؤسساتهم تحت الوصاية بحيث يتم تحديد نشاطاتهم التجارية كما أنهم لا يستطيعون الوصول إلى مناصب عالية بعد قبولهم في المدينة ، كما أنه تم إحترام ثقافتهم ، كما فرض عليهم إرتداء لباس معين ، يختلف عن اللباس الذي يرتديه بقية الجزائريين ، و منعت نسائهم من الإختلاط بالنساء الجزائريات خاصة في الأماكن الخاصة : بالحمامات .. وغيرها ، و فرض عليهم دفع الجزية تقدر بـ : 1500 دوبراس في السنة و هي تعادل 600 قطعة ذهبية ومارسوا حرفهم و صناعتهم و تمتعت هذه الأقلية بإمتيازات إقتصادية كبيرة . كورين شوفاليه ، المصدر السابق ، ص : 66،67 .

(3) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 359 ، 361 .

(4) نفسه .

(5) نفسه ، ص : 362 .

من الصعب تحديد سنة ظهور الكراغلة في الجزائر ولعل هذا الأمر يرجع إلى الظروف التي كانت تمر بها البلاد في تلك الفترة ، فالجزائر كانت تعاني في تلك الفترة من تاريخها من احتلال الإسبان لكثير من مدنها، وغياب كلي للسيادة الزبانية بعد ضعفها وانحطاطها وتفكك النسيج الاجتماعي، كل هذه الأمور ساهمت وبشكل كبير في غياب النشاط العلمي الذي بدوره ساهم في ركود حركة التأليف التي كانت تقوم بإزالة الغموض عن الكثر من تلك القضايا، ولقد خاضت في هذا الموضوع، وذكرت أن البدايات الأولى للكراغلة كفئة متميزة ومستقلة كان متأخراً حيث تعود إلى سنة 1596م، والمتتبع للتاريخ يرجع ظهور الكراغلة إلى بدايات التواجد العثماني في البلاد⁽¹⁾.

وبدأ عدد الكراغلة قليلاً ففي القرن السابع عشر في مدينة الجزائر قد بلغوا حوالي ألفين كراغلي ليتكاثر عددهم على مر السنين، حتى وصل عددهم في نهاية القرن الثامن عشر بالجزائر حوالي 6000 نسمة، كما أن عددهم قد تزايد بشكل ملحوظ في مدينة تلمسان، وبالرغم من انتمائهم إلى آباء من أصل تركي ، فإن الكراغلة لم يحصلوا على امتيازات، أو يشاركوا في الحكم ، فلم يكن لهم الحق في الانتساب إلى الجيش أو الحصول على مناصب إدارية، وذلك بحكم أنهم قد يقومون بالتحالف مع أبناء الجزائر الأصليين⁽²⁾.

والكراغلة ملكوا ثروات، وقاموا باستثمارها في المزارع فيترفعون عن خدمة الأرض أو القيام بأعمال يدوية⁽³⁾، واستقر الكراغلة في كبريات المدن الجزائرية، مثل: مدينة تلمسان، ومدينة الجزائر، ومستغانم وقلعة بني راشد ومازونة، والقلعة، والمدينة، وقسنطينة، وعنابة، وبسكرة وجيجل والمسيلة ومليانة ووهران حيث كانت لهم مكانتهم السياسية والاجتماعية.

❖ القبائليون:

القبائليون نسبة إلى الكلمة العربية قبيلة، وهذه التسمية نظراً لوضعهم السياسي، فهم قوم يعيشون في الجبال، وما يتفرع منها من سلاسل، و المحيطية بالمدن الجزائر وتلمسان و البليدة و المدينة

⁽¹⁾دوبالي خديجة، اسهامات الكراغلة في بناء الجزائر العثمانية، الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، ع11، 2017م، ص

⁽²⁾عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 74.

⁽³⁾نفسه.

وقسنطينة⁽¹⁾، وكان أغلبهم ينتمي إلى القبائل الكبرى المشهورة كقبيلة الزواوة بإمارة كوكو في جرجرة⁽²⁾ وكل سكان منطقة يشكلون دولة بمفردهم، وهم شعب أبيض البشرة، معتدل القامة، وهم شعب نشيط وذكي يعتمد على الثروة الزراعية الحيوانية، ولم يكن القبائليون محل ترحاب من طرف العثمانيين بسبب كثرة ثورتهم ضد حكومة الجزائر، ولذلك كانوا دائماً يعملون على إذكاء روح القتال والتناحر القبلي بينهم، وقد عارضت الحكومة التركية التي يغار رجالها من ذكاء القبائل وشجاعتهم استخدام القبائليين أي عمل منزلي، كما منعوهم من العمل في المؤسسات العمومية الجزائرية، فأتجهوا إلى أشد الأشغال مشقة كالبناء، وحرث الأرض، وكخدم عند الأجانب المقيمين بالجزائر خاصة، وقد وجد القناصل صعوبة في الاحتفاظ بالقبائلي في العمل لشدة تعلقهم بمسقط رأسهم، فكان لا يبقى أكثر من ستة أشهر دون أن يراودهم الحنين لرؤية جبالهم مخاطرهم بذلك بفقد مورد رزقهم ومن النشاطات التي مارسها القبائل وكانت على ما يبدو حكراً عليهم صناعة الفحم⁽³⁾

❖ الجيجليون :

تذهب بعض الروايات إلى استقرار أقدم العناصر الجيجلية بمدينة الجزائر يعود إلى عام 1516م حينما رافق هؤلاء الإخوة بربروسة عقب استنجد أهل مدينة الجزائر بهم، ومنذ ذلك الحين أصبح هؤلاء يحظون بمكانة خاصة، بل غدو يتمتعون بامتيازات خاصة خلال القرن الثامن عشر، فقد كانوا يتمتعون بحمل السلاح وارتداء الملابس المزركشة، والمطرزة بخيوط الذهب على الطريقة التركية، ومن النشاطات التي استقطبت العناصر الجيجلية النشاطات البحرية، حيث يطلعنا دفتر المخلفات المؤرخ في الثمانينات من القرن الثامن عشر بحالة الرئيس الجيجلي المتوفي عام 1787م.⁽⁴⁾

❖ البلدية :

⁽¹⁾ أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500 - 1900 م)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، الجزائر، 2013، ص: 154 .

⁽²⁾ أمين محرز، المرجع السابق، ص: 154 .

⁽³⁾ حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 171. أنظر مذكرات وليام شالر، المصدر السابق، ص 113-118.

⁽⁴⁾ حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 172.

البلدية هم عبارة عن جماعة الحضر من السكان الأصليين وما انضم إليهم من مهاجري الأندلس والحوضر الأخرى، وقد مثلت البلدية أول مجموعة سكانية في الجزائر من حيث الأهمية العددية حيث قدرهم هايدو في عام 1580م بألفين حوالى 12,500 نسمة وهو ما يقارب خمس سكان المدينة، وكانت هذه المجموعة تشكل بوتقة انصهار بالنسبة لبقية العناصر التي كانت من جيل لآخر "تتبلد" فأبناء الكراغلة مثلاً كانوا يعتبرون من البلدية ولا يقومون بوراثنة امتيازات آبائهم، هذا ما جعل نسبة البلدية ترتفع مع مرور الوقت، حتى إنهم صاروا يشكلون في أواخر العهد العثماني الأغلبية الكبرى من السكان، كما أن البلدية اعتبروا من أهم مجموعة سكانية من الناحية الاقتصادية؛ نظراً للمكانة التي كانت تشغلها في البنية الاقتصادية للبلد، وللقدرة المالية التي كانت تمتلكها، وكذلك إمكانياتها التنظيمية، فقد ذهب البعض إلى القول أن طبقة الحضر كانت تشكل برجوازية التجار والملاكين⁽¹⁾.

لقد لعب البلدية دوراً مميزاً في الوظائف الحضرية بمدينة الجزائر، حيث قاموا بالإشراف على أهم هيئة في عملية تسيير المدينة وهي مؤسسة مشيخة البلد، هي حكومة محلية تشمل: شيخ البلد، أو الحاكم المدني أو قائد الميليشيا في المدينة وجميع الموظفين في هذه الإدارة من الأهالي⁽²⁾.

3/ مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع خلال العهد العثماني: بين التعليم والزواج

كانت المرأة الجزائرية المسلمة مهمشة وغائبة في نطاق هذا العهد العثماني على المسرح الرسمي ولعل هذا الأمر يعد من أهم سلبيات العهد العثماني هو عدم إعطائه للمرأة النصيب من أمور الحياة كالتعليم، فلم تكن السيدات، أو الأميرات في ذلك العهد العثماني يقمن بالمشاركة في الحياة العامة، ولم يكن قدوة للأخريات فلا شوارع ولا كاتبات يقمن بالمساهمة في الحياة الثقافية وترقية الذوق الاجتماعي.

فالمجتمع الجزائري من هذه الجهة كان يعتبر كالإنسان المشلول كما وصفه أبو القاسم سعد الله فيما يتعلق بتعليم النساء، إلا من حالفها الحظ وكانت أسرهما من عائلة اشتهرت بالعلم

(1) أمين محرز، المرجع السابق، ص 149 - 150.

(2) نفسه.

والدين، وهذه العقلية كانت سائدة حتى في الدولة العثمانية بحد ذاتها ولعل هذا الأمر يرجع إلى أن الحكام كانوا في غالب الأمر من العزاب والمغامرين وكان ما يشغل وقتهم هو عملية جمع الأموال والبقاء في سدة الحكم، فإذا انشغلوا بالاهتمام بالمرأة فإنه لا يعينهم منها دينها، ولغتها وتعلمها ومكانتها الاجتماعية ولكن كونها من الجواري والأسيرات المسيحيات بالدرجة الأولى، فقد بالغوا في هذا الأمر حتى اعتبروا الزواج من المرأة المسلمة محطة ومذلة من شأنهم، فقد جعلوا أبناءهم منها في درجة العبيد بينما أبناءهم من الجواري والمسيحيات أحراراً يحكمون ويرثون وظائف آبائهم ⁽¹⁾ .!

ولم يهتموا بإيالة الجزائر بتعليم المرأة المسلمة، كما أن معظم سكان الحضر وسكان الريف قد أهملوا هذا الموضوع على قاعدة أن الناس على دين ملوكهم، و ربما يرجع الأمر إلى الغيرة الشديدة على شرف و عرض المرأة حتى لا تتعرض لأي نوع من الأذى على الرغم من أن المرأة لم يكن لها حضور خارج بيتها. ⁽²⁾ وربما عن تعليم المرأة يرجع إهمالها إلى قلة الوثائق التي تحدثت عن هذا الأمر ، و ربما تعود إلى المكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها المرأة الجزائرية و منع

⁽¹⁾ لقد اشتهر الحكام والسلاطين العثمانيون في مراحل حكمهم ومختلف عصورهم الأولى بالزواج من بنات أباطرة بيزنطة، وملوك بلغاريا والصرب وأمراء الأناضول والوجهاء في الأماكن التي تواجدوا بها في مختلف الأزمنة وكان من وراء ذلك العديد من الأسباب والدوافع نذكر: الدافع الأول : الزواج من فتيات غير تركيات أي " الزيجات الأجنبية " يعود إلى دوافع سياسية بالدرجة الأولى قبل ان يكون عاطفياً أو عسكرياً ؛ لأن الدولة العثمانية الجديدة كانت تريد خلال هذه الزيجات التوسع في ملكيات الأراضي الجديدة، وتقوية مكانتها السياسية من خلال الزيجات المذكورة فكان هذا الأمر هو الهدف الأسمى الذي تبناه بعض سلاطين الدولة العثمانية ولذلك السبب فقد تزوج سلاطين العثمانيون من أجناس مختلفة غير أجناسهم الدافع الثاني : هذه الزيجات جاءت في إطار التحالفات العسكرية بين الدولة العثمانية و الدول الأخرى التي تنتمي إليها الزوجة الأجنبية . وأسهمت نساء القصر العثماني بدور فعال في بعض نواحي الحياة الاجتماعية و الإقتصادية وخاصة النواحي الخيرية و شيد من أوقاف الحرم الجوامع و المدارس و المستشفيات و المكتبات... الخ . و ظلت نساء الدولة العثمانية المتعلمات تحت تأثير التعليم الديني و في سنوات متأخرة من عهد الدولة العثمانية وتم فتح أول مدرسة للصنائع وكذلك أول مدرسة ثانوية للفتيات سنة 1285هـ/ 1829 م ، وربما هذا الأمر يفسر لنا عدم اهتمام الدولة العثمانية بالتعليم في الجزائر بصفة عامة و تمشيش المرأة الجزائرية و عدم إعطائها حقها من التعليم بصفة خاصة . ينظر : محمد أحمد محمد الثقفي، زواج السلاطين العثمانيين من الأجنبية وأثره في إضعاف الدولة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، السعودية، 1432هـ، ص : 101-111 . أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 336.

⁽²⁾ نفسه .

الأغراب من الإقتراب منها و إحتكاها بالعالم الخارجي ، و هذا لا ينفي صفة العلم ، كما قال سعد الله المرأة المتعلمة لم تكن "كبيض الأنوق" وذكر نماذج مصغرة عن المرأة المتعلمة على سبيل المثال والددة العالم : أبو راس الناصري التي كانت على درجة كبيرة من العلم حتى شبهت برابعة العدوية في العلم و التقوى ، و كذلك زوجات الورتلاني فكانوا أهل علم و كانوا يقومون بنسخ الكتب الفقهية⁽¹⁾.

ومن هنا نستنتج ان التعليم في الجزائر لم يمثل أولوية للدولة، حيث كان مقتصرًا على التعليم الديني في الكتاتيب القرآنية والزوايا، التي كانت تهتم أساسًا بتعليم الذكور علوم الدين واللغة العربية ، بينما ظلت فرص التعليم للمرأة نادرة جدًا، واقتصرت على بعض المبادرات المحدودة داخل البيوت أو الزوايا في بعض المناطق ، مما انعكس بشكل واضح على وضع المرأة التي كانت أكثر الفئات تهميشًا في مجال التعليم ، فظل التعليم حكراً على الرجال، وكان يُنظر إلى دور المرأة على أنه محصور في الأسرة والزواج، مما أدى إلى حرمانها من فرص التعلم والمشاركة الفكرية.

المبحث الثالث : الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.

1/ لمحة عن الوضع الثقافي في الجزائر خلال القرنين الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر :

أهم ما ميز الحياة الثقافية⁽²⁾ في الجزائر قبل مجيء العثمانيين هي استمرار لما كانت عليه في العهود السابقة⁽³⁾، فإنتاج القرن الخامس عشر كان في الواقع خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاثة

(1) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 336 ، 337 .

(2) الثقافة : إن مفهوم الثقافة في الوقت الحالي يختلف عن المفهوم السائد خلال الفترة العثمانية ، فالثقافة في الوقت الحاضر ، كما عرفها إدوارد تاييلور هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق ، والقانون ، والأعراف ، والقدرات، والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بإعتباره عضواً في المجتمع . أما الثقافة في الجزائر العثمانية فلإنحصر مفهومها على " التعليم " فقط . لمزيد من التفاصيل حول مفهوم الثقافة إرجع :

-Clifford-grretz,the enterpretatsion of cultures,basik books,new york,1973.

(3) في القرن الحادي عشر ذكرها البكري في بعض السطور ، ووصفها الرحالة الإدريسي بأنها مركز تجاري مزدهر في القرن الثاني عشر ، كما وصفها المراكشي بأن الجزائر مدينة صغيرة ، إسمها الجزائر و تنتمي إلى قبيلة مزغنة ، أما العبدري في القرن الثالث عشر أشار إليها متأسفاً ووصفها بأنها كانت محرومة من العلم حيث قال " إنه لمن الصعب مقابلة اناس مثقفين أو أشخاص من ذوي المعرفة و العلم " ، و على العكس من ذلك فإن القرن الخامس عشر كان قرن إشعاع فكري وهو ما أكدته العلامة سيدي عبد الرحمان النعالي و المستوى الثقافي لم يكن متدني. نقلاً عن كورين شوفاليه ، المصدر السابق ، ص : 11 .

قرون مبتدئة بعهد الموحدين ، و كان في نفس الوقت فاتحة لإنتاج عهد العثمانيين بالجزائر ويعتبر إنتاج القرن الخامس عشر الميلادي من أوفر إنتاج تاريخ الجزائر الثقافي و هذا راجع إلى ما تضمنه هذا القرن من أسماء المؤلفين والعلماء وكثرة الإنتاج العلمي و خاصة ما تعلق منه بالتاريخ و السير و التراجم ، و كما يشير أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي إلى إحصاء لعدد علماء الجزائر في تلك الفترة على مر ثلاثة قرون أن عددهم في القرن الخامس عشر يفوق عددهم في القرون الموالية وظل هذا القرن المرجع الأساسي لحياتهم العلمية⁽¹⁾.

و على الرغم من تدهور الأوضاع السياسية في هذه الفترة إلا أن القرن الخامس عشر ظل يمثل أزهى و أوفر العهود من الناحية الثقافية و لكن هذه الاضطرابات السياسية أثرت بشكل أو بآخر على الحياة الثقافية بالجزائر فقد أدت إلى جانب سوء الأحوال الإقتصادية إلى هجرة العلماء إلى المشرق و المغرب و إنزواء بعضهم و فضل البعض الآخر خدمة الأمراء و من هؤلاء العلماء الذين خسروهم الجزائر : هجرة العالم : أحمد بن يحيى الونشريسي إلى فاس لأسباب سياسية، و المفكر محمد بن عبد الكريم المغيلي من تلمسان إلى السودان القديم ، أبي الفضل محمد المشدالي البجائي و أبي زيان ناصر بن مزني البسكري ، و محمد بن أحمد المعروف بابن صعد التلمساني... وغيرهم⁽²⁾.

بينما كما أسلفنا الذكر أن بعضهم اختار خدمة السلاطين و الحكام أمثال : ابن القنفذ الذي ألف كتاب الفارسية للسلطان الحفصي أبي فارس ، كما ألف العالم الجليل محمد بن عبد الله التنسي كتابه للسلطان أبي عبد الله محمد بن أبي تاشفين الزياني و الذي جاء تحت عنوان : نظم الدر و العقيان في شرف بني زيان.. ، كما فضل بعض العلماء الأجلاء حياة العزلة و الإنزواء و التصوف من أمثالهم : عبد الرحمن الثعالبي و تلميذه أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري و محمد بن يوسف السنوسي... وغيرهم⁽³⁾.

و قد إشتهرت عدد من المدن الجزائرية التي كانت مركز إشعاع ثقافي و حضاري و إعتبرت رمزا حضارياً بارزاً مثل : قسنطينة و بجاية و تلمسان و مازونة ووهران والجزائر و عنابة و بسكرة

(1) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 39 .

(2) نفسه ، ص : 44 .

(3) نفسه .

وتميزت هذه المدن ببروز عائلات إشتهرت بالعلم والزهد والتصوف و ظلت ألقابها راسخة في الأذهان إلى يومنا هذا أمثال : عائلة المقرئ العقباني في تلمسان و عائلة ابن باديس و ابن القنفذ في قسنطينة و عائلة المنجلاني و المشدالي في بجاية و عائلة ابن سكات بمدينة الجزائر وابي زيان ناصر بن مزني في بسكرة و في مازونة : نجد موسى بن عيسى صاحب " ديباجة الإفتخار " ، و يحيى صاحب كتاب " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " و في الجزائر بعالمها عبد الرحمن الثعالبي و تلميذه أحمد بن عبد الله الجزائري ، أما العالمين مُحمَّد الهواري و إبراهيم التازي تصدروا علماء وهران في تلك الفترة⁽¹⁾.

أما عن طبيعة التعليم و المؤسسات التعليمية في هذه الفترة فيمكن القول بأن هذا التعليم كان مرتكزا على العلوم الدينية و اللغة العربية ، وظلت المؤسسات التعليمية تركز فقط على المراكز التي عرفت الجزائر العثمانية فيما بعد : كالمساجد و المدارس و الزواياو غيرها ، وقد طبع القرن الخامس عشر و القرن السادس عشر بالتأثير الثقافي الكبير للجالية الأندلسية و خاصة بعد سقوط غرناطة⁽²⁾، فقد إحتكر الأندلسيين ميدان التعليم و نقلوا طريقتهم الخاصة في التدريس و تلقين الأطفال الصغار القرآن و القواعد الأساسية لفهمه و التدبر في معانيه ، و هذا الأمر لم يكن معمول به من قبل في طرق تدريس الصغار⁽³⁾.

ومن أهم ميزات هذا القرن هو إنتشار الطرق الصوفية و الزوايا التي زادت حدتها في القرون المتعاقبة و ربما يعود هذا الإنتشار المتزايد إلى عدم الإستقرار الداخلي و غياب سلطة موحدة و قوية قادرة على مجابهة الاخطار الخارجية ، وأصبحت الزاوية تنافس المدارس في نشر التعليم و هذا ما أدى إلى تدهور مستوى التعليم و انتشار الجهل و الخرافة ، حيث يشير أبو

⁽¹⁾ نفسه ، ص : 45 .

⁽²⁾ لمزيد من التفصيل حول الدور المشرف الذي لعبه الأندلسيون في إزدهار الحركة العلمية و الفكرية في الجزائر إرجع إلى : مختار حساني ، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية ، ج 4 ، ط 2، دار الحكمة ، الجزائر، 2007، ص:56. ناصر الدين سعيدوني ، دراسات اندلسية ، مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر ، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 . و حول الهجرة أنظر : مُحمَّد رزوق، الأندلسيون و هجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17 ، ط 3، دار إفريقيا الشرق ، 1998 . ينظر أيضاً:

-Devoulx, Albert , Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger.

Revue Africaine, vol. 5, 1861, pp:391-393.

⁽³⁾ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 47.

القاسم سعد الله في كتابه إلى ذلك بقوله : " أدت المبالغة في الإعتقاد في الشيخ و إنتشار الزوايا و الأضرحة إلى نتيجتين خطيرتين أولهما تبسيط المعرفة و ثانيهما غلق باب الإجتهاد ... " (1).

أما بدايات القرن السادس عشر فقد عرفت الجزائر تحولات سياسية هامة أثرت على الجوانب الإجتماعية و الثقافية فقد عرفت هذه الفترة إنحيار الدويلات الصغرى التي حكمت بلدان المغرب العربي : الحفصية و الزيانية كما عرف المغرب الأقصى سيطرة الأسرة السعدية على مقاليد الحكم بعد سقوط النظام الوطاسي ، و وصول العثمانيون إلى البحر الأبيض المتوسط ، و بذلك رسمت خريطة سياسية جديدة للمغرب العربي ظل فيها المغرب الأقصى خارج عن نطاق السيطرة العثمانية و شهدت الجزائر وحدة سياسية جغرافية لم تعرفها من قبل (2).

و قد طبع الحكم العثماني في الجزائر بالمظهر العسكري المتأهب لخوض غمار الحروب مع الأعداء و التسلط على في تسيير الإدارة المحلية للبلاد و هذا الأمر أثر على الحياة الثقافية في الجزائر ، فمثلا النزاع المستمر بين الجزائريين و الإسبان نتج عنه إنتاج فكري غزير في مجال الأدب كما لعب فيه الدين و التصوف و الدروشة دورا رئيسيا (3).

وإذا وقفنا عند إهتمامات العثمانيين في عصر السلطان سليم الاول، وخاصة في ميدان اللغة العربية كان اهتمامهم بها كبيرا، فأسماء السلاطين و السفن والاختام كانت باللغة العربية وهو ما يظهر لنا قوة نمو وتطور العلوم الاسلامية باللغة العربية على الساحة العثمانية من القرن 13 ميلادي الى القرن 19 الميلادي، حيث برز جملة من العلماء العثمانيين المهتمين باللغة العربية و هو ما لمسناه من خلال مخطوط طاشكيري زادة " الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية " (4).

وربما كما قال سعد الله العلم عند العثمانيون كان من شؤون المجتمع و ليس من شؤون الحكومة و لم تكن هناك وزارة و لا إدارة لا في إسطنبول و لا في الجزائر ، فكان التعليم حراً لا يخضع

(1) نفسه ، ص : 48 .

(2) نفسه ، ص : 138 .

(3) نفسه ، ص : 143 .

(4) مخطوط الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، بمكتبة السليمانية : *süleymaniye yazma eser kütüphanesi* ، ملحقه بجامع السليمانية ، تركيا، تاريخ زيارة الباحثة لمركز مخطوطات السليمانية بـ15/نوفمبر/2018. أنظر الملحق رقم ((6)) ، ص 271 .

للقابة و رعاية الدولة ، إنما تحرص عليه الأسر المسؤولة على تعليم أطفالها و المحافظة على الدين الإسلامي و اللغة العربية ، و قد إشتراك العثمانيون حكاماً و جنوداً و كراغلة في إقامة مؤسسات التعليم بإمكانيتهم عندئذ . بدأوا بالكتاتيب حول المساجد في الأحياء الأهلة بالسكان ، و إنتهوا بالمدارس والمساجد ، التي كانت بدورها مراكز للتعليم و الدروس ، و قد خصصت لذلك الأوقاف ووفروا الكتب و عينوا المدرسين و رتبوا لهم الرواتب هذا على المستوى الرسمي ، أما على المستوى العام فإن الأهالي كانوا يعيشون ظاهرة التخلف التي طبعت العهد العثماني بل العالم الإسلامي كله و ليست خاصة بالجزائر فقط ⁽¹⁾ ..

وهو ما جعلنا نتساءل: ماهو سبب اهمال التعليم في الجزائر خلال الفترة العثمانية من قبل حكامها ؟ و هل كان هناك صلة بين علماء الجزائر و الدولة العثمانية آنذاك ؟ ، ولماذا أخذ من اللغة العربية ما يخدم الجانب الديني فقط ؟ بحيث كانت اللغة العربية في الدولة العثمانية هي المسيطرة في المدارس والمراكز التعليمية، ولم تتراجع مكانتها الا في الربع الاول من القرن العشرين وظهور حركة التتريك أما الجزائر فلم يعنى علماء الجزائر بعلوم اللغة العربية ، بإستثناء النحو ، وربما هذا راجع إلى غياب المراكز العليا للتعليم .

ولعل خير إجابة للتواصل بين علماء الدولة العثمانية و علماء الجزائر جاء في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي ، و زيارة علمائهم و جلب تأليفهم المختلفة في الفقه الحنفي و التفسير و الأدعية والأوراد - جمع ورد أو ذكر - التي عرفت رواجاً كبيراً في استانبول إلى الجزائر ، و كان علماء الجزائر يشترون الكتب من استانبول ⁽²⁾

2/ المميزات الثقافية في القرون الثلاثة (السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر) :

أخذ التعليم في القرون التي تلت دخول العثمانيين منحى مميز فإنتشرت المراكز التعليمية في المدن و الارياف و القرى و حتى المناطق الجبلية النائية وربما على حسب رأيي يعود الأمر إلى إنتشار الطرق الصوفية و ما ترتب عنها من إتساع المباني المخصصة لأتباعها في الشرق و الغرب الجزائري بما يسمى بالزوايا، بعدما كانت منحصرة فقط في الحواضر الكبرى : كتلمسان في الغرب

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص : 192 ، 193 .

⁽²⁾ نفسه ، ص : 289 .

وبجاية التي كانت دار علم و عمل و مستقر العلماء على حسب تعبير التيمقوتي⁽¹⁾، والجزائر في الوسط وقسنطينة في الشرق الجزائري .

وأهم ما ميز الحياة الثقافية طيلة تواجد العثمانيين في أرض الجزائر ، على رغم من الأوصاف المحبطة إلا أنها عرفت إنتعاش ثقافي و توافد العماء من المشرق و المغرب وتبادل المؤلفات والكتب⁽²⁾ . أن كل فرد من أفراد المجتمع كان يجيد القراءة و الكتابة ، و هذا بفضل إنتشار الكتاتيب القرآنية ما يعرف بـ : المسيد بالدرجة الأولى و تليه بقية المراكز التعليمية الأخرى و باعتبار الكتاب هو أقل وحدة تعليمية إلا أنه إستطاع تعليم النشء مبادئ الأولية للقراءة والكتابة و تحفيظ القرآن الكريم دون فهمه بداية الأمر ، إلا أن جاء التأثير الأندلسي و أدخل مناهج جديدة في الكتاب و تلقين الأطفال القرآن الكريم مع الحرص على الوقوف على مضامين الآية ومعانيها، شروحاتها .

فازدهرت الحركة العلمية في القرن السابع عشر ، و إنتشرت العلوم ذات الطابع الديني : العلوم الدينية كالقرآن الكريم و العلوم الفقهية و التي شملت : الفقه و أصوله و علم العقيدة و العلوم اللغوية ، خاصة ما تعلق منها بالنحو و البيان . ومن بين من ذاع صيتهم في هذا المجال نجد على سبيل المثال ، لا الحصر : العلامة الشيخ عيسى بن مُجد الثعالبي ، وأحمد بن عمار الجزائري و سعيد المقرري ، و يحيى ابن صالح الملياني ، وعائلة الفكون : و على رأسهم العلامة عبد الكريم الفكون⁽³⁾ .

ونستنتج أن أهم ما ميز الحركة التعليمية في الجزائر هو بروز ثلة من العلماء والفقهاء والأدباء برزوا في مجالات مختلفة غطى ربما علمهم نوعاً ما على حركة الركود الثقافي التي سادت الفترة العثمانية في الجزائر ، كما كان لهم دور كبير في تعليم الفرد الجزائري ، و إستمرار المراكز التعليمية : المساجد ، الزوايا ، والأضرحة ، والمعمرات والمكتبات ، والكتاتيب القرآنية ، والمدارس .

⁽¹⁾ التيمقوتي ، النفحة المسكية في السفارة التركية ، تح : عبد اللطيف الشاذلي ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 2002 ، ص : 31 .

⁽²⁾ أحمد سليمان ، المرجع السابق ، ص : 71 .

⁽³⁾ في فضل عبد الكريم الفكون و مآثره : ينظر : أبو راس الناصري ، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، تح: عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1982 ، ص: 98 . أنظر أيضا في التعريف به : إلى كتابه : منشور الهداية فيمن إدعى العلم والولاية ، ط 1 ، تح : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، الجزائر ، 1987 ، ص: 7-13. وكذلك : أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون الداعية السلفي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 1986 .

وما نلمسه من خلال هذه الدراسة أنه طيلة القرون الثلاثة : (11هـ/17م - 12هـ/18م - 13هـ/19م) كثرة الرحلات العلمية وحركة التواصل الثقافي و الحضاري بين بلدان المغرب العربي بصفة خاصة ، و المشرق العربي بصفة عامة ، فكما قال مولاي بلحميسي ، و لد الإنسان راحلاً ، و هذا يدل على تعطش المسلمين للعلم و المعرفة و عملاً إلى ما ينسب للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : " لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، و مسجد الرسول والمسجد الأقصى "(1)، فبرز كوكبة من رجال الفكر و الثقافة ، بحيث إعتبرت هذه الرحلات من أهم المصادر التي تناولت تراجم المؤلفين ووصفت المراكز التعليمية السائدة انذاك وكذلك تناولت السلطة العثمانية و تفاعلها مع أفراد المجتمع الجزائري (2).

ونستنتج أن أهم ما ميز هذا العصر هو إنتشار كما ذكرنا حركة التصوف فكثرت المباني المخصصة لها ، في المدن والقرى الريفية ، و أدى بساطة التعليم بها و الانصياع لشيخ الزاوية، فكثرت الدجل و الخرافة و إنحط المستوى الفكري طيلة الفترة العثمانية .

3/ العوامل المؤثرة على التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني:

هناك الكثير من العوامل المؤثرة على التعليم في الجزائر في العهد العثماني، ومن ذلك:

أ) الهجرة: لقد حمل المجتمع الجزائري على عاتقه نشر التعليم متأثراً بعوامل خارجية تمثلت في هجرة الأندلسيين الذين قاموا بتطوير ميدان التعليم من قواعد اللغة والأدب والعلوم والموسيقى،

(1) مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية ، الجزائر ، 1981 ، ص : 12.

(2) من أهم الرحلات العلمية: الرحلة الورثيانية التي جاءت تحت عنوان : " نزهة الانظار في فضل علم التاريخ و الأخبار ، رحلة أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي : " الرحلة الناصرية " ، الرحلة العياشية : لعبد الله بن محمد العياشي في القرن السابع عشر " ماء الموائد " ، رحلة عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري " لسان المقال في البناء عن النسب والحسب و الحال ، رحلة التيمقوتي : " النفحة المسكية في السفار التركية " التي تعد مصدراً هاماً عن الأحوال السياسية والأقتصادية و الإجتماعية و الثقافية ، و خصوصاً وصفه للمنشآت التعليمية الدينية في الجزائر : فذكر ماتنخر به المناطق التي زارها من مساجد و أبنية دينية وقد أعجب بالجامع الأعظم ، وذكر الأولياء و الصالحين والعلماء : فذكر مثلاً: ذكر الوالي عبد الرحمن الثعالبي حامي مدينة الجزائر و ضواحيها ، و أيضاً : الوالي الصالح أبو مدين الشعيب ببجاية التي كانت من أهم المراكز الحضارية و الثقافية . لإلقاء نظرة على تلك الرحلات إرجع إلى : مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، المرجع السابق . أنظر الملحق رقم : ((7 و 8))، ص : 272 ، 273 .

حيث قام الأندلسيين بالاحتكاك بالأوروبيين في عصر النهضة بعد فتح الجامعات في أوروبا وظلت اللغة العربية لغة الأكثرية من الجزائريين، مع اتخاذ الدولة اللغة التركية كلغة رسمية⁽¹⁾.

(ب)- إمتزاج العناصر الإجتماعية : لقد شكلت عملية الاختلاط للعناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري بداية تمازج بين الموروث الثقافي مع الثقافات التي كانت تتوافد على الجزائر من خارج البلاد ، حيث نتج عن هذا الأمر ظهور العديد من المدارس الدينية والفقهية، والتي انتشرت؛ لتكون مراكز للثقافة العربية وقاعدتها المسجد والزوايا .

(ج)- العلماء : لقد عمل العديد من العلماء في المساجد والمدارس الدينية والفقهية من علماء الفكر والعلم من المسلمين المشتغلين بعلوم الفقه والأدب والفلسفة وباقي العلوم الأخرى، الأمر الذي أثر بصورة كبيرة على وضع التعليم في الجزائر، حيث وفد إليهم طلاب العلم من بلدان شتى ينهلون من علمهم⁽²⁾.

ولقد عمل العلماء كمرشدين دينيين واجتماعيين يقومون بربط المجتمع بالدين عن طريق التوعية الفكرية والدينية وفي أغلب الأوقات يكونوا في وجه الانحراف السياسي، والتقاعس عن الجهاد، والتعسف الضريبي وهذه الأمور زادت من قوتهم ومكانتهم، حيث مثل العلماء الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني رغم ترفعهم الطبقي، فلقد كانت صلتهم بالأهالي عن طريق التعليم والدروس التي كانوا يقومون بإلقائه⁽³⁾.

(د)- المؤسسات التعليمية : ومن العوامل التي أثرت على التعليم في العهد العثماني بالجزائر بناء الزوايا، والذي كان له دور كبير في النشاط العلمي والديني، حيث ساهمت في تخريج عدد من الطلبة بالإضافة إلى دورها في تدريس العلوم المختلفة ، فكان المسجد، والزوايا عبارة عن مدرسة للتعليم ودار للقضاء ومأوى لعابري السبيل، أما الكتاب فقد تم تخصيصها من أجل تعليم القراءة والكتابة⁽⁴⁾.

(1) مؤيد محمود حمد المشهداني، المرجع السابق، ص 436.

(2) رشيدة شندري معمر، المرجع السابق ، ص 49.

(3) نفسه.

(4) مؤيد محمود حمد المشهداني، المرجع السابق ، ص 434-435.

(هـ)-رجال السلطة: بالرغم من اهتمام السلطة والحكام العثمانيين بالاهتمامات الحربية، إلا أن عقيدتهم الدينية جعلت البعض منهم يهتم ببناء المؤسسات التعليمية والمدارس و الأوقاف، كجزء من الخدمة الاجتماعية الإسلامية، و ظهور بعض الحكام شجعوا الحياة الثقافية : مثل يوسف باشا الذي قرب منه العلماء فحظي عنده الشيخ على الأنصاري ، و إتخذ من الشيخ الثعالبي كاتباً له ⁽¹⁾ و الداي عثمان باشا ..و غيرهم حيث تجلّى احترام العثمانيين وتقديرهم للعلماء ومحاولة التقرب منهم في بناء العديد من الزوايا في المدن والقرى الجزائرية، فقد بنى الباي مُجَد قبة " ضريح المرباط سيدي علي "من ماله الخاص بقيمة مليونين ريال. ⁽²⁾

كما كان لمحمد باي الكبير دور مهم وعظيم في العملية التعليمية وله تأثيرات متعددة في سير العملية التعليمية في الجزائر العثمانية، حيث قام بتشيد الكثير من المؤسسات العلمية في مدن متفرقة من البايك خلال فترة حكمه في الجزائر وقام بإنفاق الكثير من الأموال على تلك المؤسسات العلمية . . ⁽³⁾

وقام بتشيد مساجد أخرى كالجامع الأعظم والمدرسة الحمديّة بمعسكر، كما أشرف الباي مُجَد الكبير على بناء المدرسة الحمديّة وتجهيزها من الوسائل المادية المختلفة والمعدات التربوية ومن الأساتذة الأكفاء، كما أنه ألحق بها مكتبة كبيرة وزودها بمختلف المخطوطات والكتب الباهظة، والتي كان يستكثر منها بالنسخ والتأليف من أجل أن تكون سهلة في متناول الطلاب. ⁽⁴⁾

كما أنه اهتم بتمويل المدرسة من أجل ضمان استمراريتها التعليمية، ومن جملة ما أوقف لصالحها وللجامع الأعظم خزانة كتب وحمّام فائق البناء، كما أنه اشترى حدائق ودوراً بالإضافة إلى حوانيت ومخبزة وغير ذلك، وقد حفظت مجموعة من العقود التي توضح الأملاك المحبسة ⁽⁵⁾

⁽¹⁾ مُجَد قروود ، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م من خلال ثلاث نماذج ، أحمد المقرري ، عيسى الثعالبي، يحيى الشاوي النائلي ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الجزائر ، 2009/2010 ص : 41 .

⁽²⁾ رشيدة شدرى معمر، المرجع السابق ، ص 126 - 128 .

⁽³⁾ سعدية رقاد، المرجع السابق ، ص 216 - 219 .

⁽⁴⁾ نفسه .

⁽⁵⁾ للتعرف أكثر على أهم العقود التحبّيس التي كانت تتم عن الطريق البيع و الشراء إرجع إلى العلبة رقم ((45)) ، الأرشيف الوطني الجزائري ، سلسلة سجلات المحاكم الشرعية ، بئر خادم ، الجزائر .

(و)-العامل الشعبي: يعتبر البعد الشعبي من العوامل التي جعلت التعليم في العهد العثماني بالجزائر منتشراً انتشاراً واسعاً حتى أنه قد غطى كل المناطق بما في ذلك المدن والقرى، فالتعليم في الجزائر في العهد العثماني انتشر بفضل تبني الجهود الفردية والمؤسسات الخيرية له، بالإضافة إلى بعض رجال الدولة بصفتهم أفراداً لا قطاعاً حكومياً.⁽¹⁾

⁽¹⁾ سعدية رقاد، المرجع السابق ، ص 216 – 219 .

الفصل الأول

المنشآت التعليمية الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني

(1519 – 1830م)

المبحث الأول: الكتاتيب القرآنية بالجزائر في العصر العثماني:

- مفهوم اللغوي والاصطلاحي للكتاب .
- إسهامات السلطة العثمانية بالجزائر في ترسيخ منظومة الكتاتيب القرآنية .
- دور الكتاتيب القرآنية التعليمي والتثقيفي في الجزائر في العصر العثماني .

المبحث الثاني: المسجد بالجزائر في العصر العثماني:

- مفهوم المسجد لغة واصطلاحاً .
- إسهامات العثمانيين في بناء المساجد وتطويرها .
- أهم المساجد بالجزائر في العهد العثماني .
- دور المسجد التعليمي والتثقيفي في العهد العثماني بالجزائر .

المبحث الثالث: الزوايا والأضرحة والرباطات بالجزائر في العصر العثماني:

- الزوايا والأضرحة والرباطات: المفاهيم والنشأة ودورها التعليمي
- المفاهيم وأهم الزوايا والرباطات والأضرحة في الجزائر في العهد العثماني .
- إسهامات السلطة العثمانية في إنشاءها وتنظيمها .
- الدور التاريخي للزوايا والأضرحة والرباطات .

المبحث الرابع : المعمرات في العهد العثماني .

- مفهوم المعمرات لغة واصطلاحاً
- أنواع المعمرات بالجزائر في العهد العثماني .
- دور السلطة العثمانية في إنشاء المعمرات .

المبحث الأول : الكتابات القرآنية بالجزائر في العصر العثماني

وفقاً للدراسات، يُعتبر العهد العثماني في الجزائر فترة من الركود الثقافي، حيث شهدت الحياة الفكرية والعلمية تباطؤاً ملحوظاً مقارنةً بالفترات السابقة. وقد تركزت الأنشطة الثقافية في مجالات محدودة، مما أدى إلى تراجع الإنتاج الفكري والتعليمي في العديد من المجالات، حيث لم تكن ثمة حركة فكرية أو علمية عصرية ذاتية، أو متأثرة بالثقافة الأوروبية⁽¹⁾، وذلك لعدم اهتمامهم بالجانب الحيوي والثقافي إلا في عدد من المدن الجزائرية التي كانت مراكز إشعاع ثقافي مثل : قسنطينة و مستغانم الجزائر ... التي حافظت على التراث الفكري الذي قد ورثه ونبغ فيه علماء وشعراء واتسع أفقها في مجالات أدبية ولغوية وعقلية مختلفة.⁽²⁾

و تميزت الحياة الثقافية في الجزائر بارتكازها على الجانب الديني فانصب إهتمام العلماء على الفقه و التفسير و الحديث . فكانت الثقافة كما أشرنا دينية أكثر منها أدبية وهذا ما أدى إلى إهمال العلم و تقلص العلماء وانتشار التصوف و الدروشة و ساد التقليد و الجمود العقلي على الحياة الثقافية⁽³⁾، وهو ما تحدث عنه أبو راس الناصري بقوله " إذ في زمن عطلت فيه مشاهير العلم و معاهده و سدت مصادره و موارد و خلت دياره و مواسمه و عفت أطلاله و معالمه لا سيما فن التاريخ و الأدب ... " ⁽⁴⁾ .

وعلى الرغم من هذا الركود إلا أنه كانت هناك الكثير من المراكز التعليمية المنتشرة في أنحاء البلاد، وكانت الكتابات القرآنية أحد تلك المراكز⁽⁵⁾.

1/ المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكتاب:

1.1 المفهوم اللغوي :

كتب الكتاب، أي خطه، و اكتتبه: أي إستملاه، والكتاب: ما يكتب فيه، و الإكتتاب: تعليم الكتابة، والكُتّاب بضم الكاف وتشديد التاء، والمكتب، موضع التعليم⁽¹⁾، والجمع كتاتيب: وهي مكان صغير لتعليم الصبيان، القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن⁽²⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثالثة، ص159.

(2) مؤيد محمود حمد المشهداني، المرجع السابق، ص 435.

(3) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج3 ، ص 187 . أنظر لمزيد من التفاصيل عن الحياة الثقافية كتابه : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ج 2 .

(4) أبوراس الناصري ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ، مخطوط ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم : 1632 ، ص ص : 2 ، 3 .

(5) محمد سرور زين العابدين، مذكراتي، دار الأصول العلمية، الطبعة الأولى، 2020م، 301/1.

قال ابن منظور: "قال الحسن: كان الحجاج مكتبا بالطائف، يعني معلما؛ ومنه قيل: عبيد المكتب، لأنه كان معلما. والمكتب: موضع الكتاب. والمكتب والكتاب: موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب والمكاتب، المبرد: المكتب موضع التعليم، والمكتب المعلم، والكتاب الصبيان؛ قال: ومن جعل الموضع الكتاب، فقد أخطأ"⁽³⁾.

فالكتاب مأخوذ من كتب، حيث إن الأطفال يتعلمون فيه القراءة والكتابة.

2.1 المفهوم الإصطلاحي :

عرفها أبو الطيب المكي، فقال: "الكتاتيب: هي مدارس صغيرة، لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، وتعليمهم الكتابة والقراءة، بصورة بسيطة"⁽⁴⁾، وقيل إن الكُتَّاب: "مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن"⁽⁵⁾.

وقال أحمد مختار: "الكُتَّاب: مكان تعليم الصبيان القراءة والكتابة"⁽⁶⁾.

ومن تعاريف الكتاتيب: أنها جمع كتاب، وكان يطلق عليه في العاصمة الجزائرية (مسيد)⁽⁷⁾، هي عبارة عن مراكز صغيرة نسبياً، فغالباً ما تتضمن حجرة أو حجرتين، وتتمثل مهمتها الأساسية في عملية تحفيظ القرآن الكريم للصبيان وقد تكون أحياناً ملحقة بمسجد كبير.⁽⁸⁾

(1) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، ص 129.

(2) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 1429 هـ - 2008 م، مج 3: ص 1903.

(3) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، مج: 1، ص 699.

(4) محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1421 هـ - 2000 م، مج: 2، ص 479.

(5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، مج: 2، ص 775.

(6) أحمد مختار عمر و آخرون، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، 616 / 1.

(7) العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، العدد 3، 1980، ص 61، 62.

(8) مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، ع 14، 15، 2001 م، ص 4. أنظر أيضا: صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، العدد: 11، 2018 م، ص 130.

وعرف الكتاب بأنه: "حجرة صغيرة، أو حجرتين مجاورة للمسجد، أو بعيدة عنه أو غرفة في المنزل، مخصصة لتعليم القرآن، والقراءة والكتابة، والكتاتيب التي تعلم القرآن لا تخلط مع تحفيظه شيئاً من العلوم الأخرى"⁽¹⁾.

وقال جواد علي: "وفي العربية لفظة "الكتاب"، ويراد بها في عرف هذا اليوم المدرسة التي يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ المعرفة. وهي من الألفاظ العربية المستعملة في العهود الأولى من الإسلام. وعندي أنها من الألفاظ العربية التي كانت مستعملة في الجاهلية، وهي في معنى بيت"⁽²⁾.

وعرفت الكتاتيب بأنها: حجرة مفروشة بحصر بالية، وتقدم فيه للأطفال مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم كله أو أجزاء منه بالإضافة إلى بعض مبادئ الفقه، فإذا قام الطالب بختم القرآن الكريم كله أقام له ذويه احتفالاً يحضره شيخ الكتاب الذي يتلقى ما تيسر له من هدايا.⁽³⁾

وعرفت الكتاتيب بأنها: عبارة عن الفضاء الذي تقدم فيه للأطفال مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم كله أو أجزاء منه بالإضافة إلى بعض مبادئ الفقه ومبادئ الحساب.⁽⁴⁾ وعرفت بأنها: "المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، وأولويات المعرفة العمومية"⁽⁵⁾. وهذا التعريف يعد من أفضل التعريفات، وذلك لما يأتي:

- 1- تميز هذا التعريف بالعبارة الموجزة.
 - 2- كشف عن الأهداف التي يحققها الكتاب.
 - 3- كما اتسم بالوضوح وعدم التعقيد، فعباراته بسيطة، وواضحة.
 - 4- كما أنه تعريف صالح لكل زمان ومكان.
- 2/ إسهامات السلطة العثمانية بالجزائر في ترسيخ منظومة الكتاتيب القرآنية :**

(1) مؤيد محمود حمد المشهداني، المرجع السابق، ص 435.

(2) علي جواد، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، الطبعة: الرابعة 1422هـ/ 2001م، 15 / 291.

(3) فاطمة دخية، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمه لنيل شهادة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب جزائري قديم، كلية الآداب واللغات، جامعه محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015، ص 21.

(4) صليحة بردى، المرجع السابق، ص 130.

(5) آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، عدد: 7، 2011م، ص 73.

بدأ تأسيس الكتاتيب في الجزائر عقب الفتوحات الإسلامية، بهدف تزويد الناشئة والعامّة بمهارات القراءة والكتابة باللغة العربية، وتحفيظهم القرآن الكريم، وتعليمهم مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة. كما كانت هذه الكتاتيب تسهم في تعريفهم بأساسيات الدين الإسلامي، من فروض وواجبات وتعاليم، مما جعلها ركيزة أساسية في نشر المعرفة الدينية وتعزيز الهوية الإسلامية بين أفراد المجتمع.⁽¹⁾

قال ابن خلدون: "تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات. وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات"⁽²⁾.

في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تشهد نهضة علمية وصناعية، كانت الحياة في الجزائر في العصر العثماني تشهد ركوداً علمياً كبيراً، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان هناك العديد من علماء الجزائر الذين تركوا بصماتهم التعليمية في حفظ التراث الجزائري الإسلامي وفي استمرار الكتاتيب، فالشواهد التاريخية بينت أن السلطة العثمانية كان لها الأثر العظيم في عملية نشر الثقافة التعليمية والأعمال الخيرية من خلال الجوامع والمدارس والكتاتيب التي ساهمت في تربية الأطفال، وتعليمهم رغم اختلاف أصولهم العثمانية والعربية و ذلك من خلال توفير الأمن و الاستقرار.⁽³⁾

والتعليم في الجزائر كان خاصا يقوم على جهود الأفراد و المؤسسات الخيرية و يدخل في هذا العموم أيضا رجال الدولة كأفراد امثالا لتعاليم الدين الإسلامي ، حيث كانت الكتاتيب مهمتها الرئيسية استظهار كتاب الله تعالى، وهي عبارة عن أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية

(1) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط1، 1960 - 1995م، 78/10.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988م، ج1، ص: 740.

(3) حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2008م، ص

بواسطة اللوح المصلصل والقصب والقلم ، وتكون هذه الكتاتيب في غالب الأمر في الأضرحة للأولياء والمساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس.⁽¹⁾

لقد كانت غاية الدولة العثمانية الدفاع عن الإسلام ورفع رايته الخفاقة على الأنام، لذلك صبغت الدولة شعباً وسلطاناً حكومة وجيشاً نهجاً وضميراً بصبغة إسلامية خالصة منذ النشأة فلقد كان اهتمام السلاطين بأمر الدين عظيماً وقدموه على كل شيء وواظبوا عليه إلى أقصى الحدود، وأكدوا أنهم لا ينتسبون إلا للإسلام وتراثه الحضاري، وكان الوطن لديهم هو كل أرض يسكنها المسلمون ، لذلك فقد كان هدف المنهج المتبع في جميع المعاهد والمدارس تصاغ به نفوس الناشئة منذ بداية تعليمهم في الكتاتيب وجميع المسلمين كانوا يسجلون في دوائر النفوس وفي التذاكر العثمانية كمسلمين فحسب دون أن يذكر إلى أي جانب كانوا من الأتراك أو العرب .⁽²⁾

لقد كان العثمانيين في بداية الأمر يجلبون معهم علمائهم ، القائمين على شؤون المذهب الحنفي الذي كانوا يتبعونه، كما أنهم قاموا بتولي الوظائف الدينية وكلفوا بالمهام الدبلوماسية علماء من مختلف الأقطار الإسلامية، ولم يعتمدوا على علماء الجزائر على الأقل في بداية عهدهم ، ومهما كان الأمر فإن المدرسة الجزائرية لم تكن كافية من أجل سد جميع الفراغات في الوظائف المفتوحة أمام العلماء.⁽³⁾

و العلماء على الرغم من مكانتهم العالية ورفعة طبقتهم، إلا أنهم كانوا على صلة بالناس في الدروس ومجالس الفتوى والكتاتيب والزوايا فكان بعض العلماء يقومون بالجلوس في المقاهي ويختلطون بالناس في الأسواق ، وكان بعضهم يكثر عليه الازدحام في الدروس والخطب حتى يلفت النظر لنفسه فتخشاه السلطة⁽⁴⁾، وهذا بدوره يعكس اهتمام العثمانيون في الجزائر بالكتاتيب، ومحاولة ربط الصغار فيها بأهل العلم، تشجيعاً لهم على مواصلة التعليم⁽⁵⁾.

(1) إين ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحمية ، تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم ، ط : 2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 58 . أنظر : الأشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر)

أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، مج4، ع7، 2013م، ص 63 .

(2) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق، ص 287 .

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر ، طبعة خاصة ، 2007م، ص : 391.

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ج1، 409.

(5) أنظر الملحق رقم : ((9)) ، ص: 274 .

سمح العثمانيون بانتشار الكتاتيب في القرى والمدن، في العمران والصحاري، كما سمح العثمانيون لرجال الدين، وحفظ القرآن الكريم بإنشاء تلك المدارس الأولية ولم يضعوا قوانين لعرقلة سيرها⁽¹⁾. وربما ما يدفع العثمانيين إلى الاهتمام بالكتاتيب هو الحفاظ على تماسك المجتمع الروحي والثقافي⁽²⁾.

وما يبرز دور العثمانيين في إنشاء الكتاتيب وتطورها أنها شجعت الحواضر الثقافية التقليدية على الحفاظ على صدارتها في مجال الثقافة ممثلا في عدد المدارس والجوامع والمكتبات والكتاتيب وهذه الحواضر هي: تلمسان التي تميزت الكتاتيب بها بزخارف فسيفسائية مميزة⁽³⁾، والمدية، ومازونة ومعسكر وبجاية، وغيرها من المدن التي ازدهرت فيها العلوم، فلقد قصدها الكثير من العلماء وقاموا بتأسيس مدارس للعلم فيها، كما أدى الدور البارز للسلطة العثمانية في الجزائر إلى توافر العوامل التي أدت إلى أن يقصد الطلبة الكتاتيب من كل أرجاء الجزائر، بل ومن خارجها، كما أثر ذلك على العائلات العريقة في تلك الحقبة، حيث اهتمت بإلحاق أبنائها بالكتاتيب، وظلت تقوم بتوريث العلم لأبنائها، ومن أمثال تلك العائلات: عائلة ابن مرزوق والعقباني في تلمسان وابن قنفذ وابن باديس والفكون في قسنطينة⁽⁴⁾.

كما ساهمت السلطة في الجزائر العثمانية من انتشار الكتاتيب في أرجاء الجزائر قراها ومدنها عمرانها، وصحاريها من خلال جهودهم في حفظ الأمن الداخلي والخارج، حيث إن الوجود العثماني الذي رسم معالم الدولة الجزائرية الحديثة وحدودها وطرد الإسبان من شواطئها كان سببا كبيرا في ازدهار العلوم التقليدية على الأقل وكثرة حلقات العلم وإقبال الجزائريين على العلم والمعرفة ولو في أدنى مستوياتها حتى وإن لم تكن في الجزائر مؤسسة حكومية تعنى بالجوانب العلمية والتربوية مما جعل التعليم أهليا على تمويله ومؤسساته ومعلميه⁽⁵⁾.

(1) شوقي ضيف، عصر الدولة والإمارات، دار المعارف، الطبعة الأولى، ص78.

(2) دخية فاطمة، المرجع السابق، ص24.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص: 19.

(4) درام الشيخ، النظم التعليمية في الزوايا، مذكرة مكملية لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سطيف، 2013م، ص74 - 75.

(5) نفسه. لمزيد من التفصيل حول أهم المؤسسات الوقفية التي كانت تغذى منها هذه المراكز التعليمية وإسهامات المحبين من الرجال والنساء أنظر: عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، سلسلة مشاريع البحث الوطنية، الجزائر، 2007، ص: 242-310. أنظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحجاية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001.

ومن خلال ما سبق يتضح أنه على الرغم غياب المؤسسات الرسمية في الجزائر العثمانية ، لكن كانت هناك عناية بالكتاتيب من عدة زوايا، منها الاهتمام بنشرها في أرجاء البلاد، والسماح بإنشائها و عدم وضع أية قيود على حركة التعليم في الجزائر .

3/ دور الكتاتيب القرآنية التعليمي والثقافي في الجزائر في العصر العثماني:

إن الحديث عن دور الكتاتيب⁽¹⁾ في الجزائر في العصر العثماني يقتضي توضيح الكثير من الأمور، كأهمية الكتاتيب، وانتشارها وطبيعتها، وطرق التدريس فيها وغير ذلك من أمور تتعلق بالكتاتيب ونظامها في العهد العثماني.

3-1 أهمية الكتاتيب:

إن المظاهر الثقافية التي كانت تميز تلك الفترة هي تحرر التعليم من سيطرة الدولة وسيطرة الحكام العثمانيين، ويعتبر الكُتّاب من أكثر مراكز التعليم انتشارا في تلك الحقبة حيث أقبل عليه الناس في هذه الفترة من مختلف البلدان من كل حذب و صوب⁽²⁾، والكتاتيب كمركز تعليمي عرفه المسلمون منذ صدر الإسلام، ويرتادها عادة الأطفال الصغار فقد انتشرت في أقطار العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، فلم تخل منها قرية ولا مدينة ويستعملون في تعليمهم أدوات بسيطة كاللوحه والصمغ والأقلام المصنوعة من القصب، وتفرش الكتاتيب بالحصير أما أوقات التدريس بها فهي عادة ما تكون مرة أو مرتين بعد الصلوات المفروضة ، و يدفع أولياء التلاميذ مبلغا ماليا قليلاً لمعلم القرآن الذي يفتح الكتاب من أجل أن يوفر لقمة عيشه منه ، فمعلموا القرآن في الغالب ليس لديهم مصدر رزق سوى تعليم القرآن وقد يكون الكتاب تابعا لأحد المحسنين الذي يدفع أجرة المعلم من حر ماله.⁽³⁾

فللكتاتيب فضل كبير في الحفاظ على القرآن الكريم في بلاد المغرب وهي إلى جانب ذلك تمثل التعليم الابتدائي الذي يتلقى فيه الأطفال الحروف والمبادئ الأولى للغة، وكذلك الحساب، وقد كانت بعض الكتاتيب تحفظ الطلبة بعض المتون السهلة في العقائد، والعبادات، والقراءات⁽⁴⁾.

(1) أنظر الملحق رقم : ((10))، ص : 275.

(2) فاطمة دخية ، المرجع السابق ، ص 21 .

(3) نفسه .

(4) نفسه .

كما لعبت الكتاتيب دوراً بارزاً في الجزائر في الفترة العثمانية و بعدها ، حيث قامت بدور كبير بعد تقهقر التعليم في الجزائر في الفترة الاستعمارية وأحجم الجزائريون على إلحاق أبنائهم بالمدارس الفرنسية وعلى العموم فقد كان للكتاتيب دور فعال في الحفاظ على مصدر الشريعة الإسلامية الأول وهو القرآن على الرغم من قلة الوسائل وبساطة الإمكانيات.⁽¹⁾

لقد شكل الكُتّاب في الجزائر مكاناً تلقى فيه دروس المعرفة والتعليم الديني، وعرفت انتشاراً واسعاً في كل المناطق الجزائرية وكان الكُتّاب هو الأساس للتعليم الابتدائي كما كانت هذه المدارس تكون الأطفال للالتحاق بالتعليم الثانوي المتمثل في الزوايا وكان يدرس بها مدرسون جزائريون خريجي المدارس العربية القرآنية، وكان الطالب يلعب دور المعلم والإمام في آن واحد معاً، وهو في الحقيقة الذي يتولى الآذان للصلاة، ولأنه يعرف الكتابة والقراءة فغالبا ما يقحم في المسائل العائلية .⁽²⁾

لقد استطاعت المؤسسات التعليمية خلال الفترة العثمانية المحافظة على اللغة العربية، والثقافية الإسلامية والقيام بدور فعال في نشر العلم في زمن غاب فيه التنظيم الرسمي للتعليم الجزائري وإهمال الإدارة العثمانية له ، و حسب بعض المصادر الفرنسية أن فرنسا عند دخولها إلى أرض الجزائر كان كل الجزائريون تقريباً يعرفون القراءة و الكتابة و لهذا عملت السلطات الفرنسية على التصدي لهذا النوع من التعليم ومحاربتها له بشتى الوسائل إلا أن الكتاتيب القرآنية استمرت في نشر رسالتها التربوية التعليمية.⁽³⁾

لعبت الكتاتيب دوراً كبيراً في المحافظة على الهوية الجزائرية الإسلامية، من خلال حفظ كتاب الله تعالى، وتعليم اللغة العربية، و القراءة ، و مبادئ الحساب ، وغير ذلك من المعارف التي كانت تتلقى في تلك الفترة من تاريخ الجزائر⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ درام الشيخ، المرجع السابق، ص 75 – 76 .

⁽²⁾ نفسه .

⁽³⁾ محمد مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر القديم و الحديث ، مكتبة النهضة ، الجزائر ، 1964 ، ج 3 ، ص 318 . انظر : بلحسين رحوي عباسية، النظام التعليمي الابتدائي بين النظري والتطبيقي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة السانجا _وهران، 2012م، ص 51-52..

² Boyer –Pierre ,La Vie Quotidienne à Alger à La Veille De L'intervention Française,imp National, Monaco, 1964, p199.

كما أنها كان لها دور كبير في المحافظة على الشخصية الجزائرية، حيث كانت الكتاتيب هي المكون الأول لتلك الشخصية المتشعبة بتعاليم الإسلام، وأخلاقه، وآدابه. لقد أسهمت الكتاتيب إسهاما كبيرا رغم بساطة أساليب التعليم في التخفيف من الأمية و التقليل من إنتشارها فعن طريق الكتاتيب قرأ المسلمون القرآن الكريم و عرفوا بعض أحكام الدين الإسلامي الحنيف ، فلها الفضل في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الجزائر خلال تلك الفترة⁽¹⁾. فاستمدت الكتاتيب قيمتها الثقافية من مجموعة الأدوار التعليمية التي كانت تمارسها في ذلك الوقت⁽²⁾. وكان لها الفضل في نشر العلوم والمعارف خاصة الدينية منها، ، بفضل الكتاتيب القرآنية التي انتشرت في المدن والقرى انتشاراً لا نظير له، انتشر العلم بين الطبقات الراقية، وقل الجهل بين الطبقات الوسطى والعامة⁽³⁾.

لقد كانت الكتاتيب نقطة الانطلاق الحضاري، والثقافي، لما تقوم به من إعداد الأجيال الناشئة؛ لمواصلة الدراسة والبحث، والتخصص العلمي الدقيق، وتزودهم بمبادئ تحصيل العلوم، وتنمي ثقافتهم، وتثقل مواهبهم، وتعزز معارفهم، ولقد كانت الكتاتيب هي بستان العلم الذي أينعت ثماره في مشاهير العلماء والحكماء والقادة في العهد العثماني بالجزائر، بل امتد أثره إلى ما بعد العهد العثماني⁽⁴⁾.

لقد انبنى نظام التعليم الإسلامي في الجزائر العثمانية على الكتاتيب القرآنية التي انتشرت في القرى والمدن ، وكانت بمثابة مدارس صغيرة يقدر على فتحها كل معلم قرآن طموح ، وكان المعلمون يقومون بتحفيظ القرآن الكريم وتلقينه للأطفال وتعليمهم الكتابة والقراءة وبذلك فإنهم يؤهلونه من أجل دراسة معاني القرآن الكريم وأحكامه⁽⁵⁾.

2-3 إنتشار الكتاتيب بالجزائر:

(1) آسيا بلحسين، وضعية التعليم الجزائري ...، المرجع السابق، ص 59.

(2) صليحة بردى، المرجع السابق ، ص 130.

(3) نفسه ، ص 131.

(4) حسن عبد الغني أبو غدة، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، 2009م، ص 208.

(5) بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، الجزائر، 2008م، ص 20

شهدت الكتاتيب بالجزائر في العهد العثماني انتشاراً واسعاً، ونالت شهرة كبيرة، فقد ذكرت المصادر أن تلمسان، كانت تحوي خمسة كتاتيب حسنة التصميم، وكان إجمالي ما يوجد في مدينة تلمسان من كتاتيب ما يقرب من خمسين مكتباً، كما حوت مدينة القسطنطينية ما يقرب من 90 مدرسة قرآنية كانت تضم حوالي ألف وثلاثمائة و خمسين تلميذ⁽¹⁾، كما أسس صالح باي كتاب سيدي الكتاني سنة (1774م)، وأسس كُتّاب سيدي الأخضر، التابع للجامع الأخضر بالقسطنطينية، سنة (1779م)، وكان يتم فيه تعليم جميع العلوم والفنون، كما شيد العديد من الكتاتيب، أو ما يسمى بالمدارس القرآنية في عنابة، والقل، و جيجل، كما شيد مُجّد بن عثمان باشا كُتّاب وهران، و معسكر، و مازونة، وأشهرها كُتّاب المحمدية⁽²⁾، وبعد كُتّاب زاوية سيدي مُجّد الشريف، ومسجد الركرك المنسوب للمرابط سيدي عيسى بن العباس ، التابعة للزوايا و ايضا الكتاتيب المنتشرة في مدينة الجزائر و تعد من أشهر الكتاتيب في ذلك الوقت⁽³⁾.

3-3 بناء الكتاتيب وأهم عناصره :

كانت الكتاتيب تتخذ شكلاً بسيطاً من الناحية الهيكلية، إذ كانت عبارة عن حجرة صغيرة أو دكان يتم تحويله إلى مكان مخصص للتعليم، أو حتى جناح داخل أحد المساجد، حيث يجتمع فيه الأطفال لتلقي دروسهم. وفي بعض الحالات، كان بعض المحسنين أو الواقفين يكتفون بفتح غرفة في منازلهم تطل على الشارع، وتحويلها إلى كتاب يُخصص لتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والعلوم الدينية. وقد انتشرت هذه الكتاتيب بشكل واسع في مختلف الأحياء والمناطق الجزائرية خلال العهد العثماني، حيث كانت جزءاً أساسياً من المنظومة التعليمية التقليدية آنذاك. وكان كثير من هذه الكتاتيب يُعرف باسم الحي الذي يقع فيه، مما يدل على ارتباطها الوثيق بالمجتمع المحلي ودورها البارز في نشر التعليم الديني والثقافي بين الناشئة⁽⁴⁾، وتختلف مساحة الكتاتيب من كتاب إلى آخر، وعادة ما يتكون الكتاب من أربع حجرات:

- واحدة لتعليم الصبيان .

(1) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، 333/1.

(2) كمال خليل، المدارس الشريعة الثلاثة بالجزائر: التأسيس والتطور (1850-1951م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم والإنسانية والعلوم

الاجتماعية، جامعة منتوري، 2008م، ص 13.

(3) سعد الله ، المرجع السابق ، 278/1.

(4) صليحة بردى، المرجع السابق ، ص 131.

- الثانية سكن للطلبة القادمين من خارج البلاد.
 - الثالثة للصلاة.
 - الرابعة للمؤنة و الأدوات الضرورية .
- بالإضافة إلى أن هناك مرافق للوضوء، والوقود والطبخ وغيرها، ويوجد الكُتّاب على العموم ضمن أحد المنازل بالحي أو يكون ملحقا بأحد المساجد⁽¹⁾.
- وبذلك يتضح شكل الكُتّاب أماننا، وهو إما يتكون من غرفة، أو غرفتين، أو ثلاث، أو أربع غرفة، حسب سعة الكُتّاب ، والغرض الذي أنشأ من أجله، وحسب التخطيط في مدى استقباله للمغتربين أم لا، كما يتضح أن الكُتّاب ليس شرطاً أن يكون ملحقا بالمسجد، فقد يكون غرفة في منزل، أو مبنى ملحق بالمسجد، وقد يكون مبنى مستقلاً.
- في العهد العثماني كان يبني الكُتّاب أشخاص؛ احتساباً لمرضاة الله، حيث لم يكن هناك هيئة حكومية تتولى الإشراف على إنشاء الكتاتيب، وإنما يشرف على بنائها، وفتحها جميع طبقات المجتمع من باشاوات، وبايات وموظفين ساميين يشتركون مع الأهالي في القيام بهذه المهام الخيرية، التطوعية⁽²⁾، ولقد ساهم ذلك في انتشار الكتاتيب في جميع أنحاء البلاد⁽³⁾.

● تجهيزات الكُتّاب الداخلية:

وفيما يخص تجهيز الكُتّاب فعادة ما يجلس التلميذ على حصائر مصنوعة من الديس⁽⁴⁾، أو على مقاعد خشبية هي عبارة عن لوحات من الخشب المتصل والمستطيلة الشكل، والتي لا تكاد ترتفع إلى أن متطلبات التطور المستمر أدى إلى تغيير طراً على الكُتّاب يتعلق الأمر باستخدام

(1) مختارة تراري، المرجع السابق، ص 4.

(2) صليحة بردي، المرجع السابق، ص 130.

(3) رشيدة شدرى معمّر، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية (1518-1830م)، مجلة معارف، عدد: 20، 2016م، ص 92.

(4) نبات ذو أغصان رقاق حديد الأطراف. تصنع منه الحصر والخيال لتسقيف البيوت، وتغذية المواشي. عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، مج 2، ص 131، تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي = (المتوفى: 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمّد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979 - 2000م، 460/4.

مواد البناء الحديثة و التي بدأت تشق طريقها للتأثير بشكل أو بآخر على تخطيط وبناء الكُتّاب (1).

• عدد الطلاب داخل الكُتّاب:

لم يكن التعليم في الكتاتيب مرتبطاً بمراحل عمرية محددة، عادة ما يتراوح عدد الراغبين فيه ما بين 15 و 20 طفلاً يواصلون الدراسة به واعمارهم من 3 إلى 4 سنوات أما من يرغب في مواصلة الدراسة، فيبقى لسنوات أخرى من أجل تعلم، وحفظ القرآن كله (2)، والإحصاءات بالنسبة لعدد الكتاتيب والتلاميذ غير دقيقة، بل كلها إحصاءات تقريبية.

• المنهج المتبع في الكتاتيب:

الكتاتيب لها نظام خاص في التعليم، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

■ وضع جلوس الأطفال:

الأطفال يجلسون على حصائر وهم متربعين أي على شكل مربع فلا يوجد تمييز بين إبن القاضي، ولا بين ابن الحر في الكتاتيب فكلهم متساويين ويجلسون في وضع واحد، وقد يجلسون على شكل دوائر سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً.

■ القراءة:

يعتمد التعليم في الكتاتيب على المشافهة، فيقوم المعلم بالقراءة بصوت عال لآيات القرآنية التي يريد تعليمها، أو الحروف، أو غير ذلك، ويقوم الطلاب بتكرار ما يقول، وترديده أكثر من مرة، وبالنسبة للقرآن الكريم فلقد كان معلم القرآن ينصت إلى قراءة الأطفال ثم يملي عليهم آيات يقومون بكتابتها مع حث الكبار على احترام قواعد الرسم الإملائي (3)، وبعد عملية التريديد يملي عليهم أجزاء من القرآن الكريم يكتبونها على ألواح من الخشب المطلية بطين الصلصال وأقلام الخشب وصمغ مصنوع من الصوف المحروق، وبعد عملية كتابته وتصحيحه في الفترة الصباحية يقوم الأطفال بالتمرن على قراءته قراءة أولية، ثم يقومون بتلاوته في المساء و يقرؤونه جهراً حتى

(1) مختارية تراري، المرجع السابق، ص 4.

(2) صليحة بردى، المرجع السابق، ص 130.

-Shaw, voyage dans la régence d'Alger, tard de La l'anglais par J.Mac.carthy, 2eme Ed, bouslama, tunis, 1980, p: 339 .

(3) عبد الحميد عومري، التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع8، د.ت، ص 285.

يحفظونه، ثم يحونه في صباح اليوم التالي، ويكتبون غيره وهكذا بصفة مستمرة ودورية حتى يمرون على كل سور القرآن الكريم وأحزابه المختلفة.⁽¹⁾

والنظام التعليمي في الكتاتيب القرآنية في العهد العثماني بالجزائر يبدأ الطفل بتعلم الحروف، ثم الفاتحة، ثم سورة الناس وما قبلها حتى يصل إلى سورة البقرة، فيكون قد أتم القرآن الكريم فيما يعرف بـ "الختم"، فيعمل والده حفلة يستدعى أقاربه ويكرم فيها التلميذ ومعلم القرآن، ويمنح له قطعة قماش جميلة من الكتان، أو الحرير ليخيط ثوباً من أجل أن يرتديه أو يقدمون له هذا الثوب.⁽²⁾

• العقاب داخل الكتّاب:

كان المعلمون يستعملون الفلقة⁽³⁾ بحيث كانوا يضربون التلاميذ على أقدامهم بواسطة عصي الخشب، وكان الهدف من هذا الفعل هو الإبقاء على النظام، وعدم الخروج عنه وجلب الانتباه بالدرجة الأولى وقليلًا ما كان يتم استعمالها في العقوبة⁽⁴⁾.

لقد أصبحت الكتاتيب رمزاً من رموز استمرار التعليم القرآني، فلقد كان الجزائريون يعتمدون على التعليم على ما كان يعرف بالكتّاب أو في البادية بالشرعة، ولقد شملت المبادئ المحصلة في الكتاتيب القرآنية حفظ القرآن والكتابة والرسم القرآني، وكذلك التربية الدينية، وحفظ الأحاديث وأداء الصلوات، وحسن الأخلاق وذلك من خلال وسائل تقليدية مثل اللوح والدواة وقلم القصب⁽⁵⁾.

3-2-3-3 وظيفة ودور الكتاتيب في الجزائر العثمانية:

الكتّاب مؤسسة من المؤسسات القديمة في المجتمع الجزائري حيث كانت تقوم بدور هام في خدمة النسق العام خلال فترة زمنية طويلة ويمكن تلخيص أهم أدوار الكتّاب في القيام بالوظائف التالية:

(1) نفسه .

(2) نفسه ، ص 259.

(3) الفلقة: "آلة من خشب أو عود ربط في طرفيه حبل بصورة تجعل منه قوساً. ولمعلمي الكتاب ورؤساء المصانع فلقة يستخدمونها لمعاينة الصبيان، فهم يجعلون رجلي الصبي بين العود والحبل ثم يلفون العود حول نفسه عدة مرات ليمسك الرجلين فلا تستطيعان الحركة ثم يضرب بالعصا على أخمص القدمين". رينهارت، تكلمة المعاجم العربية، 8/ 116.

(4) أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص 63 .

(5) بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 20.

- 1- تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئه، وأسس الدين الإسلامي.
- 2- المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات البقاء والاستمرارية للثقافة، والشخصية الوطنية الجزائرية.
- 3- ضمان اكتساب المجتمع الحد الأدنى من الثقافة العامة، والموحدة والتي لها تأثير مباشر على بقاء، واستمرارية مختلف النظم الاجتماعية الأصلية.
- 4- تعليم اللغة العربية في الجزائر.
- 5- كما عملت هذه المؤسسة على تحصين المجتمع من الانحراف و التمسك بمبادئ العقيدة الإسلامية⁽¹⁾.

3-4 طرق التدريس في الكتاتيب:

كان هناك طريقتان للتدريس في الكتاتيب وهما الطريقة الجماعية والطريقة الفردية:

● الطريقة الجماعية :

وهي أن يقوم المدرس بتحديد قدر معين لجميع الطلاب في الحلقة يتم تلاوته من قبله على الطلاب أولاً، ثم يقوم بتلاوته من قبلهم عليه كل على حدة ثانياً، ثم يكلفون بحفظه وذلك ليتم التسميع لهم من قبل المدرس فيما بعد.

ومن إيجابيات تلك الطريقة :

- 1- سهولة استخدام وسائل الإيضاح بالأخص لوح الكتابة أي السبورة وذلك لتوضيح بعض الأحكام والتنبيه على بعض الأخطاء، نظراً لأن جميع الطلاب يتركز اهتمامهم بأمر واحد في الوقت نفسه.
- 2- شحن همم بطيئي الحفظ والمهملين ودفعهم إلى مسابقة زملائهم.
- 3- تقليل نسبة اللحن لدى الطلاب لسهولة اكتشاف الخطأ في التلاوة من قبل المدرس والطالب على حد سواء.
- 4- قدرة المدرس على متابعة طلابه أداءً وسلوكاً وحفظاً في هذه الطريقة أفضل منه في أي طريقة أخرى⁽¹⁾.

(1) مختارة تزاوي، المرجع السابق ، ص 5 .

سليباتها:

- 1-عدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.
- 2-عدم إمكانية قبول من يأتي من الطلبة الجدد بعد البدء في الحلقة نظراً لعدم قدرة المدرس على التعامل مع أكثر من مجموعة في الوقت نفسه .
- 3-الحاجة إلى إمكانيات بشرية ومادية كثيرة .⁽²⁾

● الطريقة الفردية:

وهذه الطريقة تقوم على فسح المجال للطلبة من أجل التنافس في تلاوة القرآن الكريم وحفظه ، من خلال الإمكانيات التي وهبها الله -تعالى- لكل طالب من الطلاب ومن خلال ما يتم بذله من قبل الطالب من وقت وجهد من أجل تحقيق هذا الأمر تحت إشراف المدرس ومتابعته .

الإيجابيات:

- 1-زيادة دور رغبة الطالب في الحفظ، وتحريك الدوافع الذاتية لديه؛ مما يؤدي إلى زيادة كمية المحفوظ وبحته على مواصلة الحفظ في حال الاعتماد على هذه الطريقة أكثر منه في أي طريقة أخرى نظراً لمراعاة الفروق الفردية، وبث روح التنافس بين الطلاب .
- 2-مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، وإفساح المجال أمام ذوى القدرات العالية من أجل التقدم
- 3-الإستفادة من الطلاب البارزين في تدريس زملائهم ذوى المستويات الضعيفة في زمن الحلقة بعد أدائهم لما هو مطلوب منهم؛ مما يعنى تدريباً مبكراً لهم على التدريس .
- 4-إمكانية استقبال الطلاب الجدد الذين يرغبون في الانضمام إلى الحلقة متى جاؤوا دون أن يقوم ذلك بتعكير سير الحلقة وانتظامها .

السلبات :

- 1-ضعف مستوى متابعة الطلاب سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالحفظ والأداء أو الانتظام والسلوك.
- 2-عدم معرفة بعض الطلبة لإمكانياتهم وقدراتهم.

(1) المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية، مؤسسة المنتدى الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د.ط، د.ت، ص 23

- 25 .

(2) نفسه .

3-الإحساس بالإحباط لدى الطلاب الذين لا يستطيعون اللحاق ببقية زملائهم المتفوقين ومجاراتهم.

4-ضعف مستوى الأداء لدى الطلاب، وكثرة تواجد اللحن بنوعيه لديهم نظراً لتعامل المدرس معهم كلاً على حدة وعدم استفادة الطالب من تلاوة زملائه الآخرين في تصحيح النطق ومعرفة مواضع الخطأ.⁽¹⁾

3-2.5 الوسائل التعليمية المعتمدة في الكتاتيب:

■ الصلصال:

هي مادة من الحجارة المهشة تقوم بتجديد الحياة في اللوح من خلال استعماله اليومي بعد محوه بالماء ، حيث تمرر عليه فتتفسخ جزيئاته عنده محدثة بذلك طبقة طينية لزجة تعدل فرشاة له بتمرير راحة اليد عليها من أسفل إلى أعلى ، ثم تترك للشمس أو للهواء من أجل أن تجف ، فإذا جفت أصبحت صالحة لاستقبال ما يكتب على اللوح.

■ القلم:

هو أداة من أجل الكتابة وهو يحضر برياً من القصب.

■ الصمغ:

فهو يحضر من الصمغ المذاب بماء دواء، ويحفظ استمراره وبقاء تماسكه بندفة صوف توضع داخل الدواء ، فإذا ما بدأ يفقد من سواده ، حركت الدواء بعقب القلم فيعود الحبر إلى موضعه فإذا استنفذ بهاء استدرك بوضع المطلوب من الصمغ مع ما يناسب من الماء لتجديد الدورة.

■ اللوح:

وهو يعد من الخشب الأملس المتين الصالح للكتابة عليه من الجهتين.⁽²⁾

ومما سبق يتضح أن الكتاتيب عرفها المسلمون منذ صدر الإسلام، حيث ارتبطت بإنشائها بتعليم القرآن الكريم للناشئة، وقد حظيت بمكانة كبيرة في العهد العثماني، فلقد انتشرت في الجزائر في ذلك العصر بصورة كبيرة، وكان لها دور كبير في انتشار الشعب الجزائري من الجهل ، كما حافظت على الهوية الإسلامية للشخصية الجزائرية، فقد كانت بمثابة شوكة في حلق

⁽¹⁾ المدارس والكتاتيب القرآنية .. المرجع السابق، ص 26 – 28 .

⁽²⁾ عيسى بن ناصر الدريبي، تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية وأثره العلمي والتربوي، ندوة التراث المدرسي الشرعي والمدارس الشرعية في مواجهة مسار الحداثة، جامعة ألبا راسلان، تركيا، 2012م، ص 643 .

الاستعمار الفرنسي، كما استطاعت الكتاتيب أن تحافظ على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم ، وكانت الكتاتيب تضيق وتتسع حسب إمكانية التأسيس والإنشاء، وتارة تلحق بالمساجد، وتارة بالمنازل، وتارة يكون لها مكان مستقل، وكانت تستقبل الطلاب من داخل المكان الذي توجد فيه ومن خارجه، وكان للكتاتيب طريقة خاصة في التعليم، ويعتمد التعليم فيها على المشافهة والتلقين، وهي بمثابة تعليم ابتدائي.

وهكذا ظلت الكتاتيب طوال الحكم العثماني بالجزائر بمثابة مادة مغذية للبلاد بالعلم، حيث كانت تتلقى فيها المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف، سواء علوم الشريعة، أو مبادئ الحساب.

المبحث الثاني : المسجد بالجزائر في العصر العثماني

1/ مفهوم المسجد لغة واصطلاحاً:

المسجد لغة :

المسجد من سجد يسجد سجوداً، أي خضع، والسُّجُودُ إدامة النظر في إطراق إلى الأرض، و المسجد الأعضاء التي يسجد عليها⁽¹⁾، وسُجُودُ الصلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض⁽²⁾، والمسجد: المكان الذي يصلي فيه جماعة⁽³⁾.

المسجد اصطلاحاً:

عرف المسجد بأنه: "الأرض التي جعلها المالك مسجداً وأفرز طريقه وأذن بالصلاة فيه ..."⁽⁴⁾. وعرفه الكفوي بأنه: المكان الذي يصلي فيه⁽⁵⁾.

وعرف بأنه : مؤسسة إعلامية تربية وتعليمية متكاملة عندها روافد العقيدة الإسلامية التي تتضمن ممارسة العبادات والتمسك بالمعاني والقيم الإسلامية التي تجعله قادراً على المساهمة بفعالية

(1) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللغة، ط1، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، 1987م، ج1، ص : 447.

(2) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، ط 4 ، ج2 ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، 1407 هـ - 1987 م، ص: 485.

(3) ابن منظور، المصدر السابق ، ج3، ص: 204.

(4) محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ - 2003م، ص: 204.

(5) أيوب بن موسى الحسيني القريعي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، الكليات، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص 871.

في عملية تكوين الرأي العام، فالمسجد هو المكان المهيأ و المعد من أجل إقامة الصلوات بشكل مستمر وبشكل دائم⁽¹⁾.

فبالنظر إلى التعريف الاصطلاحي للمسجد، يتضح أن المفهوم الاصطلاحي له لا يخرج عن معناه اللغوي، فالمسجد هو المكان الأصلي الذي تؤدي فيه الصلاة وهو موضع الجبهة من الأرض، ثم إن العرف قد خصص المسجد بالمكان المهيأ من أجل الصلوات الخمس حتى يخرج المصلي المجتمع فيه من أجل الأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه، وكذلك الربط والمدارس فإنها قد هيئت لغير ذلك⁽²⁾.

و المسجد هو أصغر حجما من الجامع فكانت تقام فيه الصلاة و إلقاء حلقات الدروس اليومية و غيرها من النشاطات العلمية، أما الجامع ففيه تؤدي صلاة الجمعة أو العيدين و الخطبة و من أشهر الجوامع الجامع الكبير أو الجامع الأعظم⁽³⁾.

وما يلاحظ على المساجد في الجزائر العثمانية⁽⁴⁾ هو إمتزاج الذوق المحلي بالذوق العثماني الشرقي، و كانت أدوات الزينة و البناء تجلب أحيانا من الخارج و خصوصا تونس و إيطاليا و من ذلك الرخام و الزليج، و إشتهر عدداً من البنائين و الخطاطين و النقاشين، اللذين يؤتى بهم في بعض الأحيان من الخارج⁽⁵⁾ ونالت المساجد إعجاب الزائرين الأوروبيون وربما الغيرة

(1) فيصل بن سليمان الدرعان، الدور الأمني للمسجد من خلال الخطب المنبرية، رسالة ماجستير، الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2007م، ص 32.

(2) عادل موسى عوض، اصطحاب الأطفال إلى المسجد الحرام وما يتعلق به من أحكام دراسة فقهية مقارنة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، دمنهور، مج 2، ع 2، 2017م، ص 266 - 267.

(3) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص: 245. ينظر: بدر الدين حموش، تاريخ و عمران و قصة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص: 38.

(4) عرفت إيالة الجزائر إنتشار واسع للمساجد و خصوصا مدينة الجزائر التي تعرضت مساجدها للتخريب و التدمير من قبل المستعمر الفرنسي و مابقي منها اليوم يمكن حصره في: الجامع الأعظم أو الكبير، وهو مسجد مالكي، الجامع الجديد تم تصميمه على شكل مساجد تركيا، جامع كتشاوة أو كتشاوي من المساجد الحنفية، و من المساجد العتيقة: مسجد السفير في حي الجبل بناه القائد صقر بن عبد الله من ماله الخاص بني عام 941هـ/1541م، وجامع علي بتشين تم تأسيسه حوالي سنة 1032هـ/1632م من طرف علي بتشين، وجامع سيدي محمد الشريف الزهار الجامع المالكي، جامع سيدي رمضان، جامع سيدي بوقدور، جامع سيدي عبد الله، جامع سيدي بن علي، جامع ابن رقيسة، و مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي من أشهر و أكثر المساجد شعبية في الجزائر يضم ضريح الوالي سيدي عبد الرحمن، وتحوي المقبرة الموجودة داخل المسجد رفاة كل من الحاج أحمد باي وداي الجزائر مصطفى باشا، والي دادة الذي حارب حملة الإسبان بقيادة شارل الخامس. نصر الدين براهيم و علي تابليت، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر، 2010، ص: 113. ينظر الملحق ((11)) بخصوص الجامع الأعظم، ص 275.

(5) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 196.

الفرنسية هي التي جعلتها تقوم بهدم هذه المساجد و تحويلها إلى كنائس مثلما فعلت بمسجد السيدة .

2/ إسهامات العثمانيين في بناء المساجد وتطويرها :

المسجد هو أعرق مؤسسة تعليمية عرفها المسلمون، ويمثل النواة الأولى كمؤسسة ثقافية و تعليمية ودينية في آن واحد⁽¹⁾. ومن هنا نجد أنها كانت من أول أولويات النبي -صل الله عليه وسلم- بعد الهجرة، فعندما هاجر النبي -صل الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة، بعد أن أصبحت الأجواء مهيأة لاستقباله، فلقد دخل الإسلام كل بيت من بيوت الأنصار، وما أن وضع قدميه الشريفتين في المدينة، حتى بدأ في تنظيم الحياة الاجتماعية في المدينة، فبدأ ببناء مسجده -صل الله عليه وسلم⁽²⁾ في مكان بركت فيه ناقته يعرف بـ : مريد التمر، وبعد أن تمّ بناء المسجد أثنى الله تعالى على أهل قباء؛ حيث قال تعالى: ((لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ))⁽³⁾. ومما تجدر الإشارة إليه؛ أن رسول الله -صل الله عليه وسلم- ميّز مسجد قباء عن غيره من المساجد؛ فقد خصص كل يوم سبت لزيارته والصلاة فيه و بقيت هذه العادة عند أهل المدينة المنورة إلى يومنا هذا⁽⁴⁾. وذلك لأن المسجد هو المكان الذي ينطلق منه النور الديني والثقافي، والسياسي والاجتماعي في المجتمع المسلم، و تعتبر جوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة، كما أن المسجد يعمل على تماسك ورسوخ النظام الاجتماعي للدولة الجديدة، لذلك كان أهالي و حكام الجزائر يقومون بتحبيس أملاكهم على هاته المساجد و على القائمين عليها⁽⁵⁾.

(1) أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2007 الجزائر، ص: 11.

(2) محمد بن صابل وآخرون، صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (صل الله عليه وسلم)، مكتبة روائع المملكة - جدة، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010 م، ص 167.

(3) سورة التوبة، الآية: 108.

(4) مسجد قباء هو أول مسجد بُني في الإسلام وجاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: "كان النبي صل الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت، ماشيًا وراكبًا، وكان يصلي فيه ركعتين" رواه البخاري ومسلم.

(5) محمد بن مصطفى بن عبد السلام الديسي، السيرة النبوية بين الآثار الرواية والآيات القرآنية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة، 1431 هـ - 2010 م، أنظر: أشرف صالح محمد السيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم و التكنولوجيا، العدد 4، 2013، ص: 64. ينظر: في عقود الوقف =

إن الكتابات التاريخية تشير إلى مصادر تمويل المساجد واهتمام العثمانيين بتشبيدها وصرف الأموال عليها ، فالهيئة المشرفة على نفقات بناء هذه المعالم الدينية وكذلك الجبوس الموقوفة عليها والتي تبين أن السلطة الحاكمة هي الجهة التي تقوم بالإشراف على البناء والتجيس ، خصوصاً وأنها قد وجدت في عوائدها الحلول الممكنة والملائمة من أجل تسيير هذه المنشآت ومختلف الشؤون الثقافية الأخرى، التي ما كان لها أن تتم لولا مداخل الأحماس التي كانت تساهم وبشكل كبير في نفقات الدراسة وسد حاجة طلاب العلم من أئمة و طلبة و مدرسين ⁽¹⁾.

ففي هذا الإطار فإن الباي مُحمَّد الكبير ⁽²⁾ يعد نموذجاً بارزاً في هذا الأمر فقد كان من محبي التعليم والعلم ، حيث خصص مبالغ كبيرة جداً للمنشآت الدينية والتعليمية خلال فترة حكمه فأقام العديد من المساجد وحبس عليها أوقافاً عديدة ، فقام بتشيد مسجد سيدي الهواري ، وبني بأمر من الباشا بابا حسن المسجد الكبير أو مسجد الباشا و هذا العمل جاء تخليداً لفتح و تحرير مدينة وهران من ويلات الإسبان ⁽³⁾.

كما هو الحال بالنسبة لجامعه الأعظم أو جامع المبايعه بالقرب من المدرسة الحمديّة و خزانة الكتب ، و يعرف أيضاً بجامع عين البيضاء و قد تبارى الشعراء في وصفه و يعتبر تحفة معمارية متميزة ، كما وصفه ابن سحنون الراشدي : "...فجاء كما تراه العين من المباني الرائقة ، و الآثار الفائقة مكتنفاً بالمدرسة التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها ، وحبس عليها خزانة كتب هي في البيت التي بناها لأجلها خارج بعض زواياه بابها فيه... كما حبس عليها الحمام

=المخصصة للحزابين الذين يقوم بقراءة القرآن الكريم على الميت . العلية رقم 10 ، عاملين بقول الرسول إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : " صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " رواه مسلم .

(1) حنفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2008 ، ص : 196 .

(2) الباي مُحمَّد الكبير : هو مُحمَّد ابن عثمان ابن إبراهيم الكردي من أهم ولاية الدولة العثمانية على إيالة بايلك الغرب ، حيث يشير ابن هطال في كتابه أن أمه جارية إسما زائدة أهداها لأبيه مولاي إسماعيل حاكم المغرب الأقصى ، تميز بصفات مميزة : الشجاعة بمشاركته في الدفاع عن مدينة الجزائر و النشاط المتزايد و الذكاء الحاد ، إهتم ببناء المدارس و المساجد : كالمدرسة الحمديّة و الجامع الأعظم و إعادة بناء الجامع العتيق الذي شيده والده الباي عثمان سنة 1761 ن جامع الباي بوهرا ن ، الجامع الاعظم أو مسجد الباشاسنة 1796 ووافته المنية سنة 1799م بعد سنوات من تحرير وهران سنة 1792م . أحمد بن هطال التلمساني ، رحلة مُحمَّد لكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ، تقديم مُحمَّد بن عبد الكريم ، عالم الكتب ، ص 15-19 . أنظر هذا الكتاب الذي يعد أهم مصدر عن حياة و أعمال مُحمَّد الكبير و من المصادر المهمة التي تناولت الحياة الثقافية و الإجتماعية لبابلك الغرب بصفة عامة : أحمد ابن سحنون بن مُحمَّد بن علي بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق و تقديم الشيخ المهدي البوعبدلي ، ط1 ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص : 13 ، 71 .

(3) يحي بوعزيز ، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ص : 95.

العظيم الرائق بناء و شكلاً الذي بناه قربه، وهو من أعز مبانيه والدار الملاصقة لمبضاته البديعة المحتوية على نحو الست عشرة مطهرة، وأتاه بماء كثير اشتراه من أربابه واشترى ماكان مملوكاً من المواطن التي حفر له فيها، وجعل من هذا الماء سقايات للسبيل ومنه جعل الحمام المقدم الذكر، وباقية في الميضاات وصحن المسجد...⁽¹⁾.

ويذكر المؤرخ الإسباني دييغو دي هايدو "DIGO DE HAEDO" في أنه في الفترة العثمانية كان يوجد بمدينة الجزائر قرابة المائة مسجد⁽²⁾، وأما "ألبرت - ديفولكس" ALBERT DEVOULX الذي بحث ودرس موضوع المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر قال إنه كان بها سنة(1246هـ / 1830م) أي سنة الاحتلال 109 مسجد صغير و 13 جامع كبير او جامع الخطبة و إثنين و ثلاثين ضريح ، و اثنتي عشر زاوية ، ويصبح العدد 176 مبنى ديني ، كما وأشار إلى أهم الجوامع آنذاك و هو الجامع الأعظم و أهم القائمين عليه و المفتيين المالكيين الذين يقومون بتسييره .⁽³⁾

أما عن مدينة قسنطينة فقد قام صالح باي بالاعتناء بالمساجد و إنشائها و تجديددها و قدر عددها كما جاء في السجل الذي أمر به خمسة و سبعون مسجداً و جامعاً⁽⁴⁾ . و يشير الورثيلاني في الرحلة التي قام بها إلى مدينة قسنطينة دقة و إتقان هذه المنشآت الدينية و قدر عددها بخمس مساجد⁽⁵⁾ وقد وصف الورثيلاني ذلك في كتابه ((...وهي مدينة قوية ليست كبيرة جداً ولا صغيرة وعليها صور كبير و فيها أبواب ثلاثة باب الوادي و باب الجابية و باب القنطرة وفيها بويب صغير يخرج منه الآدمي وفيها أسواق كثيرة ، ودكاكين طيبة ومساجد للجمعة

(1)أحمد ابن سحنون بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي ، المصدر السابق، ص : 136 . - انظر : سعدية رقاد، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700 - 1830)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، الجزائر، 2019م، ص 205.

(2)-Digo de Haedo ,topographie et histoiare general d'alger,edition bouchene, alger,1998,p:207.

(3)-Albert Devoulx, édifices religieux de l'ancien alger,typographie bastide, alger,1870.p:98-123.

-Albert Devoulx ,Notes ...op-cit,390-393.

-ينظر كذلك :بدر الدين بلقاضي و مصطفى بن حموش ، تاريخ و عمران قسبة الجزائر من خلال مخطوط آلبير ديفولكس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2007 م ، ص: 12 .

(4)أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص: 248.

(5)الحسين بن محمد الورثيلاني،نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، النسخة المصححة : لمحمد ابن ابي شنب ، مطبعة بيبير فونتانا ، الجزائر، 1908، ص: 685 .

نحو خمسة وبعضها في غاية الإتقان ، وهذه المدينة مبنية على كهف وجرف عظيم يكاد من سقط منه أن يهلك وفيها قصبة عظيمة و عسكر من الترك بقدر حالها وباي سطوته عظيمة (...)⁽¹⁾.

ومن مظاهر اهتمام العثمانيين بالمساجد في الجزائر الاهتمام بطراز المساجد، حيث يعتبر طراز المساجد العثمانية في بدايتها حلقة اتصال بين الطراز السلجوقي القديم والطراز العثماني الجديد الذي ظهر بعد فتح القسطنطينية مثال لذلك مسجد (آيا صوفيا) الذي كان كنيسة بناها الإمبراطور الروماني (جستنيان) بعد فتح العثمانيين لهذه المدينة فلقد تحولت هذه الكنيسة إلى مسجد، وأضافوا لها منبراً، ومحراباً؛ ليصبح مسجد آية صوفيا نموذجاً أساسياً للمساجد العثمانية التي تم إنشائها ف فيما بعد يعتبر الطراز العثماني عبارة عن استمرار لطراز السلجوقي مع اقتباسات كثيرة من الطراز الإيراني، وقد نشأ هذا الطراز أثناء توسع العثمانيين في آسيا الصغرى، وعندما استولي (اروخان) على بروسة أو بروصة brussa ونقل إليها عاصمة الدولة العثمانية أخذت خصائص الطراز العثماني تتجلى في سلسلة المساجد التي أنشأها العثمانيون في عاصمتهم الجديدة، وما دخل في طاعتهم من المدن والعواصم الأخرى حتى فتح الأتراك القسطنطينية وجعلوها عاصمة دولتهم ، وتجلت هذه الخصائص بصورة واضحة وظهر الطراز العثماني بخصائصه الفاتكة وذلك بداية من النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي.⁽²⁾

ثم أسس العثمانيون وأحفادهم الكراغلة المساجد للمذهب الحنفي وإذا كانت مساجد العثمانيين جيدة وتتمتع بالأناقة وتتميز بكثرة الأوقاف، فإن مساجد الأهالي كانت متواضعة، وكانت مبنية بالجبس أو الجص أو الحجر وقائمة على صوامع منخفضة ولا يوجد فيها فرش سوى الحصر، أو الزرابي البسيطة، والقليل من الإضاءة والعناية أما المساجد العثمانية فقد تميزت بدقة البناء واستخدام الرخام في المحراب والأناقة في المنبر وقناديل الزيت والمصاييح والزرابي الغنية بالزخرفة والنقوش بالحروف العربية والعثمانية على الجدران والاعتناء بالعيون والإضاءة والنظافة كما زاد فيها استعمال الفسيفاء، وزخرفة النوافذ، والابواب ولاحظ بعض الباحثين أن مساجد وهران مثلاً كانت أجمل من الكنائس التي به ، كما تميزت المساجد العثمانية بالسعة وارتفاع

(1) الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص: 685 .

(2) مليكة برواق وحسن الزاوي، البعد الجمالي للعمارة العثمانية بمدينة الجزائر، مجلة العلوم الاسلامية والحضارة، ع 6، 2017م، ص228.

الصوامع ودقتها وجمال شكلها ومن أجمل مساجد العاصمة جامع السيدة والجامع الجديد وجامع كتشاوة وجامع علي بتشين ومن أجمل مساجد قسنطينة جامع سوق الغزل أو مسجد الباي والجامع الكبير وقد أشاد الأدباء بجامع محمد الكبير بمعسكر لاتساعه وجماله⁽¹⁾.

ومن مظاهر عناية العثمانيين بالمساجد العناية بأثاث المساجد، فقد تميزت جوامع تلمسان التي يعود معظمها إلى العهد الزياني وما قبله بالفن الأندلسي والذوق العربي، وأغلب الجوامع كانت تحتوي علي المحراب والمنبر والصومعة وقناديل الإضاءة والماء للوضوء، واختلفت الفرش من جامع إلى آخر فكانت غنية في بعضها، فكانت الفرش تطرز بالحرير المذهب، واستخدام الزرابي النادرة وكانت في بعضها حصير وسجاد متواضع وكانت تعلق في بعضها الثريات الرفيعة ذات الألوان الزاهية والبعض الآخر لا يوجد فيه أكثر من حस्क قصديرية أو زجاجات عادية ويختلف وضع المساجد قليلا فكانت في الغالب أقل جمالا وسعة وأناقة من الجوامع وفي أغلب الجوامع توجد المكتبات الموقوفة على القراء والطلبة والأستاذة⁽²⁾.

ومن مظاهر عناية العثمانيين بالمساجد في الجزائر الاهتمام بزخرفة المساجد، فلقد كانت مدينة الجزائر من المدن الجزائرية التي مازالت تحتفظ في بعض أجزائها بطابعها العمراني المعماري المميز؛ لما تحتويه من آثار إسلامية ترجع إلى فترات تاريخية مختلفة فاشتهرت المدينة بمساجد ميزة الصنع والهندسة والزخرفة ولأن الأتراك كانوا مولعين ببناء المساجد؛ حفاظاً علي الهوية الإسلامية، فلا عجب أن يكون هناك اهتمام بالغ منهم بتزيين المساجد، فللمساجد العثمانية بمدينة الجزائر حضور ديني، وهي مساجد لها قيمة تاريخية عظيمة وتاريخ معماري رفيع⁽³⁾.

ويعد تنوع المساجد في العهد العثماني بالجزائر مظهراً من مظاهر العناية التي حظيت بها المساجد في عهدهم، حيث تنوعت المساجد من حيث التأسيس والإنشاء إلى ثلاثة أنواع، وهي كما يلي:

1- مساجد أسسها الحكام، كالخلفاء والأمراء والولاة والملوك، كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة المجتمعات الإسلامية وتيسير أداء شعائر الدين ولكسب عطف الرعية ولربما الشهرة كذلك.

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 261. أنظر أيضا : بورويبة ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ، تر : إبراهيم شيوخ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1979 ، ص : 223 .

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 254 - 255.

(3) مليكة برواق وحسن الزاوي، المرجع السابق، ص : 229.

2-مساجد أسستها الهيئات والجمعيات الخيرية الدينية، والاجتماعية، كتكملة لعمل الولاية وكبار الأثرياء وشيوخ الدين.

وهذا التنوع في التأسيس دليل على الاهتمام الكبير من قبل الحكومات، أو الأفراد، أو الجمعيات الخيرية بإنشاء المساجد.

ومما يدل على عناية العثمانيين في الجزائر بالمساجد، الاهتمام البالغ بوضع مسمى لكل مسجد، ففي خلال العهد العثماني اشتهرت المساجد بتسميات عديدة فبعضها يرجع إلى التوزيع الحرفي المنتشر في المنطقة، أو إلى أسماء الحرفيين الذين يرتادونها، مثل: مسجد الشماعين والخياطين والحلفاويين، والبعض الآخر، وهو الغالب، والأكثر يرجع إلى أسماء أشخاص، إما لكونهم من مؤسسي هذه المساجد كعلي بتشين، وعبد الله صفر أو رجال صالحين كسيدي عبد الله، وسيدي محمد شريف، وقد ينسب المسجد في بعض الأحيان إلى اسم المجدد، وتارة تكون تسمية المسجد حسب موقعه المتميز كمسجد البراني الذي يقع خارج حصن القصبة ومسجد كتشاوة نسبة إلى الهضبة التي كانت تنتشر بها المعز⁽¹⁾.

كما يتضح جلياً دور العثمانيين واهتمامهم بتشيد المساجد بالجزائر وتنوع مصادر التمويل في إنشائها و عدم وضع قيود عليها، فلقد كانت المصادر المالية للمساجد في العهد العثماني عبارة عن التالي:

الإعانات :

تعتبر المساعدات والإعانات التي كانت تقدم للمساجد من طرف المحسنين من الأغنياء، ومن الناس البسطاء، وربما في بعض الأحيان من طرف الفقراء من المصادر المهمة التي كان يعتمد عليها المسجد في عملية تغطية نفقات المسجد واحتياجاته، والتزاماته، فقد كان هذا كله من منظور عقيدة المسلم في فعل الخيرات وطمعاً في الحصول على الأجر من الله -تعالى- وخدمة بيوت الله والتي هي أفضل بقاع الأرض، وقد كانت هذه المساعدات في الغالب تكون سرا وليس

(1) محمد حاج سعيد، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها ودورها وعمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة، كلية العلوم والإسلامية، جامعة الجزائر، 2015م، ص 43 - 44.

علناً، لذلك لا يمكن معرفة مقدار هذه الإعانات وأما من جهة النوع فلا شك أنها كانت متنوعة ومختلفة (أموال، أثاث، فرش)⁽¹⁾.

4. الأوقاف:

لقد استعملت الأوقاف في العهد العثماني في تدعيم التعليم بمختلف مستوياته فكانت مصدر نمو للمدارس، والمساجد، والكتاتيب، ولقد كان بناء المساجد نتيجة لتلك المبادرات الفردية التي كان يقوم بها الحكام من عمليات لتشييد المساجد، وحبس الأوقاف لها من مالهم وأموالهم الخاصة، وما هو إلا تعبير عن واجبهم الديني فكثرت المساجد التعليمية بحواضر الجزائر خلال العهد العثماني حيث انفردت كل مدينة بجامعها الأعظم الذي يمثل معهد للتعليم كالجامع العظيم في قسنطينة، وجامع تلمسان، وجامع بجاية، والجامع الأعظم بمدينة الجزائر الذي يعد من أشهر مساجد الجزائر، وأكثرها أوقافاً، إلا إن هذا لم يؤهله ليصبح جامعة كالأزهر، والزيتونة والقرويين، ومن حواضر الغرب الجزائري وجود مساجد متعددة حيث بلغ عددها من تلمسان 60 مسجداً بمعسكر المساجد، منها ثلاثة مساجد رئيسية، وهي: مسجد السوق، والمسجد العتيق ومسجد محمد الكبير الذي شيد المسجد الكبير المعروف باسمه الذي يعتبر من أروع وأهم مساجد الإيالة.⁽²⁾

فالسماح بالتبرع لبناء المساجد ووقف الأوقاف عليها سمة من سمات العصر العثماني، حيث يدل هذا على عنايتهم بإنشاء المساجد وعمارتها، من خلال توظيف تلك الأموال التي تأتي من التبرعات، أو الأوقاف على المساجد، وإنشائها، وصيانتها، وتجديدها، وغير ذلك مما تحتاج إليه.

كما تظهر عناية العثمانيين بالمساجد من خلال اهتمامهم بعمارة المساجد، فلقد تميزت عمارة المساجد في الجزائر في العهد العثماني بالتناسق اللامتناهي بين القبة والنوافذ والمئذنة وصحن المسجد وغيرها من مكونات وأجزاء المسجد.⁽³⁾

3/ أهم المساجد بالجزائر في العهد العثماني:

(1) محمد حاج سعيد، المرجع السابق، ص 45.

(2) بوسعيد عبد الرحمن، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2012م، ص 50 - 51.

(3) عمار بن محمد بوزير، الآثار الإسلامية بالجزائر مسجد سيدى غانم أنموذجاً، شبكة الألوكة، (د.ط)، (د.ت)، ص 8.

الحديث عن أهم المساجد بالجزائر في العهد العثماني يقتضي بيان المساجد التي وجدت بالمدينة في تلك الفترة بصورة موجزة، ومن خلال مطالعة ما تيسر الاطلاع عليه من مصادر عن المساجد بالجزائر في العهد العثماني، فليس هناك إحصائيات دقيقة بخصوص عدد المساجد التي أنشأت بالجزائر في العهد العثماني، ويعود ذلك إلى الأسباب التالية:

- 1- اختلفت المصادر في عدد المساجد الموجودة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.
 - 2- اكتفت معظمها بالحديث عن المساجد الموجودة بالمدن الرئيسية.
 - 3- بعض الدراسات لا يذكر فيها إلا مساجد الخطبة، أو المسجد الجوامع.
 - 4- كما أن بعض الإحصائيات يختلط فيها ذكر المساجد المؤسسة قبل العهد العثماني، بالمساجد المؤسسة في العهد العثماني⁽¹⁾.
- وتشير المصادر إلى أن مدينة الجزائر خلال العهد العثماني عرفت بالكثير من المساجد⁽²⁾، كمسجد سيدي رمضان ومسجد القشاش، ويعتبر مسجد القشاش من أجمل جوامع مدينة الجزائر وكانت تتبعه زاوية بنفس الاسم، زاوية القشاش.
- وتشير الدراسات التي أجريت حول المساجد بالجزائر في العهد العثماني إلى أنه كان في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 100 مسجد من النوع الكبير والصغير، وكان لكل واحد منها إماماً يصلي بالناس في مواقيت الصلاة اليومية، ولقد تم بناءها من طرف سكان مدينة الجزائر والأتراك، وشيد الكثير منها بطريقة جميلة ولم يستعمل في بنائها الرخام، حيث إنه لم يكن متوفراً في الجزائر آن ذاك؛ لذلك شيدت بالجير والحجارة، كما تشير الدراسات إلى أنه من بين 100 مؤسسة دينية يوجد سبع مساجد أساسية، وتذكر بعض الدراسات أنه كان يوجد بالجزائر في العهد العثماني 13 جامعاً كبيراً، وهي المساجد التي تقام بها صلاة الجمعة والأعياد، وذكرت بعض الدراسات أنه بنهاية العهد العثماني وجد في الجزائر 14 جامع خطبة ففي سنة 1830 كان هناك 103 مسجد 14 منها علي المذهب الحنفي، و 89 على المذهب

(1) صبرينة لنوار، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع 34، 2017م، ص 122-123.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 29.

المالكي، ولقد كانت المساجد داخل مدينة الجزائر، أما الزوايا والمقابر، فكانت خارجها ولقد تم إحصاء 13 جامع كبير و109 من الحجم الصغير⁽¹⁾.

وفي عام 1833م قامت السلطات الفرنسية بعمل تقرير حول المؤسسات الدينية، من مساجد وجوامع، وزوايا في مدينة الجزائر ذكر فيها المسجد والجامع حيث تم إحصاء 100 مؤسسة دينية، ومنها جوامع الخطبة، وهي:⁽²⁾

- جامع بن سلال.
- جامع سيدي علي الملياني.
- جامع بن هلال.
- جامع خضر باشا.
- جامع علي بتشين.
- جامع سيدي عبد الرحمن الثعالبي.
- جامع سيدي رمضان.
- جامع سفير.
- جامع القشاش.
- جامع البكوش.
- جامع المالكي.
- جامع القيد علي.
- جامع خوجة باشا.
- جامع البطحا.
- جامع الصباغين.
- جامع سيدي الرحبي.
- جامع قاع الصور.
- جامع سيدي الجودي.

⁽¹⁾ صيرينة لنوار، المرجع السابق، ص 122-123.

⁽²⁾ نفسه .

المجموع 18 جامع من 100 مؤسسة دينية ذكرت في التقرير.⁽¹⁾

المساجد العريقة في الجزائر العثمانية:

جامع كتشاوة:

إن أول إشارة إلى جامع كتشاوة⁽²⁾ يرجع تاريخها إلى سنة (1021هـ / 1612م)، وسمي بكتشاوة نسبة إلى السوق التي كانت تقام في الساحة المجاورة و كان الأتراك يطلقون عليها اسم سوق المعز⁽³⁾. هو من بين الجوامع الحنفية التسعة التي تشرف عليها مؤسسة أوقاف سبل الخيرات⁽⁴⁾ ثم جرى توسيعه وتجميله على يد الداي حسن باشا في عام (1795م) وهو الداي الذي فتحت وهران في عهده . ويقال إنه إتخذ جامع السيدة نموذجاً له عند توسيع وتحديد جامع كتشاوة، وقد تم تخليد البناء وعملية التوسيع من خلال الكتابات ولكن الفرنسيين جردوه منها ووضعوها في متحف في عام 1855⁽⁵⁾.

جامع كتشاوة هو أجمل مسجد في المدينة خاصة وأنه يتاخم القصر، ويقع وسط الدوائر الحكومية والحي الأوروبي، يوجد حالياً في ساحة ابن باديس، وتحول إلى كنيسة القديس فيليب عام 1845م، ثم استعادته المسلمون الجزائريون سنة 1962م⁽⁶⁾.

الجامع الجديد :⁽⁷⁾

(1) Archive National D'outre Mer.seriez-aix-mi-bbine66. نقلا عن :صابرينة لنوار ، المرجع السابق، ص : 122، 123.

(2) جاء في مخطوط ديفولكس أنه قبل مجيء العثمانيين كان موقع الجامع عبارة عن مسطح أو سهل مليء بالأطلال الرومانية والأعشاب والأشواك و يعتقد ديفولكس أنه كان مكان المسرح الروماني بسبب إكتشافه بعض الآثار و هي عبارة عن قطعة فسيفساء ، ويعتقد أنه كان مكان مخصص لرعي الغنم ، و هو ما دفع الأتراك إلى تسميته "كجي آوه " بدر الدين بلقاضي و مصطفى بن حموش ، تاريخ و عمران قسبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس ، المرجع السابق ، ص : 36 . ينظر الملحق رقم ((13))، ص : 277.

(3) محمد الحاج سعيد ، المرجع السابق ، ص: 64 .

(4) مؤسسة سبل الخيرات إكتست أهمية بالغة في تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني منذ تأسيسها والذي يرجعه بعض المؤرخين إلى سنة 999/1584 م فإختصت بأتباع أوقاف المذهب الحنفي بمدينة الجزائر ، وكانت تشرف على الجوامع الحنفية التسعة بالجزائر و هي : جامع القايد صفر أقدم إشارة تعود إلى تاريخ 940/1534م ، جامع السيدة 720/1564 م ، و الجامع الجديد 1070/1660م، جامع شعبان خوجة 1106/1694 م، جامع كتشاوة 1106/1694م، جامع الشبارلية وزاويته 1201/1787م ، جامع دار القاضي 1209/1795م ، جامع القصبة ، جامع الداي حسين . عائشة غطاس ، المرجع السابق، ص : 258 .

(5) الحسين الزاوي و مليكة برواق ، المرجع السابق ، ص: 230 .

(6) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 259 .

(7) أنظر الملحق رقم : ((12)) ، ص: 376 .

كان مقرراً للمفتي الحنفي الذي كان في مقام شيخ الإسلام في إسطنبول⁽¹⁾ سمي بهذا الاسم، حيث إن مدينة الجزائر كان لها قبل تشييد الجامع الجديد مساجد أخرى حنفية قام ببنائها الأتراك، فكان مساحة الجامع الجديد نحو 984م²، وهو على شكل مساجد تركية، فكان في موضعه مدرسة بوعنان أو المدرسة العنانية فقاموا بهدمها، وبنوا المسجد الجديد، وكان يشرف على بناء الجامع الجديد أضخم المؤسسات الوقفية آنذاك وهي مؤسسة سبل الخيرات في عام 1660م، ويتكون الجامع الجديد من بيوت للصلاة غير منتظمة، وصرح، وهو مسجد للحنفية، وقام بتنفيذ المشروع الحاج حبيب، ويتميز الجامع الجديد بارتفاع منارته، فقد بلغا إرتفاعه خمسة وعشرون متراً، ونصبت الساعة التي كانت في قصر الإمارة في أعلى المنارة، وأما منبره، فهو مصنوع من الرخام الأبيض المنقوش، وهو من الصنع الرفيع فكان سابقاً في جامع السيدة، وأما زخرفة الداخل، فكان داخل الجامع الجديد مزخرفاً ملوناً بألوان مختلفة، فمحرابه مزين بالخزف البديع ولا يرى ذلك عادة في المساجد المالكية⁽²⁾.

الجامع الأعظم أو العتيق أو الكبير:

كان مقرراً للمفتي المالكي و للمجلس الشرعي الأسبوعي⁽³⁾ يرجع تاريخ إنشاؤه إلى القرن الخامس الهجري و تدل الكتابة الموجودة على منبره أنه كان موجوداً في رجب 409 هـ/ 1018 م، تبلغ مساحته 2000م²، ولقد لعب الجامع دوراً بارزاً خلال الفترة العثمانية و احتضن المجلس العلمي و غطى على أنشطة كل الجوامع الأخرى و حتى التي بادر بإنشائها الحكام العثمانيون، وغالباً ماكانت فيه الأسبقية للمفتي المالكي على المفتي الحنفي في مختلف القضايا

(1) بسام العسلي، سلسلة جهاد شعب الجزائر، مج: 7، دار النفائس، 1403 هـ - 1983م، ص: 31.

(2) أحمد أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص: 149-154.

(3) كان هذا المجلس العلمي: يضم المفتي المالكي و المفتي الحنفي و القاضيين المالكي و الحنفي و كبار العلماء و القضاة كما كان يحضره الباشا أو نائبه، و هذا المجلس يختص في حل القضايا الشائكة و حل النزاعات، كما أن المجلس كان مركزاً للمناظرات العلمية و المسائل الفقهية. و أشهر من تولي الإفتاء بالجامع الكبير، عائلة قدورة: كإبن جعدون و ابن الشاهد، وإبن الأمين، وإبن نيكرو. لمزيد من التفاصيل ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 258. لمعرفة رواتب وأجور الموظفين في الجامع الأعظم ارجع الى سجلات بيت المال و البايلك، السجل 320 الذي تحوي غلبه على العديد من النماذج.

والمسائل⁽¹⁾. ويعد الجامع الأعظم من أجمل مساجد الجزائر و كان من أهم المراكز التعليمية ، احتضن العلماء و الطلبة وكانت تدرس فيه مختلف العلوم في شكل حلقات مسجدية⁽²⁾.

◀ جامع سيدي محمد الشريف الزهار:

هو عبارة عن مسجد مالكي، ويسمى أيضاً بزاوية سيدي محمد الشريف بملتقى الطرق في حي الجبل بقرب جامع سفير، و يوجد قبر هذا الوالي الصالح داخل المسجد ، و يحمل هذا النصب نقش تذكاري موضح فيه تاريخ وفاته 984هـ/1543م⁽³⁾، وتم إنشاء جامع سفير وجامع سيدي محمد الشريف في موقع من الجزائر كان خالياً أو كاد أن يكون خالياً من السكان في ذلك الوقت، ويحتمل أنه تم اختيار ذلك الموضع؛ لاتساعه عوضاً عن الناحية السفلى من البلد القريبة من ضفة البحر، كما أنهم كانوا يتوقعون أن البلدة ستمتد على سند الجبل فيتيسر للحنفية والمالكية أن يقضوا الصلاة و يقيموا الدروس، فمن العوائد الماثورة قديماً في الإسلام ان المساجد للتعليم وللديانة⁽⁴⁾.

◀ الجامع الكبير بشرشال:

يعرف هذا الجامع باسم مسجد مئة عرضة(عمود)، والمسجد يقع في الجهة الغربية من مدينة شرشال في شارع أول نوفمبر، يحيط به من الغرب مستشفى، ومن الشرق، والشمال والجنوب مناطق سكنية، تشير المصادر إلى أنه أسس عام (1574م)، وقام بتأسيسه أبو عبد الله محمد بن سي عياد الأندلسي، وفي عام 1840م قام الفرنسيون بتحويل المسجد إلى مستشفى عسكري، ثم إلى مستشفى مدني، وبعد استقلال الجزائر ، ظل المسجد مستشفى تحت اسم مستشفى سي

(1) عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص : 279 ، 280 . ينظر : بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش ، المرجع السابق ، ص:38 . ينظر : الملحق رقم : ((12)) ، ص : 363 .

(2) نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ص 161 – 163. أنظر : بلحاج معروف، المساجد العثمانية في الجزائر: دراسة من ناحية التخطيط المعماري، المؤتمر الدولي الخامس بعنوان: العرب والتürk عبر العصور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السويس، 2013م، ص159. أنظر أيضاً : بوزرينة السعيد ، المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، خلال العهد العثماني ، مجلة منبر التراث الأثري ، العدد الثاني ، 2013 .

(3) سعاد فويال ، المدارس الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة ، 2010 ، ص : 71 .

(4) نور الدين عبد القادر، المرجع السابق ، ص 166 – 167.

المالك البركاني، ثم أعيد إلى الوظيفة الأصلية له كمسجد عام 1985م، ويتكون الجامع الكبير من مساحة تقدر 1316م² تقريباً، ويتكون من صحن كبير، ومربع للصلاة⁽¹⁾.

جامع عين البيضاء بمعسكر:

يقع جامع عين البيضاء على بعد 300م من السور الشرقي القديم لمدينة معسكر، يحده من الشرق مقبرة كانت مخصصة لمشاهير المنطقة، والمدرسة الحمديّة، ومن الغرب المستوصف، ومن الجنوب والشمال مناطق سكنية، سمي بجامع عين البيضاء؛ حيث إنه يقع بالقرب من عين مائية، لون مائها يميل إلى البياض، واشتهر باسم جامع المبايعة، حيث تمت المبايعة الثانية فيه للأمير عبد القادر الجزائري من قبل أهالي المنطقة عام 1833م، ويسمى مسجد سيدي حسن نسبة إلى حسن باشا الذي كان يحكم إيالة الجزائر في ذلك الوقت، تم بناء المسجد في عام 1780م بأمر من الباي محمد بن عثمان، والمعروف بباي محمد الكبير، قام الفرنسيون بجعله مخزناً لحبوب القمح، وظل كذلك حتى عام 1905م، ثم أعيد لوظيفة المسجد مرة أخرى، وهو مسجد يتميز ببساطة شكله الخارجي، ويتألف من صحن صغير، وبمحاذاته بيت الصلاة⁽²⁾.

مسجد السيدة :

مسجد السيدة هو إحدى المساجد الشهيرة في الجزائر، وسمي بجامع السيدة نسبة إلى التي بنته، وهي بنت مولاي الناصري ملك بجاية، وترجع أقدم الوثائق التي تحدثت عنه إلى سنة 1546م، حيث كان المسجد يقع على شارع باب البحرية، وتحدث عنه هايدوا الإسباني عام 1581م، ويعتبر جامع السيدة من أهم المساجد بالجزائر، خلال العهد العثماني، حيث كان الحكام والقادة يترددون عليه بسبب قربه من قصر الجنينية، كما كان ينظر فيه في الاتفاقيات التجارية والتسعين، وكان مركزاً للأعمال الإدارية الحكومية في الفترة العثمانية⁽³⁾، وكان يقع في سوق الخضّر، وتقول وثائق أخرى أنه كان بالقرب من دار الضرب، واعتبره ديفولكس من جوامع الدرجة الأولى وذلك لمدى جماله وفخامته، وقد كان عبارة عن تحفة معمارية، ومن روائع الفن المعماري، ويتميز مسجد السيدة بامتلاكه لأعمدة من الرخام تعلوها أقواس منقوشة

(1) بلحاج معروف، المرجع السابق، ص 158.

(2) نفسه، ص 161.

(3) لطيفة بورابة، الآثار الباقية من جامع السيدة المندثر في مدينة الجزائر العثمانية: دراسة تاريخية أثرية، المؤتمر السابع عشر للاتحاد العام للأثريين، 2014م، ص 569.

ومنحوتة على شكل كرمة من العنب، وقام الفرنسيون بهدمه ما بين عامي 1830-1833م، بحجة توسعة الطريق، والتحكم في المدينة تحسباً لأي هجمات، أو مقاومة لهم⁽¹⁾.

◀ جامع سيدي الكتاني:

يقع جامع سيدي الكتاني في نهاية شارع كرامان بساحة سوق العصر بمدينة قسنطينة، تم بناؤه عام 1771م، من قبل صالح باي⁽²⁾.

◀ جامع الباشا وهران: في عام 1972م تمكن باشا وهران من هزيمة الإسبان، وطردهم من

مدينة وهران، وشكراً لله تعالى على هذا النصر فقام الباي ببناء جامع الباشا الأعظم عام 1796 بأمر من الداوي حسن باشا⁽³⁾.

◀ جامع الباي بمدينة عنابة:

يقع جامع الباي بمدينة عنابة في وسط الساحة المعروفة اليوم باسم ساحة 19 أوت 1956م، وهي تقع في قلب المدينة، وسمي بجامع الباي نسبة إلى الحاكم صالح باي، وهو من قام بتأسيسه، عام 1792م⁽⁴⁾.

◀ مسجد علي بتشين:

حيث يعتبر مسجد علي بتشين من أهم المساجد التي كانت موجودة في العهد العثماني فلقد كان علي بتشين من رياس البحر خلال القرن السابع عشر الميلادي، فقد قام ببناء هذا المسجد من ماله الخاص والذي حمل اسمه وتم تشييده عام 1622م، فكان يقع في نهج باب الواد وسيدى إدريس حميدوش غير بعيد عن الدار الحمراء وكانت قاعة الصلاة ذات شكل مربع وهي لا تؤدي مباشرة إلى الشارع، بنيت فوق الحوانيت نظراً لعدم استواء الأرض، أما القبة المركزية الواسعة فهي تشبه طراز المسجد العثماني، وتم تحويله إلى كنيسة عام 1843م⁽⁵⁾. فما

(1) خيرة بن بلة، منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني: دراسة أثرية فنية، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، الاتحاد العام للآثارين العرب، عدد: 13، 2013م، ص152.

(2) خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص153.

(3) بلحاج معروف، المرجع السابق، ص161.

(4) خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص158.

(5) مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر و زواياها و أضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس و الوثائق العثمانية، 2010، دار الأمة، ص: 27، 28.

يمكن قوله أن الاعلاج كانوا يعملون لصالح الإسلام والملمين من خلال تشييد المؤسسات الدينية وفي مقدمته المساجد وتحسين الأوقاف .⁽¹⁾

جدول مساجد المذهب الحنفي والمالكي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني⁽²⁾:

اسم المسجد	سنة التأسيس	المذهب
سيدي رمضان	1551م	مالكي
سفير	1534م	حنفي
السيدة	1564م	حنفي
القصبة	1571م	مالكي
خيضر باشا	1596م	حنفي
كتشاوة	1612م	حنفي
علي بتشين	1622م	حنفي
الجديد	1664م	حنفي
ميزو مرطو	1685م	حنفي
بن خوجة	1693م	حنفي
عبدي باشا	1726م	حنفي
علي باشا	1758م	حنفي
القصبة	1818م	حنفي

ومن الجدول السابق يتضح انتشار المساجد الخاصة بالمذهب الحنفي أكثر من المذهب المالكي، مما يدل انتشار المذهب الحنفي في تلك الفترة.

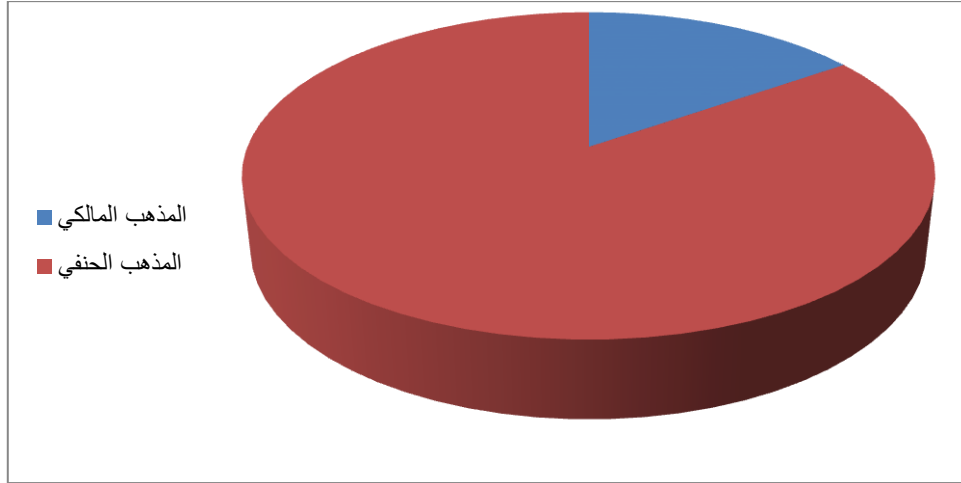
رسم بياني(1): نسبة مساجد المذهب الحنفي والمالكي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني⁽³⁾:

(1) أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، المرجع السابق، ص 66 .

(1) Tall Shuval, La Vielle D'alger Vers La Fin Du XVIII eme siècles /cnrs, edition, paris, 1998,

p:194. نقلا عن: صابرينة لنوار ، المرجع السابق، ص : 121.

(3) أبو راس الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ، ج 2 ، المصدر السابق : 45.



4/ دور المسجد التعليمي و التثقيفي في العهد العثماني بالجزائر:

إن أهم ما يميز المسجد في كل عصر هو دوره الكبير في التعليم والتربية وأول من منحه تلك الصفة رسول الله -صل الله عليه وسلم- فكانت حلقات التدريس تقام فيه منذ أن أنشأ واستمر في هذه الوظيفة على مر العصور والسنين ، وهو منارة للعلم و الحضارة و مركزا أساسيا للحياة الدينية والعلمية والثقافية ⁽¹⁾.

لقد اعتبر المسجد مدرسة وثانوية، وجامعة بمفهومها اليوم، فلقد كان الطلاب يجتمعون فيه في مجموعة من الحلقات من أجل الاستفادة من العلم والعلماء وظل هذا التقليد متداول في البلاد الإسلامية قبل ظهور المدارس في القرن 11، ولم تكن الجزائر ببعيدة عن هذا النهج فهو منهج متوارث عبر الأجيال، فكانت حلقات العلم تقام في المساجد وتدرس فيها العلوم الشرعية والآداب ⁽²⁾.

فالمساجد كانت تعتبر مركز إشعاع علمي يلتقي فيها الذين تمكنوا من كسب معارفهم عن طريق الرحلات التي كانت تقام خارج الجزائر، ويقومون من خلالها بمطالعة الكتب، وحضور جلسات العلم مكتسبين من خلال ذلك معارف كثيرة، وحاملين معهم كتب أهم علماء المغرب والمشرق ، كما قام البعض بجمع العديد من المؤلفات في مختلف التخصصات من العلوم العقلية والنقلية، حيث يوجد بالجامع الأعظم للمالكية مكتبة كبيرة لم يتمكن جملان أن يحملان كل

⁽¹⁾ رسم يمثل نسبة مساجد المذهب الحنفي والمالكي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني .

⁽²⁾ صبرينة لنوار ، المرجع السابق ص 124.

الكتب الموجودة بها إلا بعد مرور ثلاثة أيام كاملة إلى برج مولاي حسن، وهذا يدل على ضخامة المكتبة التي كانت بالمسجد، مما يدل على أنه منبر هام من منابر العلم والتعليم.⁽¹⁾

وتعود وظيفة المسجد كمركز للثقافة الإسلامية إلى حقيقة رئيسية وهي أن التعليم الإسلامي خصوصاً في الأعوام الأولى للإسلام كان عبارة عن منهج للتعليم بصورة عامة وشاملة، فلقد كان على المسلمين الذين دخلوا في الإسلام حديثاً أن يتعلموا مبادئ وشعائر العقيدة الجديدة وأن يعرفوا مبادئها وأهدافها وفلسفتها وقوانينها، ومن الواضح أن المسجد كان أفضل معهد من أجل تحقيق هذا الغرض والمسجد لم يكن عبارة عن دار للعبادة فحسب، بل إذا نظرنا إلى العبادة التي تؤدي في الإسلام لوجدناها تنطوي على ألوان متعددة من الثقافة، كما أنه ليس مكاناً يزار مرة واحدة في الأسبوع من أجل أن يلهم الناس الأفكار الروحية التي من المحتمل أن يتم نسيانها في الأيام الستة الباقية من الأسبوع، بل هو المكان الوحيد الذي يتم فيه تجديد دم الحياة ساعة بعد ساعة في شرايين المسلمين وبهذا يتم حفظ أرواحهم وعقولهم، وجعلها مملوءة بالتقوى والخير طوال الوقت.⁽²⁾

ويبرز دور المسجد التعليمي في الجزائر في العهد العثماني فيما يلي:

التعليم في المساجد كان يعتبر هو المرحلة الثانية من مراحل الدراسة بعد حفظ القرآن الكريم في الكتاب التي كانت تعتبر بمثابة المرحلة الابتدائية لينتقل بعدها الطالب للدراسة في المساجد، وهنا تأتي مرحلة التخصص والتعمق أكثر في مختلف العلوم ومساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني كان لها الدور الأكبر في عملية نشر الثقافة العربية فكانت بمثابة مركز إشعاع ثقافي وعلمي ساهمت في تطوير الحركة العلمية في الجزائر، وتخرج العلماء، وتخرج منها عدة علماء كما كان يدرس فيها العديد منهم ومن أهم علماء مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

- الشيخ سيدي محمد الشريف الزهار .
- الشيخ محمد بن محمد المهدي.
- الشيخ علي بن عبد الرحمن العالم الفقيه قاضي المالكية .
- الشيخ محمد بن القوجيل.

⁽¹⁾ صبرينة لنوار، المرجع السابق ص 124.

⁽²⁾ محمد كمال عليوة المسلمي، الوظيفة التربوية للمسجد في ظل المتغيرات المجتمعية المعاصرة، مجلة كلية التربية ببورسعيد، ع7، 2010م، ص 345.

- الشيخ علي بن حسون .
 - سيدي محي الدين بن سيدي علي بن مبارك.
 - أبو حفص سيدي عمار التنسي .⁽¹⁾
- لقد كانت المساجد عبارة عن أماكن للصلاة وتحفيظ القرآن الكريم والتعليم ومعالجة لمشاكل الناس، فبما أن المساجد كانت بمثابة الرابطة بين الأهالي في المدينة والريف فلقد كثرت العناية بها فلا نكاد نرى قرية أو حياً في مدينة الجزائر إلا وبها مسجداً.⁽²⁾
- المسجد هو مكان للعبادة ومدرسة من أجل تعليم الناس الكتابة والقرآن وتحفيظهم كتاب الله تعالى وهو جامعة مفتوحة تعقد فيها حلقات المستويات فهي عبارة عن مركز تعليمي للإسلام وملجأ لمن لا ملجأ له.⁽³⁾
- إن وجود المساجد والأوقاف كان يعطى للجزائر العثمانية طابعاً إسلامياً موحداً تلتقى فيه اهتمامات الحكام والمحكومين ومظهراً من مظاهر الجهاد والإحساس المشترك⁽⁴⁾، فالوظيفة الأساسية للمساجد في الجزائر خلال العهد العثماني كانت إقامة الصلاة غير أن التطور الاجتماعي الذي عرفته المجتمعات الإسلامية جعل مهمة المسجد تتطور، حيث إن المهمة الأولى والرئيسية للمسجد هي العبادة، والتي من أجلها شيدت المساجد حيث يرفع الأذان ويقوم على الصلاة إمام ومؤذن ومقيم، وهم يتلقون روايتهم إما من الخزانة العامة للدولة وإما من تبرعات المسلمين أو من الأوقاف الإسلامية .
- لعبت المساجد في التعليم دور التعليم العالي في المدرسة الحديث، حيث ينتقل الطالب إلى المسجد الجامع بعد أن يكون قد مر على مرحلة الكتاب (المرحلة الابتدائية)، ومرحلة المدرسة (المرحلة المتوسطة والثانوية)، ومن ثم فهو يستكمل مشواره العلمي من خلال الحصول على

⁽¹⁾ صيرينة لنوار، المرجع السابق، ص 125.

⁽²⁾ رشيدة شدرى ، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر : فترة الدايات (1671 - 1830 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية

والاجتماعية، الجزائر، 2006م، ص 52

⁽³⁾ مختارية تراري، المرجع السابق، ص 3.

⁽⁴⁾ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص : 262.

الإجازة⁽¹⁾ في العلوم من المساجد الجامعة التي كان يلقي بها عظماء العلماء دروسهم العلمية، على عادة كل المساجد الجامعة في البلاد الإسلامية .

ساهمت المساجد في العهد العثماني بالجزائر في ازدهار الحركة التعليمية، فقد كان الطلاب يقصدونها من أجل تلقي العلوم والمعارف، وكانت مركزاً لتعليم العلوم الشرعية، والمعارف الأخرى.

المساجد بالجزائر في العهد العثماني قامت بدور بارز في تنشيط الدراسات الفقهية، حيث كانت تدرس فيها المذاهب الفقهية، وأغلب المساجد في الجزائر كانت تتبع المذهب الحنفي، وبالتالي فإنها كانت تهتم بتعليم المذهب، ونشره بين الناس، وبذلك يكون المسجد في العهد العثماني بالجزائر لعب دوراً كبيراً في نشر المذهب الحنفي، حيث جعل الجزائريون جل المساجد لخدمة المذهب الحنفي، وقليل منها لخدمة المذهب المالكي، وكأن المساجد في تلك الحقبة بمثابة الراعي الرسمي لنشر المذهب الحنفي، وتعليم أصوله وفروعه، كما كانت المساجد مركزاً لمناقشة القضايا الفقهية والفصل فيها.

لعبت المساجد في العصر العثماني دوراً كبيراً في تقديم خدمات تعليمية بارزة للمجتمع الجزائري، وتوعيته وتنقيفه⁽²⁾. وعموماً فإن الانتشار الكبير للمساجد في الجزائر لعب دوراً أساسياً في تعليم الناس العبادات، وغيرها، كما كان منبراً للعلوم والمعارف.⁽³⁾

لقد قامت المساجد طيلت العهد العثماني بإحياء الحياة العلمية وازدهارها، وخلق جو علمي ديني راق، استفادت منه جميع طبقات المجتمع⁽⁴⁾. وبرز دور المسجد التعليمي في العهد العثماني

(1) الإجازة : يشير شمس الدين السخاوي في كتابه فتح المغيـث إلى أن الإجازة مصدر و أصلها إجازة تحركت الواو ، و توهم إنفتاح ما قبلها فإنقلب ألفا ، و حذفت إحدى الألفين لإلتقاء الساكنين فصارت إجازة ، و هي مشتقة من الفعل جوز، ويقال جُزْتُ الموضوع أي سرت فيه ، و أجزته خلفته و قطعته و أجزته أنقذته . وعند ابن منظور في كتابه لسان العرب: الجواز : الماء الذي يسقاه المـال من الماشية أو الحرث أو نحوه ، و قد إستجرتُ فلانا فأجازني ، إذ سقاك ماء لأرضك أو ماشيتك . و يختلف مفهوم الإجازة باختلاف مجالات إستعمالها فهناك الإجازة الشعرية ، و الإجازة الصوفية و الإجازة الأدبية ، و الإجازة العلمية هذه الأخيرة عرفت تطور كبير منذ ظهورها إلى العهد العثماني ، فالإجازة بمثابة الشهادة اليوم و يمكن تعريفها بأنها : إذن من شيخ لطالب علم أو لعالم آخر في رواية الحديث أو الفقه ، أو التاريخ أو غيرها من العلوم ، فالحاصل على الإجازة بإمكانه تولي مناصب هامة كالفتوى و التدريس .. إلخ . لزغم فوزية ، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518 - 1830 ، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية ، 2011 ، ص : 15-18 .

(2) صبرينة لنوار ، المرجع السابق، ص125.

(3) درام الشيخ ، المرجع السابق ، ص 76 - 80 .

(4) سعدية رقاد، المرجع السابق، ص130.

في أنه المؤسسة التي خرجت أجيالاً عظيمة من العلماء، الذي لم يتلقوا تعليمهم سوى في المسجد، فقد نبغ في ذلك العصر جملة من العلماء الأعلام⁽¹⁾، الذين تبوؤوا مكانة عالية عند الحكام، وبين الناس⁽²⁾.

لقد كان للدروس التي تلقى في المساجد المنتشرة في ربوع الجزائر دوراً كبيراً في نشر العلم بين الطبقات الراقية، ومحو أمية الطبقات الوسطى والعامة⁽³⁾. ولقد كانت المساجد وغيرها من المراكز التعليمية في الجزائر مراكز ثقافية جاهزة، وكان يتولى التعليم فيها أساتذة متمكنون في علوم اللغة، والأدب، والفقه، والفلسفة، والنحو والفلك مما أثرى على الحياة العلمية بالبلاد، والحفاظ على الهوية العربية، حيث كانت المساجد تقوم بتلقين طلابها اللغة العربية⁽⁴⁾.

لقد قامت المساجد في القرى والمدن بدور عظيم في نشر العلم، والفكر والثقافة، والتمسك باللغة العربية لغة العلم والحضارة⁽⁵⁾.

ومما سبق يتضح أن الجزائر في العهد العثماني حظيت باهتمام كبير بإنشاء المساجد كمراكز تعليمية، ومعلم من معالم الحفاظ على الهوية الإسلامية، فالمسجد هو مكان تعليم العبادات، والمسجد هو مكان إلقاء الدروس والخطب بصورة منتظمة، أو غير منتظمة، فيتعلم الناس أمور دينهم، بل المسجد هو المنارة الأولى التي خرجت العلماء على مختلف أطيافهم.

(1) صنف أبو القاسم سعد الله العلماء خلال العهد العثماني إلى ثلاث أصناف : العلماء والموظفون والفقهاء المستقلين لا صلة لهم بالتصوف ، ثم العلماء المتصوفة دعاة العلم و الولاية والمرابطين ، ومن بين العلماء : أبو العباس أحمد الغبريني صاحب كتاب الدراية في علماء بجاية ، أحمد بن محمد المقرئ ، صاحب كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، و روض الآس العاطر الأنفاس ، أحمد بن يحيى الونشريسي ، صاحب كتاب المعيار المعرب ، عبد الرحمن الأخصري ، أبو مهدي عيسى الثعالبي ، يحيى المازوني ، محمد بن عبد الجليل التنسي ، محمد بن عبد الكريم الفكون ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، يحيى الشاوي ، أحمد بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني... إلخ - ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، 48. للتعرف أكثر على العلماء أنظر : أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، بيبير فونتانة ، 1906. عبد الكريم بن محمد الفكون ، منشور الهداية فيمن إدعى العلم والولاية ، تح : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987. القادري محمد بن محمد الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني، ط2، ج 3 : تح : محمد حجي و احمد توفيق ، الجمعية المغربية للنشر و للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، 1986. محمد بن زاكور الفاسي ، نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر و تطوان ، تقديم عبد الوهاب ابن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1967 .

(2) بلبراوات بن عتو، المرجع السابق، ص190-191.

(3) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العمرية، الجزائر، 1993م، ص90.

(4) عطلاوي عبد الرزاق، الرحلات العلمية وأثرها في الحركة الإصلاحية في الجزائر، دار البازوري للنشر والتوزيع، 2017، ص36.

(5) يحيى بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1995م، ص:41.

والناظر في دور المساجد التعليمي بالجزائر خلال العهد العثماني يجد أن المساجد قامت بالعديد من المهام والأدوار التعليمية البارزة، فقد كانت مركزاً تعليمياً لتحفيظ القرآن الكريم، كما كانت بمثابة جامعة لتعليم العلوم الشرعية وغيرها، فهي الوسيلة التي من خلالها يترقى الطلاب في تحصيل العلوم، كما كانت المساجد هي مكان مناقشة القضايا الفقهية المختلفة، والفصل فيها. ويمكننا أن نستنتج أيضاً أن المساجد كانت محوراً أساسياً في تعزيز التعددية المذهبية ونشر المذاهب الفقهية، لا سيما المذهب الحنفي، حيث أصبحت مراكز لنشر تعاليمه وتعليمه للناس وبهذا ساهمت المساجد في الجزائر في تخريج أجيال نملت من العلوم والمعرفة، وحملت لواء التعليم ونشر الفكر الديني والمعارف والعلوم في الجزائر وخارجها.

المبحث الثالث: الزوايا والأضرحة والرباطات بالجزائر في العهد العثماني

1/ الزوايا والرباطات والأضرحة: المفاهيم والنشأة ودورها التعليمي

المفاهيم:

1.1- تعريف الزاوية لغة واصطلاحاً:

الزاوية لغة :

تَزَوَّتِ الْجِلْدَةُ فِي النَّارِ، أَي: تَقَبَّضَتْ مِنْ مَسِّهَا. وزاوية البيتِ اشْتُقَّتْ مِنْهُ⁽¹⁾، وزوى الشيء يزويه زيا وزويا فانزوى، نحاه فتنحى، وزويت الشيء: جمعته وقبضته، وازو لنا البعيد: أي اجمعه واطوه، وزوى ما بين عينيه فانزوى: جمعه فاجتمع وقبضه، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا، والزاوية: مفرد الزوايا⁽²⁾، وهي : موضع مجتمع، سميت زاوية لتقبضها واجتماعها وانحرافها عن الحائط⁽³⁾. وبهذا المعنى يتضح لنا أنها تعني إتخاذ ركناً من أركان المسجد للإعتكاف و التبعد.

(1) تزوت الجلد في النار : وهو تعبير مجازي يدل على التحمل والصبر على الشدائد والحن. الخليل بن أحمد، المصدر السابق ، ج 7 ، ص : 396.

(2) إبن منظور، المصدر السابق، مج:14، ص: 363 – 364.

(3) سلمة بن مسلم العَوْتِي الصُّحَارِي، الإبانة في اللغة العربية، المحقق: د. عبد الكريم خليفة و آخرون، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - عمان، 1420 هـ - 1999م، ج: 3، ص : 186.

والزاوية هي المسجد غير الجامع ليس فيه منبر ، وسميت بذلك لأن أول من فكر فيها هم المتصوفة والمرابطين حيث اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد به عن صخب العمران وضجيجيه من أجل اللجوء إلى السكينة والهدوء وهو الجو الذي يتناسب مع العبادة، فسميت زاوية ⁽¹⁾.
والزاوية: مصلى في الجامع، وشقة في بناية المسجد يتلقى فيها الطلاب دروسهم ويدرسون فيها ويكتبون منزوين عن الناس ⁽²⁾.

الزوايا اصطلاحاً :

عرفت الزاوية بأنها: البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون من أجل حراسة البلاد ورد هجوم العدو، أو المكان الذي يلتقي فيه صالح المؤمنين من أجل العبادة وذكر الله سبحانه وتعالى و التفقه في أمور الدين . وعرفها محمد قسطيني، فقال: "تعتبر الزاوية عبارة عن مؤسسة تواصل بين الأفراد والجماعات فهي عبارة عن المتنفس الأمني والثقافي، والديني للأفراد والجماعات صعوداً ⁽³⁾. وهذا التعريف نتيجة الوظيفة الجديدة التي وكلت إلى الزاوية، والتي كانت كنتيجة لتطور الدولة، والاستعانة بالزاوية في تسيير شؤون الحكم.

وعُرفت الزاوية بأنها: عبارة عن ركن من أركان المسجد قد اتخذت من أجل العبادة والتعبد والاعتكاف، ثم تم تطويرها بعد ذلك إلى أبنية صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات ويقومون بالتعبد فيها ويعقدون فيها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل بالدين من العلوم العقلية والنقلية، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر ⁽⁴⁾.

وعُرفت بأنها: عبارة عن مدرسة دينية ودار لضيافة الأعراب وتعتبر مراكز لمشايخ الطرق الصوفية مخصصة للعلم والثقافة العربية الإسلامية في مراحل الدراسة. وقيل في تعريفها: يطلق هذا اللفظ في شمال إفريقيا على مجموعة من الأبنية ذات الطابع الديني: غرفة من أجل الصلاة ، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة،وبه غرفة خصصت لتلاوة القرآن ، ومدرسة

⁽¹⁾ عبد الله عماري، واقع تعليم اللغة العربية في الزوايا القرآنية بمنطقة توات الجزائرية ، مجلة آفاق علمية ، مج11، ع3، 2019 م ، ص 389.

⁽²⁾ زينهارت، تكملة المعاجم...، المصدر السابق ، ج5، ص : 392.

⁽³⁾ بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، 2009م، ص 30 – 31.

⁽⁴⁾ العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي : دراسة أنثروبولوجية ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع15، 2014م ، ص 128.

لتحفيظ القرآن، وغرفة مخصصة لضيوف الزاوية والمسافرين والحجاج، وغرفة للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشتمل على قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يقوموا بدفنهم فيها.⁽¹⁾

وعرفها عبد الحكيم عبد الغني قاسم بأنها: "عبارة عن ركن أو جزء من المسجد قد تم تخصيصه من أجل العبادة، لكنها بمرور الزمن ومرار الوقت تحولت إلى شكل جديد في هيئة دور تقام من أجل الدراسات العلمية والدينية، وقد اتخذتها الصوفية مكاناً من أجل إقامة حلقات الذكر فيها"⁽²⁾.

وقيل في تعريفها: "مكان معد من أجل العبادة وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم وتسمي في الشرق خناقة"⁽³⁾.

وعُرفت الزاوية بأنها: بناية ذات طابع ديني، يقيم فيها المتصوفة للاعتكاف، والتفرغ للعبادة، وتعليم المريدين مختلف العلوم الشرعية، النقلية والعقلية، وتحفيظ القرآن الكريم للناشئة، وإيواء وإطعام الفقراء وابن السبيل.⁽⁴⁾

كما تُعرف الزاوية بأنها: "دار مجانية من أجل الضيافة وهي تشبه كثيراً الدير في العصور الوسطى، وهذا الأمر يفسر أن هذه المؤسسات عرفت في بداية تأسيسها خصوصاً في بلاد المغرب بدار الكرامة على العهد الموحيدي"⁽⁵⁾. ويتم إطلاق اسم الزاوية على المعهد والرباط الذي تنشئه إحدى الفرق الصوفية كالتيجانية والقادرية والسنوسية والخلواتية والشاذلية، وقد تطلق كلمة الزاوية على مسجد خاص بطائفة أو ضريح لأحد الأولياء تتصل بمقبرة يدفن فيها.⁽⁶⁾

كما عُرفت الزاوية بأنها: "مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مُريديهم؛ لذكر الأوراد، كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن، والعلم، وبقية الزوار الذين يقصدها؛ للاستفتاء والصلح بين المتخاصمين، وهي بذلك مؤسسة اجتماعية تربوية ودينية وحتى عسكرية حتى قيل عنها أنها أصغر من دولة وأكبر من حزب"⁽⁷⁾.

(1) نصر الدين باقي، دور الزوايا في الاستقرار السياسي والاجتماعي بالجزائر، مجلة آفاق فكرية، مج3، ع7، 2017م، ص: 146.

(2) الطيب العماري، المرجع السابق، ص 128.

(3) نفسه.

(4) عبد القادر دحلوح، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، ع: 19، 2017، ص 1165.

(5) الطيب العماري، نفسه.

(6) نفسه.

(7) نفسه، ص 235.

ويتضح لنا من هذه التعاريف السابقة للزوايا أنها دقيقة وشاملة، فهي عبارة عن مؤسسات دينية واجتماعية وتعليمية لعبت دورًا محوريًا في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني وكانت هذه المؤسسات الصوفية مراكز للعلم والتعليم، فضلاً عن كونها أماكن للعبادة والتربية الروحية.

2.1- الأضرحة و الرباطات : الضريح مكان يأوي قبر المرباط أو الولي الصالح وعادة ما تجده ملاصق للمساجد ، ويتكون عادة من حجرة منخفضة مربعة الشكل تعلوها قبة ، كما يزين الضريح بزرايبي و ألون متعددة ، وتصدر ضريح عبد الرحمن الثعالبي قائمة الأضرحة المشهورة⁽¹⁾ أما فيما يتعلق بالرباط فهي عدت أساساً لحراسه الثغور وهذا منذ أوائل الفتح الإسلامي وازدادت أهميتها عندما تكالبت الاطماع المسيحية على شواطئ المغرب العربي والشمال الإفريقي اثر الحروب الصليبية، فكان الرباط عبارة عن الإقامة للجهاد ضد العدو بالحرب⁽²⁾ ، وقد احتفظ لنا التاريخ ببعض الوثائق التي توضح انشاءها منها وثيقة مؤرخة في سنة 954هـ/1548م بخط العلامة الشيخ عبد الرحمن اليعقوبي ، توضح اجتماع الأعيان لدراسة الأوضاع بعد احتلال الاسبان تلمسان⁽³⁾.

2/ أهم الزوايا و الأضرحة و الرباطات في الجزائر في العهد العثماني :

-الزوايا :

تميز العهد العثماني بالجزائر بانتشار الطرق الصوفية، وكثرت الزوايا، فلقد أنشأت بكثرة في الأرياف والمدن وفي الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة، وربما يعود هذا الانتشار إلى انتعاش الطرق الصوفية و ذلك بسبب ضعف التعليم وبساطته في تلك الفترة⁽⁴⁾، وكانت الزوايا بالريف أكثر من غيره، ويعود ذلك إلى ما يلي:

1-افتقار الأرياف للمراكز التعليمية الأخرى.

(1) عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص:302 .

(2)ابن سحنون ، المصدر السابق ، ص 233 .انظر ايضا: الورثيلاني ،المصدر السابق ،ص18 .

(3)المهدي البوعبدلي، الرباط والفدا في وهران والقبائل الكبرى ،مجلة الأصالة، ع: 1973، 13، ص: 17 .

(4) عبد الجليل التميمي ، وثيقة عن الأملاك المحبسة بإسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر ، منشورات المجلة التاريخية المغربية المغربية ، ع: 5 ، 1985، ص : 13 .

2-انتشار الطرق الصوفية في الريف⁽¹⁾.

فالأرياف أرض خصبة للمعتقدات الصوفية، فقد عاش معظم المتصوفة بالريف، يقومون ببث عقائدهم الدينية ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد بعيداً عن صخب الحياة فكانوا يقومون بتعليم العامة مبادئ الدين، فإذا اشتهر أحدهم بين الناس قاموا بتأسيس مركزاً له يقوم باستقبال الزوار والغرباء فيه، والطلبة ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويتضاعف قصاده و مُريديه أي أتباعه ، ويصبح اسم المتصوف أو المرابط عالماً على المكان، ويصبح بعد ذلك المكان يدعى بين الناس باسم زاوية سيدي فلان أو رباط سيدي فلان ، فإذا مات يدفن في الزاوية أو في الرباط ويصير الضريح علامة على الزاوية وهذه علامة على الضريح⁽²⁾.

ولقد كانت مدينة الجزائر في العهد العثماني تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء والصالحين و حضيت باهتمام كبير من قبل المريدين و قددرت بتسعة عشر زاوية⁽³⁾، نذكر من بينها:

- زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي.
- زاوية الولي دادة.
- زاوية عبد القادر الجيلاني.
- زاوية سيدي مُحمَّد الشريف .
- زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري.
- زاوية سيدي الجودي.
- زاوية سيدي جمعة.
- زاوية سيدي الكتاني.
- زاوية سيدي السعدي.
- سيدي أبي النقي.

(1) صليحة بردي ، المرجع السابق، ص130.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، 262 – 263.

(3) ناصر الدين سعيدوني ، دراسة تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية -الفترة الحديثة -، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001 ، ص: 255،277 .

- سيدي يعقوب.
- سيدي الفارسي.
- وسيدي بوعتيقة.⁽¹⁾

زوايا قسنطينة:

بلغ عدد الزوايا بمدينة قسنطينة 13 زاوية⁽²⁾، وتتمثل في الزوايا التالية:

- زاوية سيدي التلمساني.
- زاوية ابن محجوبة.
- زاوية سيدي عبد المؤمن.
- زاوية ابن نعمون.
- زاوية الفقون.
- زاوية باش تارزي.
- زاوية ابن رضوان.
- زاوية نعمان.
- زاوية أولاد ابن جلول.
- زاوية الصواري.
- زاوية الخراشفيين⁽³⁾.

زوايا تلمسان:

تعد تلمسان من أغنى المدن الجزائرية بالزوايا، حيث بلغ عدد الزوايا بها في أواخر العهد

العثماني 30 زاوية، ومن هذه الزوايا:

- زاوية سيدي الزيب.
- زاوية مُحمَّد السنوسي.

⁽¹⁾أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 264.

⁽²⁾Ch.l. Feraud, Les Anciennes établissements Religieux Musulmans De Constantine,N°68, PP:111-132.

⁽³⁾عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 1172.

- زاوية عين الحوت.
- زاوية سيدي بومدين.
- زاوية أحمد الغماري.
- زاوية مولاي الطيب الوزاني⁽¹⁾.

زوايا بجاية ومنطقة زواوة:

أغنى المدن الجزائرية بالزوايا "بجاية، وزواوة"، حيث بلغ عدد الزوايا بهما أكثر من خمسين زاوية، ومن هذه الزوايا:

- زاوية تيزي راشد.
- زاوية الشيخ مُحمَّد التواتي.
- زاوية الأزهري بايت إسماعيل.
- زاوية سيدي منصور بآيت جناد.
- زاوية عبد الرحمن البلوي.
- زاوية أبي القاسم بوجليل.
- زاوية أبي داود⁽²⁾.

الزوايا في مستنغام:

تميزت مدينة مستنغام بكثرة الزوايا، وأولياء الله الصالحين، ومن أشهر الزوايا في مستنغام:

- الزاوية القادرية.
- الزاوية التيجانية.
- الزاوية العيساوية.
- الزاوية السنوسية.
- زاوية الشيخ سيدي بن الأحول⁽³⁾.

⁽¹⁾ نفسه .

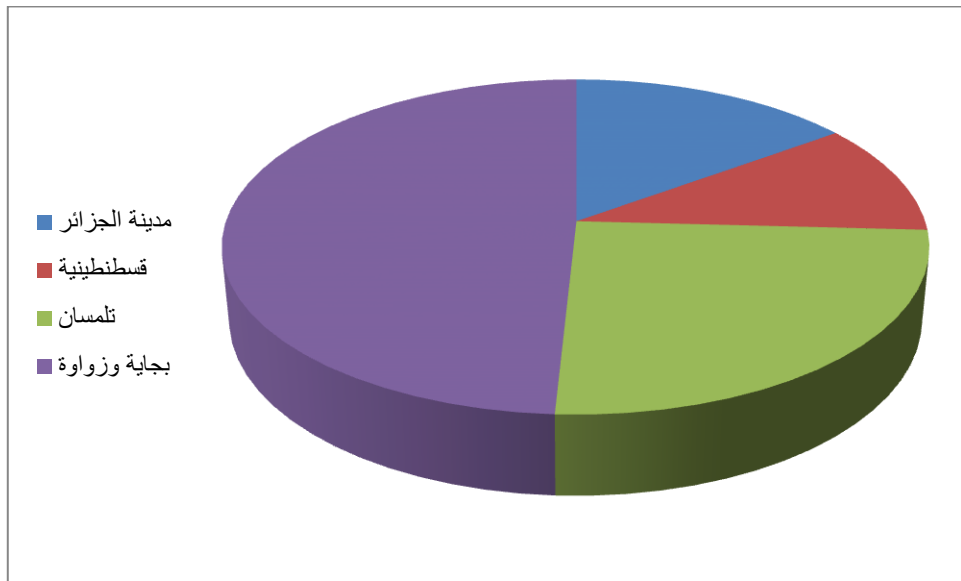
⁽²⁾ نفسه ، ص 1170-1173.

⁽³⁾ سعديّة رقاد ، المرجع السابق ، ص 169-171.

جدول(2): عدد الزوايا في كل مدينة حسب المعلومات المتوفرة⁽¹⁾:

المدينة	عدد الزوايا
مدينة الجزائر	18
قسنطينية	13
تلمسان	30
بجاية وزواوة	59

رسم بياني(2) يوضح عدد الزوايا في كل مدينة⁽²⁾:



- نماذج أهم الزوايا بالجزائر في العهد العثماني:

- زاوية سيدي محمد بن عمر :

تقع زاوية سيدي محمد بن عمر في الغرب الجزائري وفي منطقة معزولة من مناطق ندرومة، التي تتميز بالوعورة وصعوبة المسالك وتبعد عن مدينة تلمسان من الشمال الغربي حوالي 46 كم، وعن ندرومة حوالي 12 كم، وهي اليوم تابعة لبلدية عين الكبيرة التي تقع من ناحية الجنوبية من مركز الزاوية وبتحديد في جبال فلاوسن⁽³⁾.

(1) جدول يوضح عدد الزوايا.

(2) رسم بياني يوضح عدد الزوايا في المدن الجزائرية .

(3) الزين محمد، المرجع السابق، ص 73. وجبال فلاوسن تقع في الغرب الجزائري، تحديداً في ولاية تلمسان، وهي منطقة ذات أهمية تاريخية وجغرافية. تتميز هذه الجبال بطبيعتها الوعرة وتضاريسها الجبلية التي جعلتها ملجأً طبيعيًا للمقاومين عبر مختلف الفترات التاريخية.

يحد الزاوية من الشمال جبال ترارة ومرسى هنين ومن الجنوب جبل فلاوسن الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 1136م وغربا مدينة ندرومة وشرقا تلمسان.⁽¹⁾

حيث يذكر أن الزاوية ومسجدها التابع كان يتميزان بمنبع مائي آت من عين في أعلى الجبل تأتي إلى الزاوية وهي عين يقال عن تاريخها أنه ضارب في القدم ، ولعل هذا العامل هو الدافع الأول المؤسس الأول والشيوخ أن يتخذوا هذا المكان لهذه الزاوية فجاء الموقع متميزاً في عمارته، وقد ساعد موقع الزاوية على العزلة والانقطاع للعبادة، والانفراد دون إحداث الضجيج⁽²⁾.

- زاوية القشاش:

سميت تلك الزاوية بزاوية القشاش نسبة إلى بانيها وهو القشاش و عرفت بالمدرسة القشاشية، وهي عبارة عن دار كبيرة أو فندق حيث تستخدم غرفها من أجل إيواء العلماء الهارين، أو الطلبة الميسورين وفي الوقت نفسه فلقد كانت تلعب دور المدرسة ويعتقد ديفولكس أن أحد حجرات الزاوية كانت مغلقة على الدوام إذ بها قبر القشاش.⁽³⁾

- زاوية القاضي المالكي:

تقع زاوية القاضي المالكي بطريق باب الواد وتشتمل على حجرات صغيرة استعملت كمقعد للطلبة وهي تجاور مسجد بن كمخة ومحكمة القاضي المالكي⁽⁴⁾.

- زاوية سيد أحمد يوب :

هي في الأصل زاوية سيدي علي بن منصور لكنها اشتهرت بزاوية أحمد يوب ، وهو على ما أعتقد أحد وكلاء الزاوية وتضم ضريح سيد أحمد يوب، ومقبرة ومدرسة وهي مجاورة للمقهى الكبير، وزاوية القاضي المالكي بباب الواد، واعتبرت هذه الزاوية ملكاً لعائلة يوب التي توارثت مهمة الوكيل⁽⁵⁾.

- زاوية والي دادة :

(1) نفسه .

(2) الزين محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين : الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، الجزائر، 2003م، ص 73 - 75.

(3) بلراوات بن عتو، المرجع السابق، ص 70. أنظر : أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 281، 282 .

(4) نفسه .

(5) نفسه .

لقد اشتهر والي دادة التركي الأصل بمدينة الجزائر وقام سكانها بالاحتفاظ بذكراه، وما كان يقوم به من أعمال في الدفاع عن المدينة أثناء حمله شارلكان عام 1541م، حيث يروى أنه كان يجول في طرقات المدينة وأزقتها داعياً الناس للجهاد وداعياً الناس للتحلي بالشجاعة بدل الخوف ثم توجه إلى ساحل البحر وأخذ ينادي ربه ويضرب بعصا على ماء البحر إلى أن حلت عاصفة بحرية اضطر بعدها الإسبان إلى التراجع عن مدينة الجزائر.⁽¹⁾

- زاوية الشيخ عبدالرحمن الثعالبي:

هذه الزاوية تحوي مسجد صغير، شيدت عام 1696م، وتتميز هذه الزاوية بأناقة التصميم المعماري، فلها منارة أنيقة، وقبة مثمثة الزوايا، ومحرابها مزين بالخزف المستورد من آسيا الصغرى، ويوجد بها قبر الشيخ الثعالبي، وبجوارها عدة بيوت ومساكن، وتحوي غرفة ضريح الشيخ عدة قبور دفنت فيها العديد من الشخصيات المرموقة⁽²⁾.

- زاوية الأندلس:

تقع زاوية الأندلس بزقة السمن، وتنسب إلى الطائفة الأندلسية المهاجرة من إسبانيا، والتي تميزت بتقاليدها وعاداتها وتضامن أفرادها، وقد تم تشييد هذه الزاوية عام 1623م ويقوم بإدارتها وكيل يساعده شاوش.⁽³⁾

- زاوية الشبارلية:

بنيت زاوية الشبارلية عام 1787م من طرف الحاج خوجة المقاطعجي، كاتب القصر، ورغم ذلك لم تسم الزاوية باسمه وسميت بالشبارلية وكتشاوة وشيخ البلد، أي باسم المناطق المجاورة لها. وتتكون الزاوية من مسجد بمئذنة صغيرة وحجرات خاصة بالطلبة الأتراك العثمانيين ومراحيض ونافورات مائية وحجرة للطهارة بالماء البارد.⁽⁴⁾

- زاوية سيدي عبدالرحمن باش تارزي:

تقع الزاوية بمدينة القسطنطينية، وهي تنفتح على شارع رئيسي كان يربط بين سوق التجار ورجبة الصوف، وباب القنطرة، وهو ما عرف حالياً بشارع الأخوة عرفة، يترجح أنها بنيت في

(1) بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 70.

(2) أشرف صالح، المراكز الثقافية في دار السلطان...، المرجع السابق، ص 67.

(3) بلبروات بن عتو، المرجع السابق، ص 71.

(4) نفسه.

أواخر القرن الثالث الهجري/ الثامن عشر الميلادي و هو ما تشير إليه سجلات المحاكم الشرعية بتاريخ الفاتح من محرم 1209 هـ والتي تصادف 1794/ 07/ 29 كماوردت بتاريخ الفاتح من صفر 1209 هـ الموافق ل: 1794/09/28⁽¹⁾، وأسسها سيدي عبدالرحمن باش تارزي، وأقدم نقش منقوس عليها مؤرخ بسنة 1806م، وتعد هذه الزاوية لوحة فنية معمارية رائعة⁽²⁾.

- زاوية حنصالة:

تقع زاوية حنصالة في مدينة القسطنطينية في نهج رواق السعيد، رقم الباب 19، وكانت تعرف بزاوية الحنصالة، أو زاوية النجارين وحنصالة نسبة إلى الطريقة الصوفية وهي الطريقة الحنصالية، وأما النجارين فنسبة إلى سوق النجارين الذي كانت تنفتح الزاوية عليه، وليس هناك ما يفيد تاريخ إنشاء تلك الزاوية، وأكد الدكتور دحدوح أنها تعود لفترة سابقة عن حكم صالح باي، حيث إن أقدم ذكر لها جاء في الدفاتر الملحقه بأوقافه⁽³⁾.

- زاوية سيدي خليفة:

تعرف هذه الزاوية بالزاوية الحسينية، وموقعها على بعد 4 كم من غرب بلدية سيدي خليفة ولاية ميله، وتنسب الزاوية إلى الشيخ سيدي الحسيني بن الصالح بن أبي مُجَد، ويعود أصل عائلته إلى أشرف أحواز مراكش، ومنها انتقل جده الأدنى إلى قسطنطينية ودفن بها، وأسس تلك الزاوية عام 1805م⁽⁴⁾.

- الأضرحة والرباطات: قدرت الأضرحة بمدينة الجزائر وحدها ب: 32 ضريح أهمها ضريح

سيدي عبد الرحمن الثعالبي، سيدي بومدين، سيدي مُجَد الشريف الزهار، سيدي أحمد بن عبد الجبار المسعودي الذي جمعه علاقات حسنة مع العثمانيين، ضريح الشيخ أحمد بوعكاز بقسنطينة، سيدي أحمد الملياني الخروبي، الشيخ أحمد بن بوزيد الأوراسي، ضريح الشيخ موهوب بن مُجَد بن علي الزواوي⁽⁵⁾.

(1) سجلات المحكمة الشرعية بقسنطينة، أرشيف ولاية قسنطينة، ج2، 559، 563. نقلاً عن: عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، 1176.

(2) حنفاوي بعلي صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات و في الكتابات الغربية، دار دروب للنشر والتوزيع، 2018، ص: 209. دحدوح، المرجع السابق، ص1175.

(3) نفسه، المرجع السابق، ص: 1177.

(4) نفسه، ص1175-1179.

(5) عائشة غطاس، المرجع السابق، ص ص: 302-306.

اما الرباطات أشهرها : خلال الحكم العثماني برزت العديد من الرباطات في الجزائر، حيث لعبت أدواراً محورية في الدفاع عن البلاد، ونشر التعليم الديني، وتعزيز الفكر الصوفي. فيما يلي بعض من أبرز الرباطات التي كانت نشطة خلال تلك الفترة رباط وهران الذي أحياه الباي محمد الكبير سنة 1792 بعد تحرير وهران⁽¹⁾.

3/ إسهامات السلطة العثمانية في إنشاءها وتنظيمها:

اهتمام العثمانيون بالزوايا والأضرحة وخصوصاً الرباطات كان له دور كبير في انتشارها في أرجاء الجزائر، وليس من المبالغة في القول أن يقال أن العهد العثماني هو العصر الذهبي للطريق الصوفية في الجزائر، ويعود ذلك إلى الرضا من جانب العثمانيين عن الصوفية، حيث إنهم وقفوا بجانبهم في حربهم ضد الإسبان، كما كانت الكثير من الزوايا عبارة عن رباطات لإقامة الجند عند الحاجة والطلب، وبذلك تكون مُسخرة في خدمة الوطن، والدفاع عنه⁽²⁾.

إن كل العصور التي مرت بها الجزائر وخصوصاً فترة العهد العثماني كانت مدعمة لوجود الزوايا وانتشارها، فطيلة الحكم العثماني الذي إمتد على ثلاثة قرون لم يمس العثمانيون اللغة العربية ولا الدين الإسلامي بسوء، حيث إن العثمانيون يحملون نفس الديانة، و إحترموا المؤسسات الدينية التي وجدوها كالمدارس القرآنية و الزوايا ، بل عمل الأتراك على الإعلاء من اللغة العربية، فقد وصل الأمر ببعض حكامهم أن جعلوها متداولة رسمياً في إدارتهم وفي مناطق حكمهم وهذا ما فعله الحاج أحمد باي في الجزائر الذي كان شديد الحرص على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية⁽³⁾.

وما يدل على الدور العثماني الكبير في تأسيس الزوايا أنه في أواخر العهد العثماني قد تزايد عدد الزوايا بشكل واسع ، ففي تلمسان قد بلغ عدد الزوايا هناك أكثر من ثلاثين زاوية، وكذلك في تلمسان والمدن الكبيرة، مثل: وهران ومستغانم والجزائر العاصمة ، حيث فتحوا أبوابها للطلبة والمريدين من أجل أن يتلقوا العلم والمعرفة⁽⁴⁾. ومما ساعد على زيادة الزوايا في العهد

(1) ابن سحنون، المصدر السابق ، ص18.

(2) دحدوح ، المرجع السابق، ص 1169.

(3) أحمد عاشوري، الأصول السوسيوثقافية للزوايا في الجنوب الغربي للجزائر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2017م، ص 132.

(4) أحمد عاشوري، المرجع السابق، ص 133.

العثماني القيام بالإنفاق على الزوايا، من صيانة وإصلاح، وغير ذلك، ومنح الطلاب والمدرسين، رواتب كذلك القائمين على الزوايا والعبادة بالمساجد ويشمل هذا الأمر مختلف الموظفين .

وقد كانت مدينة القسنطينة تخصص منحة سنوية للطلاب من دخل الأوقاف تبلغ 36 فرنكاً وكان معظم هؤلاء الطلبة من السكان الذين يعيشون في الأقاليم وأعدت لهم زوايا خاصة قدرت بستة عشر زاوية وفي العاصمة ست زوايا لأجل هذا الغرض:

- ثلاثة لعرب الغرب.
- اثنان لعرب المشرق .
- وواحدة أعدت لإيواء المدرسين.

كل هذه الأمور تشير إلى اهتمام العثمانيين بالزوايا وإدراك دورها المهم في العملية التعليمية وفي نواحي الحياة⁽¹⁾.

كما اهتم العثمانيون ببعض الرباطات، حيث تعاونوا مع مؤسسيها وأولوها عناية خاصة وبحسب تعبير المؤرخين المعاصرين، فقد قاموا بإدارتها وتنظيمها بأسلوب غير مسبوق في تاريخها. ولحسن حظ التاريخ، تم تخصيص عدد من المؤلفات لتوثيق هذه الرباطات التي أحيها العثمانيون، حيث تطرق مؤلفوها إلى وصفها بشكل مفصل ومن بين هذه الأعمال، نجد كتاب الرحلة القمرية في الأخبار الحمديّة لمحمد المصطفى بن زرفة، والثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لأحمد بن سحنون، الذي تناول بتفصيل رباط وهران. كما تطرق عبد الرحمن الجامعي الفاسي في منظومته أرجوزة الحلفاوي إلى فتح وهران على يد باشا الجزائر محمد بكداش، موثقاً هذا الحدث التاريخي بدقة⁽²⁾.

و مما سبق يتضح أن الدولة العثمانية كانت صاحبة الضوء الأخضر في انتشار الزوايا بكثرة في الجزائر، وذلك لما يقدمه الصوفية من خدمات جليلة للحكام، ولما تقدمه تلك الزوايا من خدمات اجتماعية، وسياسية، وعسكرية، فقد كانت مسكناً للجند وقت الحروب والأزمات.

(1) بوسعيد عبد الرحمن، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، المرجع السابق، ص 51 - 53.

(2) المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 16، 17 .

4-الدور التاريخي للزوايا والأضرحة و الرباطات.

4-1 لمعرفة الدور التاريخي للزوايا يجب علينا ان نتعرف على أقسامها :

انقسمت الزوايا بالجزائر في العصر العثماني إلى التالي:

1-زوايا المرابطين :

وهي عبارة عن ملكية جماعية، وموارد الزوايا فيها عبارة عن أملاك محبسة على الطلبة وحاجياتهم، ولا يحق لأحفاد المرابط أخذ شيء من الزوايا، فكل التبرعات والهبات تعود للزوايا، وللطلبة وللفقراء والمحتاجين الذين يقومون بقصدها، أو تأويهم وليس لهذا النوع من الزوايا مريدون واتباع (1).

2-زوايا المشايخ :

وهي عبارة عن ملكية خاصة وصاحبها يكون في العادة صاحب طريقة صوفية له أتباع ومريدون وهؤلاء الذين يعملون على تمويلها، وذلك من خلال جمع التبرعات والزكاة والصدقات، ويقومون بتقديمها للشيخ من أجل أن يتصرف في هذه الموارد، فيقوم بإنفاقها على الطلبة وتوفير جميع ما تحتاجه الزاوية من متطلبات، وبعد موت الشيخ يخلفه أحد أفراد عائلته من أجل أن يرث المشيخة. (2)

3-زوايا الطلبة :

هذا النوع من الزوايا قليل جداً، وهو متواجد في مدينة الجزائر، وتختلف زوايا الشيوخ وزوايا المرابطين عن زوايا الطلبة، ففي زوايا الطلبة، الطلبة وحدهم هم الذين يتمتعون بالاستقلال في عملية التسيير وتدير شؤون الزاوية، ولا تخضع لشيخ أو مرابط ولا يخضعون إلا للنظام الذي تواضعوا على احترامه. (3)

كما قسمت الزوايا تقسيم آخر، وهو كالتالي:

- الزوايا البسيطة :

(1) عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني الجزائري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أدب شعبي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة

العربية وآدابها، جامعة الجزائر ، 2009م ، ص: 17.

(2) عبد القادر فيطس ، المرجع السابق ، ص : 17.

(3) نفسه .

وهي تلك الزوايا التي لم تبنى على ضريح، ولا تنسب إلى ولي، أو طريقة صوفية، وإنما هي عبارة عن مؤسسة تعليمية لا يعطيها صفة الزاوية إلا المبنى وما يحويه من المرافق.

- الزوايا ذات الولي:

وهي تلك الزوايا التي تم إنشائها حول ضريح قديم لولي، أو دفن بها وتشتهر باسمه، وغالباً ما توجد على الطرق الرئيسية.

- الزوايا الطرقية:

وهي فرع إقليمي، أو جهوى لزاوية أم، وتجمع بين نشر الطريقة الصوفية التابعة لها وإقامة شعائرها وتعليم وتحفيظ القرآن الكريم للمريدين.⁽¹⁾

- الزوايا المنسوبة:

وهي زاوية منسوبة إلى شخص ميت يحظى بتقديس عند العامة، ويحيون ذكراه، وهو مدفون بالزاوية وتنسب إليه، ويقوم العامة، والطلبة بزيارة الزاوية، من أجل البركة لا للتعليم، وهو ما يعرف بزيارة الأضرحة⁽²⁾.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الزوايا أقسام مختلفة، كل قسم له نظامه الخاص، وهذه الأقسام إجمالاً: زوايا المرابطين، والمشايخ والطلبة، وزوايا تعليم العلوم، والزوايا البسيطة، والزوايا ذات الولي، وزوايا الطرق، وهذا التنوع إن دل فإنما يدل على الضوء الأخضر الذي حظيت به هذه الزوايا، وعدم التضيق في إنشائها، مما يدل على الرضا عما تقوم به من أنشطة، وما تقدمه من خدمات للدولة العثمانية، وأنها لا تقوم بأي دور معارض.

4-2 أنواعها :

الزوايا بالجزائر في العهد العثماني تنوعت إلى أنواع عديدة، باعتبارات عدة، وهي كالتالي:

أولاً: أنواع الزوايا من حيث الدور الذي تقدمه:

1-زوايا العلم:

(1)الصادق أُمّجّد السنوسي، النظام التعليمي داخل الكتاتيب والزوايا في ليبيا، مجلة جامعة سرت العلمية - العلوم الإنسانية، جامعة سرت - مركز البحوث والاستشارات، مج 6 ع 2، 2016م، ص: 12 - 13.

(2)الطيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، ع 14، 2013م، ص 18

وهذا النوع من الزوايا يهدف إلى عبادة الله تعالى، حيث يتم في تلك الزوايا تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الحديث، والفقه، وبعض المتون الدينية واللغوية، ونشر القيم الإسلامية ومؤسسو هذه الزوايا هم شيوخ دين وتربية لهم مكانتهم الروحية ووزنهم الاجتماعي، وكانت التربية هي أرضية التعليم والسلوك القويم لأهل طرق التربية والتعليم؛ لذلك حرص شيوخ هذا النوع من الزوايا كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم. كما كانت هذه الزوايا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم، والفنون، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالنسخ والنقل، والتأليف والجمع ونشر الدين الإسلامي في الأماكن التي يصلون إليها خصوصاً في الأقاليم الصحراوية النائية⁽¹⁾.

2-زوايا السحر والشعوذة:

وهذه الزوايا تمارس فيها أعمال السحر والشعوذة، ويدرس فيها الفكر الخرافي بكل ما يحمل من دجل، حيث يستغل شيوخها تلك الزوايا ويستعملونها في محاربة الدين والدولة؛ من أجل محاولة هدم القيم الإسلامية؛ بهدف إعاقة الأمة الجزائرية والعمل على مسحها.⁽²⁾

وهذه الزوايا تقام فيها الأعمال التي تجرى في غالبها على الرقص وما يتبعه من التصفيق، وضرب الدفوف واللعب بالنار، وهذا النوع من الزوايا هو الذي جلب إلى الزوايا الصالحة الأذى والتجني عليها، فأصبح في ذهن الكثير من عامة الشعب أن لفظ زاوية تعني مزيجاً من الرهبانية. ومن سلبيات هذه الزوايا عدم احترام الخلافات والخصومات بين بعض شيوخ، حيث تنور الخلافات حول بعض القضايا الهامشية، وفي بعض الأحيان في أغراض شخصية حول النفوذ والمكانة الاجتماعية، وامتداد هذا الخلاف إلى الأتباع والمريدين بالإضافة إلى استسلام وتواطؤ بعض شيوخ الزوايا.⁽³⁾

ثانياً: أنواع الزوايا من حيث تسميتها:

- 1-زوايا تنسب إلى أشخاص متوفون لهم صيت واسع وكبير عند أهل المنطقة التي دفنوا فيها .
- 2-زوايا تنسب إلى المكان الذي وجدت فيه .
- 3-زوايا تنسب إلى طريقة من الطرق الصوفية.

(1)المسخ: تحويل الشيء عن صورته. الخليل بن أحمد، المصدر السابق، مج: 4 ن ص:206.

(2)عبد القادر فيطس، المرجع السابق، ص 18.

(3) طيب جاب الله، المرجع السابق، ص 140.

ثالثاً: أنواع الزوايا باعتبار الانتساب إليها:

1-زوايا المرابطين.

2-زوايا المشايخ.⁽¹⁾

رابعاً: أنواع الزوايا باعتبار الإطار المكاني الموجودة فيه:

1-زوايا الأرياف :

وهي تلك الزوايا التي تكون مبنية حول المرابط غير المعروف، ويوجد القبر في مكان تقطنه إحدى القبائل، وفي هذا المكان أحفاد المرابط، وهذا المكان يطلق عليه زاوية، وتكون لهذه الزاوية أوقاف كبيرة من الأراضي، والبساتين التي تقوم بإطعام الفقراء والضيوف، وحق الزاوية هو العشر، ومن العادة أن القائم على الزاوية هو حفيد المرابط، ومن احتفى بها فهو آمن، ومن مهامها التعليم، ولا يقوم المرابطون، ولا أحفادهم بالأعمال اليدوية؛ لأنهم مختصون بالتعليم وتربية الأطفال⁽²⁾.

2-زوايا المدن:

الزاوية في المدينة عبارة عن بناية كبيرة من أجل إيواء الفقراء، والعلماء، والطلبة، والغرباء أو عابري السبيل وتتوفر فيها الإضاءة والماء، وقد تصبح الزاوية في بعض الأحيان مدرسة عليا حيث تخصص لها ويلحق بها مدرس شهير من أجل تدريس العلوم العالية وتحمل الزاوية اسم مؤسسها أو الحي الموجودة فيه.⁽³⁾

3-زوايا الواحات والصحاري.

4-زوايا الجبال.⁽⁴⁾

ومن خلال ما سبق يتضح أن الزوايا في العهد العثماني بالجزائر عرفت أنواعاً عدة، وقد تنوعت باعتبارات مختلفة، منها أنواع حسب الوظيفة، وحسب المكان الذي وجدت فيه، و تنوعت حسب التسمية، وهذا التنوع إن دل على شيء فإنما يدل على غنى الجزائر بالزوايا في العصر العثماني، وتوفر التمويل اللازم لها، وحظيها بمكانة بين الناس، كما يُقر على الأدوار

⁽¹⁾ عبد الله رزوقي، المرجع السابق، ص 121.

⁽²⁾ طيب جاب الله، المرجع السابق، ص 139.

⁽³⁾ نفسه.

⁽⁴⁾ عبد الله رزوقي، المرجع السابق، ص 222.

العلمية والاجتماعية الهامة التي تقوم بها ، أما الرباطات فهي شبيهة بها ، وكانت قلاعاً و حصوناً ومدارس متنقلة وتأسسها يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد و الدفاع عن حدود الإسلام مع مهمة نشر العلم مثل :زواية الشيخ محمد بن علي المجاجي التي إشتهرت بكونها زاوية و مدرسة ورباطاً .⁽¹⁾

4/ دور الزوايا و الأضرحة والرباطات في التعليم بالجزائر في العهد العثماني:

الزوايا من المؤسسات والمراكز التعليمية الهامة في الجزائر العثمانية، وهناك تداخل في المهام بين المسجد والزوايا و الأضرحة والدور الذي لعبته ، فقد لعبت الزوايا دوراً كبيراً في العملية التعليمية في العهد العثماني، واحتلت في ذلك مركزاً مرموقاً، حيث كانت مركزاً لتعليم الفقراء والمساكين من أبناء الشعب الجزائري⁽²⁾ وساهمت في نشر العلوم الدينية واللغوية، وتعليم القرآن الكريم، فضلاً عن دورها في الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للشعب الجزائري.

بدأت الزوايا تابعة لمسجداً للصلاة، تقام فيه الصلوات، ثم تطورت فأصبحت منارة العلم وفي نفس الوقت هي مأوى للطلاب ينام به الطلبة وبيت مجاور للشيخ وأسرته، ثم بدأت تتوسع ويزداد عمرانها حتى أصبح لها المسجد وقاعات التدريس ومنازل وقاعة العلاج والتداوي وذلك لكون شيوخ الزاوية كانت لهم حكمة علاج عدة أمراض منها عرق النسا والروماتيزم وغيرها من الأمراض .⁽³⁾

قامت الزوايا بدور كبير في تحفيظ الناشئة القرآن الكريم ونشر التعليم، وتعليم الإسلام في المناطق النائية ، كما ساهمت بنصيب كبير من خلال دورها التعليمي في إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات المختلفة وإنهاء الخصومات والخلافات بينها وذلك بفضل مركز شيوخها ومقدميها ووكلائها فلعبت دور الحكم وقللت من المشاكل.

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص : 272 ، 273 .

⁽²⁾ أشرف صالح محمد، المرجع السابق ، ص 67.

⁽³⁾ الزين محمد، المرجع السابق، ص 73 – 75.

ولقد كان الأثر التعليمي لزوايا في الريف أكثر منه في المدن، حيث لعبت الزاوية في الريف دوراً كبيراً، وأكثر إيجابية عن الزاوية في المدينة⁽¹⁾، وتظهر إيجابية دور الزوايا في التعليم فبالإضافة إلى وظيفتها الدينية كانت معاهد من أجل تعليم الشبان وتنوير العامة .

لقد سجلت الزوايا القرآنية صفحة تاريخية مهمة في الجزائر، وتاريخها السياسي والثقافي والديني يثبت هذا على الدور العظيم الذي قدمته الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع الجزائري منذ نشأتها⁽²⁾.

ومما يؤكد دور الزوايا في التعليم أن بعض الزوايا قد اشتهرت حتى أصبحت مكاناً للطلبة والزوار ومن بينها:

- زاوية خنقة سيدي ناجي.
- خلوة عبد الرحمن الأخضر.
- زاوية القيطنة التي تعد من الزوايا الهامة في الجزائر، وقد لعبت دوراً بارزاً في المجالين الديني والتعليمي.
- زاوية ابن علي الشريف.
- زاوية محمد ابن علي المجاجي التي اشتهرت بكونها زاوية ومدرسة ورباطاً⁽³⁾.

ومن الزوايا التي لعبت دوراً مهماً في نشر التعليم في غير العاصمة: (زاوية الفكون في قسنطينة، وزاوية مازونة، وزاوية عين الحوت بتلمسان، وزاوية محمد التواتي ببجاية)⁽⁴⁾.

إن من أهم أعمال الزوايا في أوقات السلم هو التربية والتعليم فإلى جانب القيام ببعض أعمال الخير كإطعام المساكين وإيواء ابن السبيل، كانت تقوم بتعليم الأخلاق الحميدة من خلال كتاب الله تعالى الذي يتلى ويحفظ وتبذل الجهود وإن كانت تلك الجهود محدودة من أجل فهم آياته خصوصاً، واتخذت الزوايا من القرآن الكريم والسنة النبوية منهجاً للتعليم، وإن كان هذا التعليم يقتصر على الدين واللغة العربية والتربية الروحية والخلقية فإنه عبارة عن القاعدة التي ترسى عليها

(1) بكار رشيد، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2013م، ص 190 – 191.

(2) الطيب جاب الله، المرجع السابق، ص 18.

(3) أبي العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، رسائل المقرئ، ط 1، تح: أسماء القاسمي، دار الخليل، الجزائر، 2008، ص: 62.

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 268 – 269.

حياة الفرد والمجتمع في هذه الزوايا. و لها دور كبير في حفظ المتون في شتى العلوم والفنون الشرعية والعربية، من فقه، وتفسير، وصرف ونحو إلى آخره. (1)

لقد استطاعت بعض الزوايا بفضل جهادها وصمودها في وجه الغزاة أن تتحول إلى دول وممالك، حيث ساهمت مساهمة كبيرة في محاربة الجهل، والأمية، ونشر التعليم العربي، والإسلامي، وإخراج أجيال من المثقفين والمتعلمين حتى أنه لم يبق بين أبناء الجزائريين من يجهل القراءة والكتابة، وكانت الزوايا بتعاليمها القرآنية الحصن الحصين للشخصية الجزائرية، ومدرسة استطاعت حسب إمكانياتها المحافظة على قيم وعادات، وتقاليده، وأفكار الشعب الجزائري، وذلك من خلال المواد التعليمية التي تقوم بتقديمها للطلاب، كما استطاعت أن تقاوم الاستعمار من خلال تعليمها الإسلامي (2).

قامت الزوايا بدور كبير في تعليم الفكر الصوفي وترسيخه في النفوس، فلقد تغلغل التصوف في الأجيال المتعددة للجزائر، فقد جعل الإيمان الشعبي في هذه البلاد شديد الارتكاز على مبدأ تكريم الأولياء، مما يدل على انصبغ كافة مرافق الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الجزائرية بالصبغة الصوفية المرباطية حتى أنه يمكن القول بأن تاريخ الجزائر الإسلامي هو تاريخ صوفي.

وتعتبر الزوايا مراتع للعقل ففضلاً عن وظيفتها الأساسية التي تتمثل في خلق أجواء روحانية تساعد على الخلوة والتأمل الصوفي كانت الزوايا تقوم بوظائف حيوية في مجالات العلوم النقليّة والعقلية كعلوم الحديث والقرآن، والحديث من حفظ، وتلاوة وتفسير وترتيل وقراءات إلى جانب الفقه، والتوحيد والعلوم اللسانية كالبيان، واللغة والشعر والنثر، والسماع والعلوم الخفية وبذلك تكون الزوايا مركزاً لتعليم كافة فروع العلم من علوم شرعية، ولغوية، وفلسفية. حيث تجسد الزاوية تعبيراً حياً عن حالة تأملية تنبع عن روحانية تلقائية فهي تعمل على عملية تغيير محيط المؤمن وتمكينه من الارتقاء إلى السماء. (3)

كما كانت الزوايا في العهد العثماني مؤسسة تعليمية تربوية تعمل على تربية المريدين، وتعليمهم، ونشر التعليم العربي الإسلامي بين الجماهير، وبث مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومحاربة

(1) طيب جاب الله، المرجع السابق، ص 147.

(2) صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، مكتبة الشرق، د.ط، د.ت، ص 311 - 312.

(3) زعيم خنشلاوي، التصوف في تاريخ الجزائر، مجلة البحث العلمي والأكاديمي، ع 26، 2010م، ص 218 - 219.

الجهل والأمية، والآفات الاجتماعية، التي كانت أحد الأسباب المباشرة الكامنة خلف تخلف المسلمين وانحطاطهم على جميع الأصعدة⁽¹⁾.

فلعبت الزوايا دور المؤسسة التعليمية التربوية في جميع مراحلها من مرحلة الكتاب إلى المدرسة إلى المسجد الجامع، حيث إنها كانت تقدم دروساً في كافة الفنون، وتخرج منه العديد من العلماء الأجلاء، و الزوايا على الرغم من ضعف التعليم فيها إلا إنها بفضل تلك الجهود الجبارة وأنشطتها المستمرة في مختلف أرجاء البلاد حافظت على استمرار التعليم الإسلامي، وكانت محط أنظار الطلاب، فقد قصدوها من أجل التعليم من كل مكان، وبلغ عدد طلاب بعض الزوايا الألف طالب⁽²⁾.

ومما يؤكد دور الزوايا العظيم في مجال التعليم ما قاله العلامة المصلح الأستاذ باعزيز بن عمر في محاضرة ألقاها بنادي الترقى بالجزائر العاصمة قال -بعد أن قسم الزوايا إلى مدارس ابتدائية وثانوية ومعاهد علمية-: "أسست من أجل قراءة القرآن وما إليه من العلوم الموصلة إلى استخراج العديد من الكنوز وأسرارها، وقد ظهرت العديد من الزوايا في المدن الكبرى كالجزائر العاصمة ووهران وقسنطينة ووهران فمن بين هذه الزوايا الهامة في مدينة الجزائر زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الزواوي وهو صاحب المنظومة الجزائرية وكانت زاويته تشتمل على بيوت للعلماء وتقع بنهج الأندلس بالجزائر وتقع بسوق السمن في الجهة السفلى من نهج الباي الجديد وقد أسست هذه الزاوية عام 1623 م".⁽³⁾

يتبين مما سبق الدور العظيم الذي قامت به الزوايا في التعليم، فقد كانت منارة لحفظ كتاب الله تعالى، وتعليمه، كما حافظت على اللغة العربية من الاندثار، واستطاعت القضاء على الجهل، والأمية، وحافظت على الشخصية الجزائرية، وعلمت الناس الشعائر الدينية، بل كانت مصدرهم في الحصول على الفتوى، وكانت صمام الأمان لاستمرار التعليم في الجزائر وتخرج العلماء الذي كانت لهم بصمة في الجزائر وخارجها، كما كانت مقصد الطلاب من جميع البلدان يقصدونها يتلقون فيها العلوم اللغوية، والشرعية، والفلسفية، وسائر المعارف، كما حوت الكثير من المخطوطات، والتي كانت بمثابة الغذاء العلمي لطلاب العلم، يوسع مداركهم، وينمي

(1) صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 304.

(2) نفسه، ص 311.

(3) نفسه، ص 311.

أفكارهم، ويوقفهم على طرق التأليف، والكتابة في العصور السابقة لهم، وطرق مناقشة القضايا والمسائل في سائر العلوم والفنون، وفي النهاية فإن الزوايا كانت مشعل التعليم في الجزائر في العهد العثماني، والذي أነعت ثماره فيما بعد.

لعبت الرباطات دورًا أساسيًا في حماية الثغور الإسلامية من الغزوات الخارجية، خاصة خلال الفترات التي شهدت صراعات مع القوى الأوروبية، مثل الحملات الصليبية والهجمات الإسبانية والبرتغالية على سواحل المغرب العربي. كان المجاهدون المرابطون يقيمون فيها استعدادًا للقتال، مما جعلها حصونًا دفاعية متقدمة

ويمكن تلخيص الدور التعليمي للزوايا والأضرحة و الرباطات فيما يلي:

لعبت الرباطات دورًا أساسيًا في حماية الثغور الإسلامية من الغزوات الخارجية، خاصة خلال الفترات التي شهدت صراعات مع القوى الأوروبية، مثل الحملات الصليبية والهجمات الإسبانية والبرتغالية على سواحل المغرب العربي. كان المجاهدون المرابطون يقيمون فيها استعدادًا للقتال، مما جعلها حصونًا دفاعية متقدمة. في فترات السلم، وتحولت الرباطات من مراكز دفاعية إلى مؤسسات تعليمية ودينية، حيث لعبت دورًا بارزًا في نشر المعرفة وتعليم العلوم الإسلامية وأصبحت هذه الرباطات أماكن لتعليم القرآن الكريم، الفقه، الحديث، والتصوف، كما استقطبت العلماء والطلاب الذين وجدوا فيها بيئة مناسبة للتحصيل العلمي والتأمل الروحي. أما ما يتعلق بدور الزوايا يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

- 1- أن الزوايا تأسست على التصوف.
- 2- الزوايا قد جمعت بين التصوف والعلم.
- 3- الزوايا أحد أدوات حفظ القرآن الكريم وتعليمه للناس.
- 4- قصدتها العلماء والطلبة .
- 5- كانت تقوم بتلقين العلم وتعمل على نشر الثقافة العربية.
- 6- كانت تقوم بتدريس التفسير والحديث.
- 7- وظيفتها العلمية كانت دائماً في عملية مستمرة ومتزايدة.
- 8- ساهمت الزوايا في إنعاش الحركة العلمية.

- 9- بعض الزوايا كانت خزائن من أجل الكتب والمخطوطات النادرة ، كما أنها حوت أيضاً على عدد كبير من المصنفات في شتى فنون العلم كالتفسير والحديث والفقه والتصوف وغيرها.
- 10- ساهمت الزوايا في ترسيخ اللغة العربية وتعميق معرفة الناس بشؤون دينهم .
- لقد كان لخزائن الكتب في الزوايا الدور الكبير في حياة طلبة العلم و العلماء.⁽¹⁾
- 11- لقد لعبت المؤسسات الدينية، كالزوايا دوراً ريادياً في الإمساك بزمام أمر التعليم في الجزائر ولولاها لما حصل ذلك الجيل من الجزائريين من المعارف ما أتاح للبلاد استمرارها الثقافي، وامتدادها الحضاري⁽²⁾.

المبحث الرابع : المعمرات بالجزائر في العهد العثماني.

1/ مفهوم المعمرات لغة واصطلاحاً:

- المعمرات لغة :

أعمر الأرض: عمرها، أصلحها لتعمرها، وعمر الرجل عمراً، أي عاش زمناً طويلاً⁽³⁾، وعمر المال صار كثيراً وافراً، وعمر الله فلاناً أبقاه وأطال حياته، وعمر الدار بناها، وعمر القوم المكان سكنوه.⁽⁴⁾

- المعمرات اصطلاحاً:

عرفها الغبريني بأنها: معاهد لا هي بالزوايا، ولا هي بالرباط في بلاد زواوة قد أطلق عليها اسم (المعمرة)، فهي عبارة عن معاهد لتعليم القرآن الكريم وحفظه إضافة إلى تدريس كافة مختلف الدروس الفقهية ومختلف العلوم.⁽⁵⁾

وتعرف المعمرات بأنها عبارة عن مؤسسات ثقافية تشبه كثيراً الكتاتيب القرآنية كانت منتشرة بكثرة في الأرياف الجزائرية والقرى الجبلية خلال العهد العثماني، حيث ينتقل إليها التلاميذ من أجل حفظ القرآن الكريم وتعاليمه وترتيله مع إضافة علوم دينية ولغوية تسير هذه المعمرات،

(1) عبد الله رزوقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، 2017م، ص 115 - 116 .

(2) صليحة بردي، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني ، المرجع السابق، ص 131.

(3) أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 2: 1551.

(4) المعجم الوسيط ، ج 2 ، ص: 626.

(5) أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تح : عادل نويهض ، ط 2 ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 1979 ، ص :

وكان يتم من طرف التلاميذ الدارسين بها من حيث القيام بالأعمال المتعددة فيها من أعمال النظافة والصيانة .⁽¹⁾ كما عرفت بأنها: عبارة عن معاهد دينية من تم إنشائها من أجل تعليم القرآن الكريم وانتشرت عموماً بمنطقة القبائل خصوصاً بعد الاحتلال الإسباني لها فهي في عادة الأمر تشبه الكتاتيب القرآنية أحياناً وتشبه الزوايا أحياناً أخرى "غير خلواتية"⁽²⁾ وكثيراً ما آزرت الرباط في الحروب .⁽³⁾

وحسب رأينا من خلال هذه الدراسة فالمعمرات في الجزائر خلال العهد العثماني لم تحظى بتوثيق كافٍ في المصادر التاريخية، وربما يعود ذلك إلى تداخل مفهومها مع مصطلح الزاوية حيث كانت كلا المؤسساتين تؤدي أدواراً دينية واجتماعية متشابهة، مما أدى إلى الخلط بينهما في الكثير من الأحيان.

- الفرق بين الزاوية والمعصرة:

هناك فرق بين المعمرات والزوايا، ويتضح ذلك مما يلي:

1- المعمرات لها نظام داخلي محكم، والزوايا ليست كذلك.

2- المعمرات لها أوقاف خاصة بها.

3- الزوايا تخضع لشيخ الطريقة أو مقدمها .

4- يتولى قدماء الخريجين فيها مهمة الإصلاح.

5- التلاميذ في المعمرات ينقسمون إلى طبقات، بخلاف الزوايا⁽⁴⁾.

وبذلك يتضح أن المعمرات نوع من المؤسسات التعليمية الأهلية، تختلف عن المؤسسات والمراكز التعليمية الأخرى، كالمسجد، والكتاتيب، والزوايا، فهي نوع خاص من أنواع المراكز التعليمية له نظام معين.

(1) رشيدة شدرى معمري ، المرجع السابق، ص61.

(2) تنقسم الزوايا في الجزائر إلى نوعين رئيسيين: زوايا حرة لا تنتسب إلى ولي أو طريقة صوفية، ويتولى إدارتها مجلس يتألف من الطلبة، وزوايا خاضعة لإشراف الشيخ المؤسس أو خلفائه، حيث يتبع تسييرها نهجاً أكثر تقليدية. كما تصنف الزوايا إلى خلواتية وغير خلواتية؛ فالزوايا الخلواتية يتميز شيوخها بادعاء المعرفة بالأسرار الغيبية، وهم مريدون وأوراد خاصة بهم، بينما لا يدعي شيوخ الزوايا غير الخلواتية امتلاك هذه المعرفة، ومع ذلك، فإن لكلٍ منهم أوراداً محددة يتبعونها.

(3) رشيدة شدرى ، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية (1518 - 1830 م)، مجلة معارف، ص11، ع20، 2016م، ص 102. ينظر : المهدي البوعبدلي، الرباط والفدا في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأضالة، ع: 13، 1973، ص: 18 .

(4) رشيدة شدرى، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر..، المرجع السابق ، ص61.

2/ أنواع المعمرات بالجزائر في العهد العثماني.

المعمرات يجب النظر إليها على أنها عبارة عن مشروع جماعي قد اشترك فيه سكان الجزائر وساهموا في عملية إعاقته وتمويله، والسهر عليه ثم قاموا بتوزيع الأدوار بينهم فكان هنالك أدوار عديدة نذكر منها :

- الدور الجماعي: وهو دور الجماعة بالمعنى الإداري القديم .
- دور لأهل القرية .
- دور للمرابط وآخر للمعلم.
- دور للأسرة .

وتعتبر البلاد الجزائرية كغيرها من الأقطار التي قطعت أشواطاً كبيرة، وتجارب كثيرة في مسار الحركة العلمية وتنميتها خلال العهد العثماني من خلال إقامة وإصلاح العديد من المؤسسات والمراكز العلمية في أرجاء مدنها عامة، وبابليك الغرب خاصة، فقد شهد هذا الأخير خلال الفترة الممتدة من 1700 – 1830م العديد من التحولات التي مست كافة المجالات في الحياة بما في ذلك الحياة الثقافية والعلمية.⁽¹⁾

والمعمرات أنواع متعددة، وهي كما يلي:

وقد عرفت الجزائر في العهد العثماني أنواع متعددة من المعمرات منها:

1-معمرات القرآن .

2-معمرات الفقه .⁽²⁾

- معمرات القرآن :

حين درس المستشرقان الفرنسيان كلود هنتو (Claude Hanoteau) وأرماند لوتورنو (Armand Letourneux) المعمرات في منطقة القبائل وجد على الأقل تسعة عشرة معمرة متخصصة في الدراسات القرآنية، وتشمل هذه الدراسات: القراءات السبع التوحيد، والرسم واللغة العربية من صرف ونحو. وكما تشمل الآجرومية لمحمد بن داود الصنهاجي ، والألفية لابن مالك ، والعروض ن بالإضافة لعلوم الحساب

⁽¹⁾ سعدية رقاد، المرجع السابق ، ص 123.

⁽²⁾ ارجع الى كتابهم حول :بلاد القبائل و الأعراف القبائلية.

والفرائض والفلك ، وبذلك تكون المعمرات نوع من المراكز العلمية المتقدمة، والتي تهتم بالعلوم الدقيقة، كعلوم القراءات، وعلوم النحو والصرف، والعروض، إلى جانب اهتمامها بالعلوم الحسابية والفلكية.⁽¹⁾ وكان المدرسون معهم مساعدين من طلبته القدامى والذين تقدموا في دراستهم على يديه، فساعات التدريس والراحة الأسبوعية والعطلات السنوية هي نفسها التي كانت تطبق على تلاميذ التعليم الابتدائي في المدارس القرآنية، وكانت ظاهرة الحفظ هي التي تميز التعليم في هذه المعمرات، فالمطلوب من التلميذ حفظ النصوص، التي يقوم المدرس بتكليفهم إياها، وليس فهمها.⁽²⁾

معمرات الفقه :

ومن أبرز معمرات الفقه:

- معمرة آيت سيدي محمد أو الحاج في آيت
- معمرة آيت عمر في تمازيرت ببني ايراثن .
- معمرة زاوية الشرفة .
- معمرة القواضي .
- معمرة جمعة الصهريج ، في آيت فراوسن .
- معمرة آيت الحاج .

وسواء كانت هذه المعمرات قرآنية أو معمرات فقهية، فليس هناك سن معينة لدخوله، وأما مدة الدراسة فيها فتتراوح بين خمس سنوات إلى عشر سنوات وتكون في عادة الأمر أطول في معمرات القرآن منها في معمرات الفقه و ينقسم فيها الطلبة إلى فئتين فئة : القدادشة أو الأطفال الصغار ، وفئة : الطلبة الأكثر سنا ، و الفئة الثالثة و الأخيرة : هي فئة المقدمين و الوكلاء و المشايخ .⁽³⁾

وإذا لم يكن للطالب عائلة قريبة منها فإنه يقضى شطراً كبيراً فيها وهنالك يتقدم به السن حتى يصل إلى الهرم حتى يتوفاه الله سبحانه وتعالى .⁽⁴⁾

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، 201 - 202.

⁽²⁾ نفسه .

⁽³⁾ أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص : 20.

⁽⁴⁾ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص : 205 .

مما سبق يتضح أن المعمار الفقهية بالجزائر في العهد العثماني نوعان:

معمار قرآنية، ومعمار فقهية، كما أن المعمار سواء كانت قرآنية أو فقهية ليس لها سن محدد لدخولها، ويمكن أن يبقى فيها الإنسان إلى أن يموت، كما يتبين أن المعمار مدارس متقدمة، تهتم بتدريس العلوم المتخصصة وفروعها الدقيقة.

3/ دور السلطة العثمانية في إنشاء المعمار:

المعمار في الجزائر خلال العهد العثماني لم تحظ بتوثيق وافٍ في المصادر التاريخية، مما يجعل من الصعب تحديد مدى مساهمة العثمانيين بشكل دقيق. ومع ذلك، يمكن استنتاج دورهم من خلال انتشار هذه المعمار واستمرارها في أداء وظائفها الاجتماعية والدينية والتعليمية. حيث أن التعليم لم يكن للسلطة العثمانية دخل فيه حيث كانت هدفها في هذه الفترة المحافظة على الاستقرار السياسي للبلاد، فلم يكن لها سياسة للتعليم ولكن كان هناك استثناء في محاولة بعض البايات في الغرب الجزائري، أمثال: محمد الكبير وصالح باي، أما المعمار في بلاد القبائل خلال العصر العثماني المعلومات عنها شحيحة عكس الفترة التي تليها. والتعليم كان خاصاً ويقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية، فالآباء هم الذين كانوا يسهرون على تعليم أطفالهم وكانت الأوقاف والصدقات والنفقات الخاصة تقوم بالتكفل بتغذية التعليم وليس ميزانية الدولة.⁽¹⁾

وربما كان إنشائها انطلاقاً من العناية بالقرآن الكريم الذي تكفل الله تعالى بحفظه، فقال تعالى: ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))⁽²⁾. حيث تعتبر المعمار وسيلة من وسائل حفظ القرآن الكريم؛ لما تقوم به من جهود كبيرة في تحفيظ كتاب الله تعالى. ولقد نالت الجزائر حظاً وفيراً في ذلك الوقت من العلماء، الذين منهم من كانت لهم حظوة من تلك الجهود المباركة المتعلقة بخدمة كتاب الله تعالى وإنشاء المؤسسات التعليمية والعلمية له من زوايا وكتاتيب ومعمار.⁽³⁾ ولعبت المعمار دور كبير في الحركة التعليمية في بلاد القبائل الصغرى والكبرى.⁽⁴⁾

(1) خيرة بن بلة، وكرمة فيلولة، الحركة التعليمية ومراكزها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات الأثرية، ع1، مج17، د.ت، ص 84.

(2) سورة الحجر، الآية: 9.

(3) جيلالي الحيرش، واقع القراءات القرآنية في الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدراسات الإسلامية، ع11، 2018م، ص 455 – 456.

(4) سعدية رقاد، المرجع السابق، ص 98.

احتلت في نفوس الناس مكانة هامة فمن خلالها كان يتم تعلم القرآن وإيواء الفقراء وتخرج منها أجيال من المثقفين ، ويكفي فخراً ما قيل عن الجزائر :قول الرحالة الألماني فيلهلم: لقد بحثت قصداً عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه في حين أنني وجدت ذلك في بلدان أوروبا فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب.⁽¹⁾

وعلى الرغم من قلة البيانات والمعلومات حول المعمرات ودور العثمانيين في إنشائها إلى أنه يمكن إبراز دور العثمانيين من خلال انتشار تلك المعمرات، والتي يستشف منها الدور العثماني من خلال ما يلي:

- انتشار المعمرات بهذه الصورة المكثفة دليل على عدم إصدار القوانين التي تمنع إنشاءها، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وعدم التضيق عليها، كل ذلك يساهم بصورة كبيرة في انتشار المعمرات، والتوسع في بنائها.

و نستنتج مما سبق أن العثمانيين لم يضع قيوداً على إنشاء هذه المؤسسات العلمية في بلاد زوواة وهذا الأمر يزيل ، نوعاً ما ، ما تعرضت له الدولة العثمانية من إنتقادات و مساهمتها في حركة الركود الثقافي ويلقي اللوم على العنصر المحلي الذي كان دوره غائب ،و كان سبباً في غياب الإبداع العقلي وحلقة من حلقات الجمود الفكري خلال الفترة العثمانية، كما يمكن مما سبق قراءة دور العثمانيين في إنشاء المعمرات من خلال سماحهم بالوقف على المعمرات، سواء كان إنشاء، أو تطوير وصيانة، أو نفقات الطلاب والمعلمين.

4/ أهم المعمرات ودورها بالجزائر في العهد العثماني.

من أهم المعمرات بالجزائر في العهد العثماني :

-معمره سيدي مخلوف بمزنية .

-معمره تاويرث أنتفرق بجبال ثقر ف .

-معمره إقليم بإيث جماتي قرب بني ورتلان .

-معمره ثالمات قرب بني ورتلان .

⁽¹⁾ محمد طاهيري النظام التعليمي ومسألة الهوية بالجزائر ، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور - الجلفة، 2019م، ص 191 - 192. ينظر: عطلاوي عبد الرزاق، المرجع السابق ، ص37.

-معمرة زرعة بأولاد دحالة .

-معمرة سيدي أحمد الشريف الحسني ببني عشاش قرب بني ورتلان .

-معمرة فريجة قرب بني ورتلان .

-معمرة أنو ببني ورتلان لجد الحسين الورتلاني صاحب الرحلة .

-معمرة أمالو، وتدعى بمعمرة سيدي أويحي بواد الصومام.

-معمرة يحي العبدلي بثاموقرة في بني عبدل .

-معمرة الشيخ أبو داوود بحوض الصومام .⁽¹⁾

-معمرة سيدي عبد الرحمن :

وهى عبارة عن معمرة موجودة في إيلولن أومالو، وقد مات عبد الرحمن دون أن يترك وراءه ورثة أو ترك وصية وعليه بقيت معمراته بين أيدي الطلبة الذين كانوا يقومون بتشغيلها وقد استمروا في إدارتها كما في أيام مؤسسها واستمرت الملكية بعدهم يتم نقلها بالوراثة من جيل إلى جيل إلى يومنا هذا .

- معمرة فريجة ببني ورثيلان :

يحتوى مسجد القرية على طابقين طابق أرضى تم تخصيصه للمدرسة القرآنية وطابق علوي تم تخصيصه للصلاوات الخمس والدروس، ويتصل بالمسجد فرع من زاوية سيدي يحي، أو موسى تستقبل الطلبة الغرباء، وتضمن لهم حسن المعيشة وتنفق من دخل أحباسها ولا ينصرف التلاميذ من المسجد حتى يقومون بحفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً.⁽²⁾

- معمرة أودريس ومعمرة الحد :

لم تكن معمرة إودريس الغربية وحدها في بلاد القبائل فقد كانت توجد في قرية آث يرانن معمرة أخرى اسمها " ثمعمرث " قائمة على نفس القواعد التي تأسست عليها معمرة أودريس حيث كان الطلبة ينقسمون إلى فئتين مختلفتين كل الاختلاف

⁽¹⁾ يحي بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، المرجع السابق ، ص39.

⁽²⁾ معيوف زهية، وقاسي زهية، الشبكة العلمية لمنطقة زواوة خلال العهد العثماني (1519م - 1830م)، رسالة ماستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أكلي محند أولحاج، الجزائر، 2019م، ص 46.

وطلبة اللوحة يسمون " ثيلوحين " يتبعون الدروس ولا يختلفون في شيء عن غيرهم من الطلبة المنتمين إلى المؤسسة التعليمية ، فهناك طلبة أودبوز يعنى طلبة قبضة اليد وهم لا يكثرثون بالدروس ولا هم لهم غير السرقة والسطو.⁽¹⁾

- دور المعمرات في الحياة التعليمية في العهد العثماني:

لعبت المعمرات في العهد العثماني دوراً بارزاً في الحياة التعليمية، فلقد كانت المعمرات عبارة عن معاهد دينية من أجل تعليم القرآن الكريم والعلوم، وهذا ما جعلها محط إهتمام و حصلت على العائدات المالية ، فلقد كانت الأوقاف الإسلامية التي توقفها الهيئات والمؤسسات الخيرية والجماعات والأفراد وبعض الأمراء والولاة موجهة من أجل تموين المعمرات التي كانت منتشرة في أرياف الجزائر والمناطق الجبلية.

ومن أجل قيام المعمرات بدور تعليمي فعال و منظم ، فلقد كان لها قوانين داخلية محكمة تشبه الكتاتيب القرآنية وأحياناً تشبه الزوايا الغير خلواتية⁽²⁾. وقد ساهمت في تعلم القرآن الكريم وتعاليمه وتحفيظه وتعميمه ونشره ، كما أخذت المعمرات باحتضان طلبة العلم والفقراء وقامت بإيواء المساكين وقامت بتقديم الإعانات والمساعدات المجانية، التي انتشرت بمنطقة القبائل خصوصاً، حيث شاركت في نشر العلم والثقافة.⁽³⁾

قامت المعمرات بدور بارز في تعليم شتى العلوم والمعارف في العهد العثماني، ومن أجل ضمان قيامها بهذا الدور تم تنظيمها كالتالي:

1-القداش : وهم يمثلون التلاميذ الصغار .

2-الطلبة : وهم فوق القداش سناً وثقافة .

⁽¹⁾ نفسه، ص: 47.

⁽²⁾ الزوايا الغير خلواتية : الزوايا هي المنشآت الدينية التي يتلقى فيها الطلاب مبادئ الدين الإسلامي و تحفيظ القرآن و اللغة العربية كما أنها عبارة عن مساكن للطلبة و إطعامهم و إيوائهم و تخزين المواد الغذائية و غيرها ، و الزوايا نوعان : خلواتي و غير خلواتي ، فالنوع الأول أو كما يسمون زوايا الطرق يخضعون لشيخ الزاوية ، و يدعي شيوخها المعرفة بالأسرار الغيبية لهم أتباع و أورداد خاصة بهم ، أما النوع الثاني و الذي نحن بصدد توضيحه وهي : الزوايا الغير خلواتية أو كما تسمى بزوايا المرابطين لهم نفس الشيء أورداد خاصة ، ليس لهم طريقة صوفية ولا يريدون كزوايا المشايخ كما أن شيوخهم لا يدعون بمعرفة الأسرار الغيبية و شيخ الزاوية يتولى بنفسه مهمة التعليم . يحجي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20 ، مجلة الثقافة ، ع: 63 ، 1981 ، ص : 15،16. أنظر : زروق جيجيك، المرابطون و الطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين ، رسالة ماجستير ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، 2001 .

⁽³⁾ بوسعيد عبد الرحمان، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، المرجع السابق ، ص 51.

3-المقدمون والوكلاء والشيخوخ الكبار وهي أعلى طبقة مهمتها عملية تسيير المؤسسة التي يقوم برئاستها الشيخ مسن يساعده العديد من كبار المقدمين والطلبة والوكلاء .

بالإضافة إلى كل هذا فلقد كانت المعمرات لها مهمة في عملية تقديم المساعدات للفقراء المحتاجين فكانت تقوم بمساندتهم وإيوائهم .⁽¹⁾

لعبت المعمرات دوراً مهماً في بناء الأجيال بناء عمليا رصينا، فلقد كان للمعمرات دور مهم وكبير مثل الأدوار التي قامت بها الزوايا والمساجد والكتاتيب في عملية اهتمامها بالقرآن الكريم وتعاليمه وتحفيظه لطلبة العلم، فالمعمرات تقوم بتوسيع قراءة القرآن وتحفيظه في مختلف المناطق الريفية والقرى المجاورة فهي لها دور أساسي في عملية بناء الأجيال المتعاقبة .⁽²⁾

ولقد كان للمعمرات دور عظيم في انتشار حفظ الحديث وإسناده وإقراؤه وقراءته كما شاعت كتابة الإثبات أو الفهارس التي كان يسجل فيها مرويات في الحديث بالكتب والسند التي قرأها في صحيح البخاري وغيره من الكتب الستة المشهورة .⁽³⁾

ومما سبق يتضح أن للمعمرات دور في العملية التعليمية لا يمكن إغفاله، فلقد كان لها دور بارز وفعال يتضح مما يلي:

- اهتمام المعمرات بتحفظ القرآن الكريم.
- تقسيم الطلاب فيها بحيث يكون لكل قسم مناهجه الخاصة به.
- العناية بتعليم العلوم العربية والإسلامية.
- الاهتمام بتعليم الفلك، والحساب، والفرائض.
- اهتمامها المتميز بعلوم القرآن الكريم.
- حرصها على مساعدة الفقراء من طلاب العلم، وتوفير المسكن، والغذاء لهم.
- توفير ما يحتاجه الطلاب والدراسون من كتب ومؤلفات.
- الحبس والوقف عليها ساهم بصورة كبيرة في دعم أنشطتها، وضمان استمرار القيام بالمهام التعليمية.

⁽¹⁾ رشيدة شدري معمر، المرجع السابق، ص 61.

⁽²⁾ رشيدة مريخي، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج5، ع12، 2017م، ص 237.

⁽³⁾ هبية بوشيبة، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار التوسطي، ع3 و 4، د.ت، ص: 126.

و بذلك نستطيع القول بأن المعمرات قامت بدور لا يمكن إغفاله في محو الأمية، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وقد تآزرت مع المراكز التعليمية الأخرى، كالكتاتيب، والزوايا، والمساجد في تثقيف الشعب الجزائري الذي وصف بأنه كان كله يعرف القراءة والكتابة في عهد العثمانيين.

الفصل الثاني

المباني التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني

(1519 – 1830م)

المبحث الأول : المدارس في الجزائر خلال العهد العثماني : مفهومها، أنواعها، ودورها التعليمي

- تعريف المدارس لغة واصطلاحاً .

- دور السلطة العثمانية في تأسيس المدارس بالجزائر .

- أنواع المدارس في الجزائر العثمانية .

- أهم المدارس الجزائرية في العهد العثماني .

المبحث الثاني : المكتبات في الجزائر خلال العهد العثماني : نشأتها ودورها العلمي .

- مفهوم المكتبات لغة و اصطلاحاً .

- دور المكتبات وأثرها في حركة التعليم في إيالة الجزائر .

- اهتمام العثمانيين بالمكتبات .

- أنواع المكتبات وأهمها بالجزائر في العهد العثماني

المبحث الثالث : الأندية المنزلية بالجزائر في العهد العثماني .

- مفهوم الأندية المنزلية لغة و اصطلاحاً .

- دور الأندية المنزلية بالجزائر في الحياة التعليمية خلال العهد العثماني .

المبحث الأول : المدارس بالجزائر في العهد العثماني (مفهومها، أنواعها، ودورها التعليمي).

1/ تعريف المدارس لغة واصطلاحاً:

1.1 المدارس لغة:

المدارس جمع مدرسة، والمدرسة مصدر مشتق من الفعل الثلاثي: درس، والدرس: ضرب من الجرب يبقى له أثر متفش في الجلد، والدرس: بقية أثر الشيء الدارس، والمصدر الدروس. ودرسته الرياح: عفته، الدرس: درس الكتاب للحفظ، ودارسُ الكتب و تدارستها وادَّارَسْتُها، أي دَرَسْتُها⁽¹⁾، والمدرسة: موضع الدرس، ودرست العلم درساً، قرأته⁽²⁾، المدرس: الرجل الكثير الدرس، أي التلاوة بالكتابة والمكرر له، ومنه مدرس المدرسة⁽³⁾.

وفي المعجم الوسيط: "المدرسة: مكان الدرس والتعليم وجماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك"⁽⁴⁾.

وعرفها صاحب كتاب: المواعظ الإعتبار : قال ابن سيدة : درس الكتاب درساً و دراسة ، و دراسه ، من ذلك كأنه عاوده حتى إنقاد لحفظه ... و المَدْرُسُ الموضع الذي يدرس به ..."⁽⁵⁾ فهي حسب تعريفه مركز تعليمي أو مؤسسة تعليمية .

2.1 المدرسة اصطلاحاً:

ومن التعريفات الحالية للمدرسة التي تختلف وتتنوع بتنوع مناهج البحث، ومن هنا عرفت المدرسة بتعريفات مختلفة، ومن ذلك:

المدرسة: هي "مؤسسة اجتماعية معقدة مستجمة في ذاتها لمنظومة من العلاقات البنيوية المتبادلة بين كافة جوانبها، وأنه لا يمكن إحداث التغيير في أحد أجزائها دون عملية التأثير في بنيتها الكلية وفي نسق هذا التوجه ينظر إلى المدرسة بوصفها مؤسسة تهدف إلى تحقيق التواصل بين تجربة التعليم المدرسية والتجارب الاجتماعية التي تجرى في المجتمع". وعرفت بأنها: "مؤسسة

⁽¹⁾ الجوهري، المصدر السابق، ج 3، ص ص: 927-928.

⁽²⁾ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج 1، المكتبة العلمية، بيروت، ص: 192.

⁽³⁾ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ص ص: 69-16.

⁽⁴⁾ المعجم الوسيط، ج 1، ص: 280.

⁽⁵⁾ أحمد تقي الدين المقرئ، المواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الآثار ، ط 1، دار الطباعة المصرية ، بولاق ، القاهرة 1270 هـ، ص:

اجتماعية ضرورية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين العائلة والدولة من أجل إعداد الأجيال الجديدة وعملية دمجها في إطار الحياة الاجتماعية⁽¹⁾.

ويعرفها أرنولد كلوس على بأنها عبارة عن: "نسقاََ منظماً من العقائد والتقاليد والقيم وأنماط التفكير والسلوك التي تتجسد في بنيتها وفي إيديولوجيتها الخاصة"⁽²⁾. كما عرفت المدرسة بأنها: "نظام معقد من السلوك المنظم الذي يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف، والوظائف في إطار النظام الاجتماعي القائم"⁽³⁾. وعرفت بأنها: "عبارة عن مجتمع مصغر له مناخه وثقافته، وتتحد هذه الثقافة المدرسية بمركب متغاير من الثقافات الفرعية الملموسة والتي تعمل على التأثير في سلوك وعمل التلاميذ بطرق مختلفة"⁽⁴⁾.

أما إذا أردنا إعطاء تعريف للمدارس في الفترة العثمانية، فإن لفظ المدارس في العهد العثماني فقد أطلق على المؤسسات الدينية، من كتاب وزوايا ومساجد، بحكم اختلاط وظيفة المدرسة والزاوية والجامع في ميدان التعليم، فقد كانت بعض الزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه، وخاصة الثانوي، وكانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس، كما كانت مساكن للطلبة الذين يدرسون، وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وبعضها ملحق بالمساجد، وكثيراً ما ينص الوقف على تأسيس زاوية، ومسجد، ومدرسة في الوقت نفسه⁽⁵⁾.

وكان هدف المدارس الرئيسي هو تعليم مبادئ القراءة و الكتابة و تحفيظ القرآن الكريم كما عرفها أبو راس الناصري بقوله: " المدرسة المتعارفة عندنا الان هي التي تبني لدراسة العلم و تعلمه... " و المعنى المدرسة التي تختص بالعلم⁽⁶⁾.

1.3 الفرق بين الزاوية والمدرسة:

على الرغم من خلط البعض بين الزاوية والمدرسة إلا أن هناك اختلاف بينهما، حيث إن الزاوية إمتداد للرباط و بديل له وهي تعني الركن أو المكان المنعزل ، وهي بقعة من الأرض جاءت

(1) أحمد طاهر مسعود، المدخل إلى علم الاجتماع العام، ط1، دار جليس الزمان، 2011م، ص250.

(2) علي أسعد وطفة، وعلي جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي، ط1، 2003م، ص 16 - 17.

(3) أحمد طاهر مسعود، المرجع السابق، ص250.

(4) علي أسعد وطفة، وعلي جاسم الشهاب، المرجع السابق، ص 16 - 17.

(5) صليحة بردي، المرجع السابق، ص131.

(6) محمد بن أحمد أبي راس الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تحقيق: محمد غانم، ج 1، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، الجزائر، 2005، ص: 188.

منزوية ، وقد انتشرت الزوايا في السهول، والجبال، وفي المدن والقرى، وفي جميع ربوع الجزائر، من أجل التفرغ للعبادة والأعمال الخيرية، ثم تطورت لتصبح مركزاً لتعليم القرآن الكريم، والعلوم الدينية⁽¹⁾..

أما المدرسة فهي مؤسسة علمية أنشأت أساساً بالمدن، والزوايا مؤسسة حرة، بينما في الغالب ما ترتبط المدرسة بالسلطة، كما أن الزاوية لها مهام متعددة، أما المدرسة فلها وظيفة واحدة، وهي التعليم، كما أن الزاوية في غالب الأمر تكون تابعة لطريقة صوفية، نظراً للقواسم المشتركة بينهما، والطبيعة التاريخية بين الزوايا والطرق الصوفية، وأما المدارس فليست كذلك⁽²⁾.

2/ دور السلطة العثمانية في تأسيس المدارس بالجزائر:

العصر العثماني يعتبر العهد الذهبي للمدارس، فقد انتشرت المدارس خلاله انتشاراً واسعاً ، فلا يكاد يخلو حي من الأحياء في المدينة من هذه المدارس، الأمر الذي أذهل كل من زار الجزائر خلال العهد العثماني من كثرة المدارس وقلة الأمية بين المواطنين، وربما يكون السبب في كثرة المدارس هو إهتمام بعض ولاية الجزائر بتشييدها كما فعل باي الغرب محمد بن عثمان و شهرة مدرسته بمدينة معسكر " المدرسة المحمدية " و صالح باي و تعتبر المدرسة الكتانية من أشهر المدارس العلمية بقسنطينة⁽³⁾.

لقد رسم العثمانيون معالم الدولة الجزائرية الحديثة وحدودها وطرد الإسبان من شواطئها، فأدى ذلك إلى حالة من الانتعاش الفكري فكان التركيز على العلوم التقليدية على الأقل وكثرة حلقات العلم وإقبال الجزائريين على العلم والمعرفة، الأمر الذي يدعو إلى إنشاء العديد من المدارس من أجل تعليم تلك العلوم والمعارف، حتى وإن لم تكن للدولة العثمانية في الجزائر مؤسسة حكومية ترعى الجوانب العلمية والتربوية في الدولة مما جعل التعليم أهلياً في تمويله ومؤسساته ومعلميه⁽⁴⁾.

(1) عبد الحميد عومري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي، 2017م، ص 138. ينظر : أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج 1، ص: 279، 280 .

(2) نفسه .

(3) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 178 .

(4) درام الشيخ، النظم التعليمية في الزوايا - زاوية الهامل أمودجاً -، ص 73، 75

ويتضح انتشار المدارس من خلال عدد المدارس الكبير الذي وجد في ذلك العهد، فقد بلغت مدارس تلمسان ما يقرب من 50 مدرسة صغيرة مخصصة لـ (12000 أو 15000) نسمة ، بالإضافة إلى مدرستان للتعليم العالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام، حيث يتردد على تلك المدرستين حوالي ألفي تلميذ وستة مائة طالب⁽¹⁾ .

أما مدارس قسنطينة فلم تكن تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر فقد عرفت هي الأخرى إشعاعاً ومنبعاً للثقافة خصوصاً في عهد صالح باي الذي قام بتأسيس المدرسة الكتانية في عام 1190 هـ / 1776م؛ من أجل تعليم مختلف العلوم وقد جعل لها نظاماً خاصاً، كما أنه قام بتأسيس العديد من المدارس في عنابة وجيجل وكان يلحق بكل مدرسة مسجداً وكتاباً ومكتبة، فقد قدر عدد مدارس قسنطينة عند دخول الفرنسيين بحوالي 90 مدرسة، ولكن إيمريت يذكر أن عددها كان 86 مدرسة يدرس بها 1350 تلميذ.⁽²⁾ كما أن اهتمام العثمانيين بالمدارس، وتشجيعهم على ذلك هو ما دفع المحسنين إلى القيام بإنشاء المدارس. فأصحاب الأوقاف حبسوا أموالهم، وخصصوا ربح عقاراتها وأراضيها من أجل بناء المدارس وغيرها من مختلف المشاريع التي تقوم بدعم التعليم بكافة أشكاله وألوانه فلم يكن للدولة العثمانية شأن بها سوى تخصيص بعض مناصب من أجل نفر من العلماء.⁽³⁾

وهكذا تأثرت المدرسة بالواقع الثقافي الذي كان موجود ومنتشر في فترة حكم العثمانيون للجزائر فكان تأسيس المدارس يتم من خلال مجهود فردي ومن خلال مجموعة من المبادرات من قبل الأفراد، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وعي الجزائريين بالقيم الحضارية للمدارس التعليمية في ذلك العصر، ومما يلفت النظر أنه لم تكن هناك مؤسسة حكومية نظامية مخصصة تختص بها المدرسة إدارياً ومهاماً ولهذا كثيراً ما يأتي الباحثين على الحديث عنها بقصد المؤسسات الدينية، فهناك اختلاف بين المؤرخين الذين قاموا بالحديث عن الحياة الثقافية في العهد العثماني في عملية تحديد عدد المدارس التي كانت موجودة في ذلك الوقت خصوصاً المدارس الابتدائية، وكذلك مسألة التمييز بين المدرسة عن الزوايا وعن الكتاب والمساجد، والتي

(1) رشيدة شدرى معمرى، المرجع السابق ، ص 59.

(2) نفسه.

(3) فاطمة دخية، المرجع السابق ، ص 21.

قامت بالدور الأهم في المحافظة على الشخصية الجزائرية ومحاربة الأمية.⁽¹⁾ لقد إرتبط التعليم بالدرجة الأولى في إيالة الجزائر، كما هو الحال في جميع الدول الإسلامية بالمدارس الدينية، التي أقيمت في بداية الأمر في المساجد، أو ملحقة بها الكتاتيب، وإذا كانت الجزائر العثمانية قد خلت من وزارة للتعليم كما هو عليه الوضع الآن ومن تلك المؤسسات المكلفة بهذا القطاع، فإن الميدان قد ترك مفتوحاً للجماعات والأفراد يقيمون ما يشاءون من مؤسسات تعليمية ودينية ، فإن مجرد السماح ببناء المدارس، وإنشائها، وعدم وضع العراقيل أمامها يعد دوراً إيجابياً من السلطة العثمانية ، كما أن السماح لهذه المدارس بممارسة أنشطتها بحرية تامة دون تضيق، أو تشديد من الأمور التي ساهمت بشدة في انتشار المدارس في الجزائر في العصر العثماني.

ولم يقتصر الأمر على المدارس الابتدائية، أو الثانوية، فقد نالت المعاهد العثمانية حتى ولو كان إنشائها بجهود ذاتية، لكن السماح بالإنشاء، والتشجيع، وعدم عرقلة الإجراءات له دور كبير في مولد تلك المعاهد، فقد تحدث الرحالة الفرنسي "فانتور دي برادي" عن وجود ثلاث معاهد من أجل تعليم المذهب المالكي⁽²⁾.

لقد عرفت الجهة الغربية بالجزائر في العهد العثماني ازدهاراً كبيراً خصوصاً في مازونة وتلمسان، ومعسكر وهران ، خاصة في عهد الباي (مُحَمَّد الكبير) الذي كانت له أياد بيضاء في عملية تشجيع الثقافة، وبعثها من جديد، فقام بإنشاء المدارس وأقام المساجد التي لعبت الدور الكبير في العملية التعليمية خصوصاً المدرسة الحمديدية، وهي تلك المدرسة التي كانت مجهزة بالوسائل التثقيفية والتعليمية من مكتبة إلى قاعات مطالعة وغيرها⁽³⁾.

فقد بلغ التعليم في المدرسة الحمديدية درجة كبيرة جداً من الإهتمام قد تجسدت في ثقافة السكان واستنارتهم، فلم يقتصر اهتمام الباي مُحَمَّد الكبير على عاصمة بايلك الغرب ، بل تعدت جهوده إلى أن وصلت إلى مدن عديدة أخرى من إقليمه، منها تلمسان التي أحيا فيها الباي مُحَمَّد الكبير نشاطها الثقافي المطمور، فتحركت قرائح الأدباء والشعراء ونشطت أقلام الكتاب،

(1) صليحة بردي ، المرجع السابق ، ص 131.

(2) عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2016م، ص 109

(3) صديقي بلحاج، المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة (1830م - 1954م)، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ص 9 - 11.

فالطريق الذي سلكه الباي مُجد الكبير في عملية تشجيعه للثقافة وسياسته كانت لها آثار إيجابية كبيرة في إنشاء العديد من المدارس.⁽¹⁾

ونستنتج ان الدولة العثمانية لم تول التعليم المدني والعلوم الحديثة اهتماماً كبيراً مقارنة ببعض الدول الأوروبية خلال عصر النهضة والتقدم العلمي كما برز دور الدولة العثمانية في إنشاء المدارس من خلال التنظيم، فنجد أن المؤسسات التعليمية العربية في ذلك الوقت تمسكت بعاداتها وتقاليدها دون عملية الخضوع لأنظمة الدولة العثمانية، ثم قامت الدولة العثمانية بتشكيل لجنة من أجل النهوض بالتعليم سميت بلجنة: "مجلس المعارف المؤقت"، والذي أصبح في السنة التالية يسمى: "مكتب نظارة المدارس العمومية".⁽²⁾

وهذا الأمر انعكس على الحياة العلمية في الجزائر، فلم يتأثر الجزائريون بالحركة العلمية السائدة في أوروبا وهذا راجع إلى طبيعة الحكم العثماني في الجزائر، الذي كان يركز على الجانب العسكري والإداري أكثر من التنمية العلمية والثقافية .

ومما يبرز اهتمام بعض الأفراد العثمانيين بالمدارس أن صالح باي الذي إهتم بالعلم والعلماء وتشجيع مؤسساته، فقد نهض بالمدارس ونحوها من وسائل التعليم، فقد ثبت أنه كان في قسنطينة على عهده مدرستان ثانويتان هما :

1- مدرسة سيدي بوقصيدة.

2- ومدرسة سيدي ابن خلو ف.⁽³⁾

جدول(3): عدد المدارس الابتدائية في ثلاثة مدن كبرى بالجزائر في العهد العثماني⁽⁴⁾:

المدينة	عدد المدارس الابتدائية
تلمسان	50
القسنطينية	90
مدينة الجزائر	100

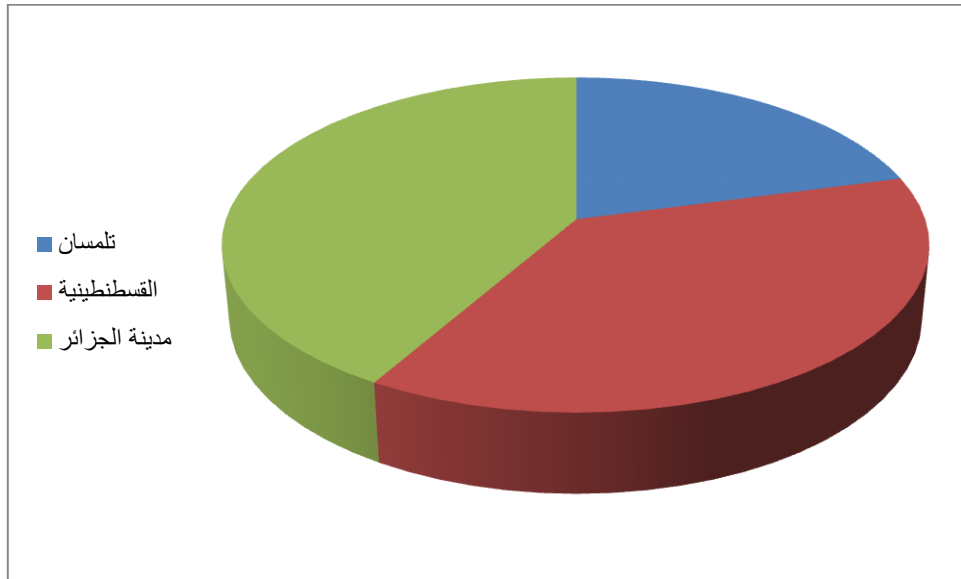
(1) صديقي بلحاج، المرجع السابق، ص 9 – 11.

(2) أحمد سلامة المجالي، الحياة العثمانية في منطقة شرق الأردن أواخر العهد العثماني، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، مج 17، ع 1، 2017م، ص 439

(3) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص : 275.

(4) عدد المدارس الإبتدائية في ثلاث مدن كبرى بالجزائر خلال العهد العثماني الجدول من عمل الباحثة .

رسم بياني(3): لعدد المدارس الابتدائية في ثلاثة مدن كبرى بالجزائر في العهد العثماني⁽¹⁾:



- ومن خلال ما سبق يتضح أن السلطة العثمانية بالجزائر لعبت دوراً هاماً في إنشاء المدارس، واستمرارها في القيام بأنشطتها، أداء رسالته، ويتضح ذلك من خلال التالي:
- 1- لم تضع السلطة العثمانية في الجزائر القوانين المعرقة لإنشاء المدارس.
 - 2- سمحت السلطة العثمانية في الجزائر بجمع التبرعات لإنشاء المدارس.
 - 3- سمحت بوقف العقارات وغيرها على إنشاء المدارس.
 - 4- سمحت للأهالي بإنشاء ما يريدون من المدارس، وجعلت لهم الحرية في ذلك.
 - 5- لم تتدخل السلطة العثمانية في الجزائر في اللوائح المنظمة لإنشاء المدارس، ولم تضيق عليها.
 - 6- لم تتدخل في شؤون المدارس، وما يتم فيها من تعليم.
 - 7- لم تفرض السلطة العثمانية في الجزائر على المدارس أي رقابة حكومية.
 - 8- من الولاة العثمانيين من كان شعلة هداية في إنشاء المدارس فكان قدوة لغيره من الحكام والأفراد.
 - 9- أعطت السلطة العثمانية في الجزائر للأفراد والجماعات، والجمعيات الخيرية الضوء الأخضر لإنشاء المدارس.

(1) الرسم البياني لعدد المدارس الإبتدائية في ثلاثة مدن كبرى في الجزائر خلال العهد العثماني.

10- لم تفرض مسافة معينة بين مدرسة وأخرى، ولا نظاماً هندسياً معيناً.

12- لم تضع السلطة العثمانية في الجزائر من خلال ما أطلعنا عليه على المدرسين رقابة أمنية.

3/ أنواع المدارس في الجزائر العثمانية :

عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية ثلاثة أنواع من المدارس : الابتدائي ، الثانوي ، العالي، وكانت المدارس على إختلاف مستوياتها تمول و تغذى من الأوقاف التي يقوم بتحبيسها أهل الصلاح و الخير من الرجال و النساء على إختلاف طبقاتهم الإجتماعية :

❖ المدارس الابتدائية :

يتعلم الطفل من خلالها مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم و أركان الإسلام و شعائر الدين ، وتتميز تلك المرحلة بأنها مرحلة مجانية والتعليم بها عملية إلزامية وهذه المدارس هي أدنى المراحل التعليمية، ويبدأ سن التعليم فيه للذكور من (6 - 10) ، أما الإناث فلا يذهبن إلا المدارس إلا نادراً⁽¹⁾.

❖ المدارس الثانوية :

لقد كان التلميذ يواصل تعليمه الثانوي في الجامع او المدرسة الملحقة بالأوقاف، و ما تميز به التعليم الثانوي أيضا هو مجانية التعليم، ويتلقى المدرس أجرته من الأوقاف وهي تبلغ بين مائة إلى مائتين من الفرنكات سنوياً وكان يسكن مجاناً⁽²⁾.

وكان يتلقى العلم فالمرحلة الثانوية قرابة 3000 تلميذ في كل إقليم من الأقاليم الجزائرية الثلاثة وكانت الدروس مشتملة على التفسير والقرآن والنحو وما إلى ذلك ، وينال الطالب إجازة على دراسته لجميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه، وهي ليست عبارة عن شهادة مكتوبة ولكنها تعبير شفوي من المدرس إلى التلميذ، فمتى حصل الطالب على الإجازة يصبح بذلك طالباً يستطيع قراءة القرآن في الجامع، ويتولى وظيفة كاتب أو مؤدب بمعنى (مدرس).⁽³⁾

❖ المدارس العليا :

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3 ، 1410هـ - 1990م، ص 162، 163.

⁽²⁾ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 162، 163.

⁽³⁾ نفسه، ص 165.

لم يكن بالجزائر في العهد العثماني مؤسسة خاصة للتعليم العالي ، لذلك فإنه يقع الخلط بين مستوى التعليم الثانوي، والتعليم العالي حتى أنه من الصعوبة التمييز بين التعليم الثانوي والتعليم العالي ، فبالرغم من وصف بعض المدارس بالمدارس العليا فإنها كانت بعيدة كل البعد عن عملية نشر التعليم العالي المتداول في جامع القرويين أو جامع الزيتونة، أو جامع الأزهر، ويمكن ملاحظة بدايات التعليم العالي في بعض الدروس التي كان يتم إلقائها في الجامع الكبير بالعاصمة ومثله في قسنطينة وتلمسان وفي مدارس وزوايا ابن علي الشريف والقلعة والخنقة ومازونة بالإضافة إلى جامع عنابة في عهد أحمد بن ساسي البوني (1).

وعلى الرغم من عدم وجود جامعة كالأزهر، والقرويين، إلا أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي بل تفوق في بعض الأحيان دروس الجامع الأموي الموجود بدمشق والحرمين الشريفين؛ وذلك لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي (2).

إن الطلاب الذين كانوا يقومون بإنهاء المرحلة الثانوية ويرغبون في المزيد من العلم والتعليم فإن آمالهم كثيراً ما كانت تخيب فيركنون إلى الخمول ويكتفون بالقليل، ولكن القليل منهم من كانوا يضربون بطون الإبل أو شرع السفن باحثين عن العلم في البلاد الإسلامية ، وقد لا يعودون إلى بلادهم مرة أخرى .وحرص العديد من الطلاب على التزود بالعلم، والدارسة في المدارس العليا، فقاموا بالهجرة إلى تونس والحجاز، حيث سمحت لهم إمكانياتهم المادية بذلك، فقد كانوا يلتقون بالعلماء وكانوا ينالون الحظ الكبير حين عودتهم إلى بلدهم ، فيقومون بمهمة التدريس ونشر ما حصلوا عليه من معارف جديدة وغالباً ما يجمع إلى وظيفة المدرس وظائف كالقضاء أو الإفتاء (3).

لقد كان أستاذ التعليم العالي عادة ما كان يقوم بإلقاء ثلاثة دروس يومياً، درس في الصباح، ودرس ما بين الظهر والعصر، ودرس ثالث بين العصر والمغرب، فكل درس من الدروس كان

(1) نفسه، ص 165.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، 273.

(3) مؤيد محمد حمد المشهداني، المرجع السابق ، ص 436 - 437.

يستغرق قرابة ساعتين إلى ساعتين ونصف، وكان للأستاذ هيئة وفخامة ومسمع وكانت حلقة الدروس مفتوحة للجميع⁽¹⁾.

4/ أهم المدارس الجزائرية في العهد العثماني.

هناك العديد من المدارس التي حظيت بشهرة في العصر العثماني بالجزائر، ومن ذلك:

◀ المدرسة الجديدة أو التاشفينية:

تعد هذه المدرسة من أروع المدارس و الآثار المخلدة بتلمسان ، بنيت هذه المدرسة في وسط مدينة تلمسان بجوار الجامع الكبير، في ظل حكم الأسرة الزيانية أنشأها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول سنة 717 هـ وإستمر البناء إلى غاية 728 هـ، تم تأسيسها تمييزا لها عن المدرسة التي سبقتها ألا و هي مدرسة أولاد الإمام أو المدرسة القديمة التي بناها السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول والد السلطان أبي تاشفين و التي سميت بإسمه ، وقد حضر حفلة افتتاحها علامة عصره أبو موسى عمر المشدالي⁽²⁾ وهو أعلم علماء عصره في المذهب المالكي في ذلك الحين، وطمست معالمها واندثرت بالكامل عام 1873م، حيث قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بهدمها بحجة أنها غير متناسقة مع الهيئة العمرانية الجديدة المدخلة على المدينة⁽³⁾.

◀ مدرسة مازونة الفقهية:

لقد اشتهرت مدينة مازونة خلال العصر العثماني والعصور التي سبقتها بمدرستها الدينية المتخصصة في المعارف والدراسات الفقهية المختلفة كالفرائض والفقه وأصوله وعلم الحديث وعلم اللغة العربية من علما لبلاغة والنحو...و يحدثنا أبو القاسم سعد الله على أنها كانت مدرسة عريقة و كان لها نظام راسخ و تقاليد متينة إستمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان و الأندلس و المغرب الأقصى⁽⁴⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 335 – 336.

(2) الرزقي شرقي، المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، ص455-456. وقد درس بها علماء من بينهم الشيخ العالم إبراهيم ابن المصمودي التلمساني المشهور بمؤلفه " النجم الثاقب ": ينظر : أحمد بابا التنبكي ، نيل الإبتهاج في تطريز الديباج ، تح :عبد الحميد عبد الله هرامة ، دار الكاتب ، ليبيا ، 200 ، ص : 54 ، 55 .

(3) نفسه .أنظر الملحق رقم ((14)) ، ص : 279 .

(4) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 183 . ينظر :

- Mouly belhamisi, mazouna une petite ville, un long histoire, alger, societ nationale d'edition et de diffusion, 1981.

وتشير المصادر التاريخية أن تاريخ تأسيس مدرسة مازونة كان في عام 1620م تقريباً على يد العلامة الفقيه: مُحمَّد بن الشارف البولدي، وتتكون هذه المدرسة من مسجد لإقامة الصلوات المفروضة، ومكتبة كبيرة وبعض المرافق التابعة له، والتي تستعمل من أجل إيواء الطلبة، قام بتأسيسها من ماله الخاص، ودرس فيها 64 سنة و تتمتع بمنظر جميل يعلوه القبة.⁽¹⁾

المدرسة المحمدية :

تقتضي تقاليد ونظام التعليم في البلاد الإسلامية مرافقة عملية تشييد المساجد بإقامة المدارس بجانبه ؛ لذلك لما تم بناء المسجد الكبير تم بناء جانبه المدرسة المحمدية، واختار الباي لإدارتها الشيخ مُحمَّد بن عبد الله الجلاي وعين لها مدرسين وعلماء أجلاء، منهم:

-الشيخ مُحمَّد المصطفى بن زرفه.

-الشيخ أبي راس الناصري.

-الشيخ الطاهر بن حوا.

واشتهرت المدرسة المحمدية بمنهجية التدريس التي اتبعها المدرسون، فقد قام أبو راس الناصري باتباع الطريقة الجاحظية ، فكان يذكر أثناء دراسته لطائف مهمات وترتيبات وعجائب ونوادر، وحكايات من أجل تنشيط القلوب الفاترة على حد تعبيره فلما رأى بايات المدينة كثرة الطلبة وازدحامهم عنده عملوا له كرسيًا، فاستعان به على الدرس، ومن العلوم التي كانت تدرس بالمدرسة المحمدية:

• **الفقه:** مثل حواشي الزرقاني والخرشي، وهي حواشي في الفقه المالكي.

• **النحو:** شرح المكودي.

• **اللغة:** مقامات الحريري.

• **الأصول:** شرح الشيخ المحلى.⁽²⁾

⁽¹⁾ أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، الجزائر، 2013م، ص 216 – 218. أنظر الملحق رقم : ((15))، ص : 280 .

⁽²⁾ عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 110.

◀ مدراس أخرى :

مدرسة شيخ البلد: تقع هذه المدرسة بمرتفع المدينة بحى كوشة علي، فقد وردت حسب ديفولكس في وثيقة قاضي حنفي عام 1749م ، و أيضاً مدرسة البرميل، لا تتوفر المعلومات حول هذه المدرسة الصغيرة وكل مافي الأمر أنها هدمت في عام 1855م ،ومدرسة جامع ميزومورطو:وهي مدرسة لتعليم المذهب الحنفي ومدرسة الجامع الكبير:التي تتميز بأوقافها الضخمة والمكتبة الغنية ومدرسة جامع القشاش:كانت لها أوقاف كثيرة و تعرف "بالمدرسة القشاشية " و أقدم وثيقة عن مدرسة القشاش تعود إلى تاريخ1162⁽¹⁾وكانت المغذي للتعليم الثانوي و العالي في مدينة الجزائر ومع ذلك فإن الفرنسيون في سنة 1247-1831 حولوها إلى مخازن للجيش ⁽²⁾، ومدرسة ملحقة بمسجد ستي مريم أو مسجد بن نيقرو: حيث تسمى هذه المدرسة باسم مدرسة سوقة باب الواد .⁽³⁾

كذلك مدرسة البطحاء: بحى البطحاء والملحقة بمسجد سباط الحوت ، ومدرسة الرحبة القديمة:فكان آخر وكلائها ابن يعقوب وهي موجهة من أجل تعليم الشباب التركي العثماني بمدينة الجزائر وقد تم هدمها من قبل الاحتلال الفرنسي في عام 1840م. ومدرسة باب جامع الجزيرة:التي بناها الداى شعبان خوجة وهى ملحقة بالجامع المسمى باسمه، ومن مهامها تعليم الشباب التركي العثماني المستقر بمدينة الجزائر.مدرسة الغولة:وهي المدرسة التي تقابل دار الغولة، والقريبة من ضريح سيدى على الفاسي، ولم تظهر هذه التسمية في الوثائق الشرعية حسب ديفولكس إلا ابتداءً من عام 1782 - 1783م.مدرسة بناها الداى مُحَمَّد بن بكر " سنة 1748 - 1749م ، وهي ملحقة بجامع عبدي باشا الذي بني سنة 1725م.⁽⁴⁾

ويتبين مما سبق أن المدارس في الجزائر خلال العهد العثماني حظيت باهتمام كبير ونال العديد منها شهرة واسعة كالمدرسة المازونية الفقهية، حيث اشتهرت تلك المدارس بما تقدمه من خدمات تعليمية، وعلمية، فقد كانت تدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية، والأدبية، والفلسفية، مما منحها شهرة واسعة، كما كان يقوم بالتدريس فيها ثلة من أهل العلم، الذين بلغوا في العلوم

(1)أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص: 281، 282 .

(2)نفسه .

(3)بلبروات بن عتو، المرجع السابق ، ص 71 - 72 .

(4)نفسه ، ص 72.

والفنون درجة عالية، وهذا منحها ثقل في المجتمع، واهتمت بعض المدارس بتدريس المذهب الحنفي، وبعضها برع في تدريس المذهب المالكي، ويبدو أن هذين المذهبين، هم الذين كتب لهما الوجود على أرض الجزائر في ذلك الحين، ومما يدل على شهرة هذه المدارس؛ لما تقدمه من خدمات علمية جليلة ، فالاحتلال الفرنسي بعد ما وطأ أرض الجزائر ، عمل بكل ما أوتي من قوة على تعطيل الدراسة بتلك المدارس، بل إنه قام بهدم بعضها، فأصبحت كأنها لم تكن بعد أن كانت مركزاً علمياً كبيراً، وما ذلك منهم إلا بسبب إدراكهم الدور الكبير الذي كانت تقوم به هذه المدارس في الناحية التعليمية.

المبحث الثاني : المكتبات بالجزائر في العهد العثماني

شكّلت المكتبات جزءاً أساسياً من البنية الثقافية والدينية، حيث ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالزوايا والمساجد والمدارس القرآنية. ولم تكن هذه المكتبات مجرد أماكن لحفظ الكتب، بل كانت مراكز للعلم والمعرفة، تجمع بين الفقهاء والعلماء وطلاب العلم. وازدهرت فيها حركة النسخ والتدوين، مما ساهم في الحفاظ على المخطوطات النفيسة في مجالات الفقه والتفسير والحديث، إلى جانب العلوم الدنيوية مثل الطب والفلك والتاريخ. كما لعبت المنشآت الدينية التي أسلفنا ذكرها في الفصل السابق دوراً محورياً في إثراء هذه المكتبات من خلال وقف الكتب والتبرعات، ما جعلها مراكز إشعاع فكري ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية وتماسك المجتمع وقد أوردناه مستقلة في هذا الفصل نظراً لدورها الكبير في نشر العلم .

1/ مفهوم المكتبات لغة واصطلاحاً.

المكتبة لغة :

المكتبة: وردت في المعجم الوسيط على أنها مكان من أجل بيع وتبادل الكتب مكان جمعها وحفظها⁽¹⁾ وجمع مكتبة: مكاتب ومكتبات، ، وهي موضع الكتب في المدارس والمعاهد والمنازل⁽²⁾.

ويتضح مما سبق أن المكتبة في اللغة تطلق على بيع الكتب والأدوات الكتابية، كما تطلق على مكان حفظ الكتب سواء كان في المنزل، أو البيت، أو المدرسة، أو الجامعة، أو المعهد، أو

⁽¹⁾ المعجم الوسيط، ج 2، ص: 775.

⁽²⁾ جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، ط7، مج1، 1992، ص : 1359 .

في مبان خاصة مستقلة ، و المفهوم السائد في الفترة العثمانية للمكتبات لا يختلف كثيراً عن المفهوم الحالي إلا أن الدور الأكبر لهذه المكتبات في تلك الفترة كان يتمثل في التدريس ونشر العلم، فكانت فضاء يلتقي فيه العلماء والأساتذة والطلبة، واحتوت الجزائر على عدد من المكتبات التي احتوت على عدد مهم من الكتب التي كانت اما انتاج محلي عن طريق النسخ او التأليف او وصلت الجزائر من مصر والحجاز والأندلس يشير سعد الله أن أهم ما ميز الجزائر في العهد العثماني كثرة الكتب و المكتبات ⁽¹⁾.

المكتبة اصطلاحاً :

مر مصطلح المكتبات بمراحل مختلفة وتطورت أنواعها ومحتوياتها وخدماتها عبر الحقب التاريخية وعرفت بها الشعوب الكثيرة كالسومريين والفراعنة حيث أطلقوا عليها مكان إنعاش الروح وقد عرفت باليونسكو: بأنها عبارة عن نتيجة لواقع موجود منذ آلاف السنين التي كان فيها هدف المكتبة الرئيسي هو جمع مصادر المعلومات في مكان واحد والقيام بحفظها من اجل تبليغها إلى الأجيال القادمة.⁽²⁾ كما عرفت بأنها: عبارة عن مجموعة من الكتب والمخطوطات والوثائق والدوريات والسجلات وغيرها من المواد منظمة تنظيمًا مناسباً من أجل خدمة طوائف معينة.⁽³⁾

و إذا كان المفهوم الحالي للمكتبة يعني بأنها: مؤسسة عملية حركية، تقتني المعلومات من شتى المصادر، ثم تعمل على تنظيمها وإدارتها وتنميتها دعماً للمؤسسة التي تنتمي إليها، سواء كانت جامعة، أو مصنعا ثم تطوير النظام الذي تعمل بموجبه بصورة متواصلة، كل هذا يكون على حساب راحة المكتبيين الذين يعملون مع كل قارئ للوصول إلى مبتغاه العلمي عن طريق التقنية التي تطورت إلى هذه الدرجة، وأصبحت من الرقي، والتعقيد بمكان بحيث لا يمكن استخدامها بكل كفاءة دون المهارات التقنية العالمية⁽⁴⁾، فنجد في الجزائر العثمانية المكتبات

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 285 . ينظر : التمعروني ، المصدر السابق ، ص: 139 .

⁽²⁾ عبد الوهاب مصطفى زاهر، عمارة المكتبات في الإسلام، شبكة الألوكة، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي، موسوعة العمارة في الإسلام، مج12، د.ط، د.ت، ص 10

⁽³⁾ سهام عيمور، المكتبات الجامعية ودورها في تطوير البحث العلمي في ظل البيئة الإلكترونية، رسالة ماجستير، قسم علم المكتبات، جامعة منتوري - قسنطينة -، الجزائر، 2012م، ص 19

⁽⁴⁾ لعبت المكتبات في الفترات التاريخية السابقة نفس الدور الذي تلعبه حاليا فهي الوعاء الثقافي و المعلوماتي الذي يعكس رقي و تتطور الأمم في مختلف المجالات الأدبية و الفكرية و الفنية ، و الكتب كانت متنوعة خلال الفترة العثمانية و كانت تنتج محليا أو تجلب من أصقاع

إمتزجت وإرتبطت بالزوايا والمساجد والمدارس القرآنية. خصوصاً في الزوايا، فقد روى ابن سعد في " النجم الثاقب " أن زاوية إبراهيم التازي بوهرا ن كانت تحتوي على الخزائن المملوءة بالكتب العلمية و آلات الجهاد⁽¹⁾

2/ دور المكتبات وأثرها في حركة التعليم في ايةالة الجزائر

لقد ارتبط ظهور المكتبات في التاريخ مع نشأة الحضارات القديمة التي كانت تتميز بالتنظيم الثقافي، والسياسي، والاجتماعي، وظهرت عملية الكتابة، فوجدت ملحقة بالقصور الملكية والتي تحوي المعاهدات والمعاملات والسجلات، ثم أخذت تتطور أغراضها بعد ذلك وأصبحت محفظة الآثار الأدبية والثقافية للأمم فتحوّلت المكتبة إلى خزانة تحوي تاريخ الشعوب وحضاراتها، حيث تعتبر المكتبات هي المراكز الأساسية من أجل عملية جمع المعلومات وتنظيمها وحفظها حيث لا تزال تقوم بهذه المهمة منذ آلاف السنين وعبر الأجيال المختلفة، فهي تحفظ التراث الثقافي الحضاري.⁽²⁾ فالمكتبات تعد أعظم المؤسسات العلمية، إذ تحمل التراث العلمي، والأدبي جميعه للأمم وتفتح أبوابها يومياً وتقدم كنوزها لطلاب والأدب وشيوخهما⁽³⁾.

تعتبر المكتبات عبارة عن أماكن معرفية مهمة جداً فهي لا تقل أهمية عن الزوايا أو المساجد والمدارس، والرباطات، بل هي عبارة عن جزء لا يتجزأ منها؛ لارتباط هذه المؤسسات بها، وذلك باعتبارها خزانات الكتب ومنبع العلم فيها. وأسهمت المكتبات في إثراء الحياة العلمية بالجزائر وخصوصاً في الحواضر الكبرى، فقد اعتبرت إيالة الجزائر في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، بل وجد عدد كبير من المكتبات حتى قبل مجيء العثمانيين فقد كانت مدينة تلمسان عبارة عن عاصمة علمية مزدهرة قد بلغت فيها صناعة الكتب درجة عالية وكذلك بجاية وقسنطينة ووهران⁽⁴⁾.

العالم : مصر ، الأندلس ، الحجاز ، اسطنبول . أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 272 . ينظر : سمية الزاحي، المكتبات العامة في الجزائر بين النظريات العلمية ومعطيات الواقع، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري - قسنطينة -، الجزائر، 2006م، ص 29.

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص: 285، 286 .

⁽²⁾ جميلة نّجّمد، المكتبات أنواعها وأهدافها وتوظيف التكنولوجيا الحديثة في مجالاتها، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،

س 56 ع 643، 2018م، ص 52 - 53

⁽³⁾ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص: 334.

⁽⁴⁾ سعدية رقاد، المؤسسات العلمية في بابل الغرب خلال العهد العثماني، ص 94 - 95

و يتضح أن المكتبات تلعب دوراً هاماً وعظيماً في التعليم، فهي مكان حفظ تراث الشعوب على مر العصور في شتى فنون المعرفة، كما أن المكتبات تقوم بتغذية المدارس، والمعاهد من معارف و معلومات . وزادت أهميتها في الجزائر خلال العهد العثماني ، فهي تعد المصدر الأساسي الذي يمد الباحثين، والعلماء، وطلاب العلم بشتى أنواع المعارف والعلوم.

3/ اهتمام العثمانيين بالمكتبات:

لم يكن إنشاء المكتبات في المدن والقرى الجزائرية ضمن أولويات الجهات الرسمية، وإن وجدت بعض المكتبات، فقد نشأت بمجهود فردية أو وقفية دون دعم حكومي مباشر، وهذه نفس السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية مع باقي الأقطار العربية⁽¹⁾، حيث كانت المكتبة عبارة عن اجتهاد من أفراد المجتمع ، وكانت غالباً موكلة إلى القائمين على المساجد والجوامع ، وبالتالي كانت تفتقر إلى عمليات التنظيم الداخلي، وتحدد وظائفها ومهامها وكيفية تمويلها وشروط العاملين و القائمين عليها، وكانت المكتبات في عهد العثمانيين تزود بالكتب؛ التي تأتي عن طريق هجرة أهل الأندلس إلى الجزائر أو من خلال الحجاج والعلماء الجزائريين الذين كانوا يجلبون الكتب معهم من مصر والحجاز⁽²⁾. كما كان للإهداء دور في تنمية أرصدة المكتبات في الفترة العثمانية؛ حيث كان الأغنياء يقومون بتقديم الهبات للزوايا والمساجد، كما ساهم العديد من المؤلفين في تزويد المكتبات بالمؤلفات والمخطوطات⁽³⁾.

وتنتج الكتب؛ إما محلياً عن طريق التأليف والنسخ، أو يتم جلبها من الخارج كإستانبول ، حيث يمكن إرجاع كثرة الكتب والمكتبات في الجزائر خلال العهد العثماني إلى كثرة النسخ والتأليف خصوصاً خلال القرن الثامن عشر الذي شهد قفزة نوعية لا سيما في الغرب الجزائري⁽⁴⁾.

ولقد انتشرت في العهد العثماني المكتبات العامة، والخاصة، وكانت المكتبات العامة وقفاً على الزوايا والمساجد والمدارس بينما كانت المكتبات الخاصة تنتشر في البلاد بين العائلات المشهورة بالعلم والأعيان الذين لديهم اهتمام بالكتب والنسخ، ولقد كانت المكتبات موزعة بين أنحاء الجزائر و تهتم بتدريس العلوم، وحسب أهمية المدن كالجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان فكان

(1) سيف أبو صويبع، جبل عامل في العهد العثماني: دراسة فكرية تاريخية، دار الرافدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2017م، ص 337.

(2) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص: 287 .

(3) سعدية رقاد، المرجع السابق، ص 94 – 95.

(4) نفسه .

أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن المخطوطات بسبب وجود العلماء والأدباء والمتقنين فيها، وعلى الرغم من العناية الأهلية بالمكتبات في العهد العثماني، إلا أن مصير المخطوطات كان غير آمن؛ إذ ضاع عدد منها نتيجة للإهمال والنهب والحروب.⁽¹⁾

كما تم السماح للعلماء بأخذ الكتب إلى بيوتهم وبيع بعضها خارج الجزائر، وما يقال عن المكتبات الأخرى يقال عن المكتبات الريفية، حيث كان لها أهمية كبيرة كمكتبة ميزاب في جنوب الجزائر وكما هو الحال في المكتبات الموجودة في مدن زواوة وورقلة، والخنقة وبجاية، وهذا كله دليل على وفرة الكتب في الجزائر، وانتشار المكتبات حتى في المناطق النائية.⁽²⁾

إن الحكم على النشاط الثقافي لأي بلد يكون من خلال كثرة الكتب والمكتبات التي فيه، والجزائر خلال العهد العثماني كانت في طليعة البلدان التي عرفت إنتشار واسع للمكتبات وكثرة الكتب، فقد شهد على وفرة المكتبات فيها حتى خصوم العثمانيين، كالفرنسيين، وعلى الرغم من تقليل البعض من شأن الدولة العثمانية كمؤسسة سياسية في إنشاء المكتبات، لكن الباحثة سمية الزاحي ترى أن الحكم العثماني بالجزائر كان له دور كبير في انتشار المكتبات، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

- 1- لم تضيق السلطة العثمانية على إنشاء المكتبات من خلال القوانين المحددة لذلك.
- 2- السلطة العثمانية سمحت بإنشاء المكتبات في كل مكان حتى في الأماكن النائية.
- 3- سمحت الدولة للعلماء بنسخ الكتب، ونقلها إلى الجزائر.
- 4- كما سمحت للعلماء بأخذ الكتب من المكتبات وبيعها في الجزائر وخارجها.
- 5- لم تحظر السلطة العثمانية بايالة الجزائر جمع التبرعات لإنشاء المكتبات.
- 6- لقد كان بداية ظهور المكتبات العامة في عهد الدولة العثمانية مما يدل على حرص الدولة كمؤسسة سياسية على إنشاء المكتبات ذات النفع العام.
- 7- لم تحظر الدولة إنشاء المكتبات الخاصة داخل البيوت.
- 8- لم تحظر السلطة العثمانية أنواعاً معينة من المكتبات، بل سمحت بإنشاء المكتبات مهما كانت الفنون التي تحويها.

(1) مؤيد محمود حمد المشهداني، المرجع السابق، ص 439.

(2) نفسه.

9- أعطت السلطة الضوء الأخضر للوقف وتبئس الأموال على المكتبات مما ساهم في انتشارها بكثرة، والقيام على صيانتها، وترميمها، وتزويدها بما تحتاجه من كتب.

10- لم تضع السلطة قيوداً على التأليف والنسخ الأمر الذي أدى إلى ثراء المكتبات بالكتب، كما أن وفرة الإنتاج العلمي سبب رئيسي من أسباب التوسع في إنشاء المكتبات العامة والخاصة.

11- لم تمنع السلطة في الجزائر من إهداء الكتب والمخطوطات في شتى العلوم والفنون للمكتبات، وهو ما يساهم بصورة غير مباشرة في انتشار المكتبات، بل قد يساهم بصورة مباشرة، فإهداء كتب لمسجد، أو زاوية ليست فيه مكتبة من دواعي التفكير، واتخاذ الخطوات الجادة لإنشاء مكتبة يحظ فيها الكتب.⁽¹⁾

4/ أنواع المكتبات وأهمها بالجزائر في العهد العثماني:

1.4 أنواعها :

تنوعت المكتبات بالجزائر في العهد العثماني إلى ما يلي:

1- المكتبات العامة والمكتبات الخاصة:

كانت المكتبات العامة كما سبق تبيانها أول ما عرفته الجزائر العثمانية، وكانت ملحقة بالمدارس والزوايا والمساجد، حيث كانت مساجد الخطبة تحتوى على خزائن الكتب التي أوقفت على العلماء والطلبة، وعلى الرغم من عدم توفر المكتبات العامة خلال الفترة العثمانية على الشروط الجيدة من أجل تأدية وظائفها إلا أنها كانت ذات تأثير كبير في تنمية الأفراد وتطويرهم الفكري خصوصاً في الوضع المتردي للثقافة والتعليم في تلك الفترة.⁽²⁾

وكانت المكتبات العامة نوعان:

1- المكتبات العامة: وهي التي بنيت خصيصاً للاطلاع العام.

وهي نوع من المكتبات التي ظهرت مع ظهور الحفظ في المساجد، فالمساجد تعتبر مكتبات عامة، والمكتبات في الإسلام نشأت مع نشأة المساجد، فقد جرت العادة أن يودع الناس في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم، وغيره من الكتب الدينية، فقد جعل الناس المساجد

(1) سمية الزاوي، المرجع السابق، ص 80-81.

(2) نفسه.

خزانة للكتب، وحملوا إليها الكثير من الكتب⁽¹⁾، ولا يمكن التطرق إلى الحضارة العربية الإسلامية في أي بلد عربي دون ذكر مكتبات المساجد التي كانت مركزاً فكرياً وتعليمياً يقصده العلماء وطلاب العلم من جميع أنحاء العالم، فمكتبات المساجد هي أول نوع من أنواع المكتبات التي نشأت في العالم الإسلامي وذلك بسبب أن القرآن الكريم قد حث على القراءة وطلب العلم وتشجيع العلماء.⁽²⁾

2- المكتبات الخاصة:

كانت المكتبات الخاصة، وهي المكتبات الفردية أو الأسرية موجودة بكثرة في الجزائر في العهد العثماني، فقد وجد منها عدد كبير جداً في البلاد، وتعود إلى العائلات التي نالت شهرة علمية كبيرة جداً، وتميزت بضخامة مكتباتها، كعائلة الفكون بقسنطينة التي تمتلك أضخم مكتبة وهي مكتبة حمودة الفكون التي يوجد بها حوالي 500 مخطوط.⁽³⁾

وقد انتشرت المكتبات في البلاد ففي مدينة قسنطينة وجدت بها حوالي 17 مكتبة خاصة، أما بابلك الغرب فقد اشتهرت مكتبة أبو رأس الناصري التي حبسها عليه أحد بايات وهران وسمّاها مكتبة المذاهب الأربعة.⁽⁴⁾

والمكتبات في العهد العثماني، سواء العامة أو الخاصة كانت خليطاً من العلوم والفنون، ومحتوى المكتبات كان أغلبه لا يخرج عن العلوم الدينية فكثرتها كانت من كتب القراءات، والتفاسير، والأحاديث النبوية، وكتب الفقه والأصول، كما كان للعلوم الأخرى حظ كبير في هذه المكتبات فقد اشتهرت مدارس النحو زواوة، وخنقة سيدي ناجي.⁽⁵⁾

أما كتب التاريخ والجغرافية والمنطق فقد كانت في درجة أقل من الذبوع ولا شك أن كتب الحساب، والفلك والطب وأمثالها كانت أقل من القليل غير أن تأليف ابن حمادوش، وقصة

(1) ناصر عاصي، أنا الكتاب وهذه سيرتي، دار المؤلف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012م، ص 125.

(2) صديقي بلحاج، المرجع السابق، ص 29.

(3) جيلالي صاري، مخطوطات قسنطينة و مصيرها بعد سقوط المدينة في سنة 1837، مجلة الثقافة، ع : 80، الجزائر، ص : 156.

(4) رشيدة معمر، المرجع السابق ص 63 - 64.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص : 296-298.

الحاج الجزائري، ثم تقارير العلماء الفرنسيين يدل على أن هذه المكتبات كانت غنية بجميع أنواع المعارف المذكورة بالرغم من وفرة الكتب الدينية فيها⁽¹⁾.

لقد كانت الكتب الموقوفة على العلماء والطلبة داخل خزائن وكانت الكتب بهذه الخزائن تقل، أو تكثر تبعاً لأهمية الوقف الذي تتغذى منه؛ وتبعاً لأهمية الجامع وأمانة الوكيل وضخامة عدد السكان في المدينة المعنية.⁽²⁾

2.4 أهم المكتبات بالجزائر في العهد العثماني:

ضمت الجزائر العديد من المكتبات المهمة والتي احتوت على العديد من الكتب التي كانت؛ إما نتاج محلي عن طريق عملية النسخ، أو التأليف، أو وصلت الجزائر من مصر والحجاز والأندلس وإستانبول. ولقد كانت مكتبات الجزائر غنية بالكتب نتيجة انتشار حركة التأليف والنسخ، بالإضافة إلى الكتب التي كانت تصل إليها عن طريق العلماء والحجاج فقد ذكر الرحالة الجبرتي أن حاجاً جزائرياً حاول إغوائه حسب قوله ليبيعه كتاب في الفلك للسمرقندي، وبعد رفضه اشترى هذا الحاج نسخة الزيج ابن شاطر ب 20 ريال بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب، كما أن ابن حمادوش يذكر في رحلته عدداً من الكتب التي اشتراها وهو شأن متولى الجامع الكبير في الجزائر الذي اشترى كتباً وصلت قيمة الكتاب الواحد حوالي 600 دينار ذهباً⁽³⁾. وهذا في القرن السابع عشر، لكن شراء الكتب لم يكن دائماً من أجل الاستفادة العلمية، بل كان من أجل التفاخر عند بعضهم خصوصاً بين العائلات.⁽⁴⁾

(1) نفسه .

(2) نفسه .

(3) فيما يخص أسامي العمل النقدية الواردة في البحث هي العمل المتداولة في الجزائر العثمانية في تلك الفترة وكانت هذه العملة محلية تضرب بدار النقود التي تعرف عادة بدار السكة الواقعة بالقرب من قصر الداوي غير بعيدة عن جامع كتشاوة، و في سنة 1817 كانت تصك بالقصبة ملحقة بالخزينة العمومية في عهد الداوي علي خوجة وكانت أهم العمل الرائجة في الجزائر عملات إسبانيا و تونس والمغرب الأقصى و الأقطار العثمانية بالمشرق و الدويلات الإيطالية و النمسا و البرتغال و فرنسا ، و أهمها: النقود الذهبية الجزائرية : السكة الجزائرية أو السلطاني ، نصف سكة أو نصف سلطاني ، ربع سكة أو ربع سلطاني السلطاني الجديد، النقود الفضية : وقد ورد في البحث عملة ريال بوجو و تسمى أيضاً بدقة قودرة أو قرش الجزائر أو قرش الصغير (و يوجد : ربع بوجو ، ثمن بوجو ، زوج بوجو أو دورو الجزائر، المزونة ، زوج مزونة، بدقة شيك أو ريال درهم، نصف بدقة شيك، الصائمة، النقود النحاسية : خروية ، غرامس دراهم صغار زوج غرامس صغار ، اسبير شيك أو دراهم صغار ، وكانت هذه العمل النقدية تحمل ميزة الشكل الدائري . نصر الدين براهيمى و علي تابليت ، المرجع السابق ، ص: 187، 188 .

(4) رشيدة شدرى معمري، المرجع السابق، ص 62 - 63. ينظر أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 288 .

لقد انتشرت المكتبات في قسنطينة عاصمة إقليم الشرق التي ساهم فيها البايات والأعيان وبيوتها القديمة وكانت تأتيها الكتب عن طريق النسخ والتصنيف، أو تأتي من الخارج من بلاد الأندلس، والحجاز عن طريق الشراء والاقتناء، فلقد أعجب المستشرقون الفرنسيون بكثرة الكتب والمكتبات بمدينة قسنطينة وقاموا بتخصيص الدراسات المختلفة لها، وقاموا بوضع التصنيفات المتنوعة ورتبها من أجل استخراج محتوياتها وأنها كانت في حالة جيدة سواء فيها المكتبات العامة أو المكتبات الخاصة التي تمتلكها الأسر القسنطينية، أو العائلات مثل عائلة الفكون⁽¹⁾. ومن أشهر المكتبات في العهد العثماني في الجزائر التي يمكن تصنيفها إلى مايلي:

1- المكتبات العامة:

أ- مكتبة الجامع الكبير بالجزائر.

ب- مكتبة المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي بقسنطينة.

ج- مكتبة المدرسة المحمدية، وأسسها محمد الكبير.

هـ- مكتبة زاوية الشيخ التازي بوهرا.

و- مكتبة زاوية البكرية.

د- مكتبة القيطنة.

هـ - مكتبة الجامع العتيق بندرومة⁽²⁾.

2- المكتبات الخاصة:

1- المكتبات الفردية أو الشخصية أو العائلية.

2- مكتبة عائلة الفكون بقسنطينة.

3- مكتبة أبي راس الناصري التي حبسها عليه أحد بايات وهران وسمّاها بيت المذاهب الأربعة.

4- مكتبة الزجاجي.

وهناك مكتبات شخصية وعائلية أخرى المعروفة منها أقل بكثير من غير المعروفة خاصة أن

هناك عائلات تقوم بتقديس مكتباتها إلى درجة القيام بإخفائها والتستر عليها.⁽³⁾

(1) كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور، المرجع السابق، ص 9 - 10.

(2) سمية الزاوي، المرجع السابق، ص 80-81، ينظر: صديقي بلحاج، المرجع السابق، ص 32.

(3) صديقي بلحاج، المرجع السابق، ص 41 - 42.

ولقد كانت مصادر الكتب في هذه المكتبات متنوعة، فكانت الأندلس تقوم بتغذية المكتبات الجزائرية الخاصة والعامة، فقد روى العياشي أنه شاهد بأعماق الصحراء مكتبة غنية يملكها الشيخ محمد بن إسماعيل، بلغ عدد الكتب بها 1500 كتاباً، وأنها مكتبة نفيسة، فلقد اقتنى ابن إسماعيل أكثرها لما كان بمدينة استانبول وكان الشيخ محمد بن إسماعيل قد درس بالأزهر وجاور بمكة والمدينة وزار السودان واليمن والمغرب الأقصى وطرابلس واستانبول فكانت الكتب تنقل إلى أماكن بعيدة مع الحجاج والعلماء.⁽¹⁾

وعرفت المخطوطات التركية سبيلها إلى مكتبات الجزائر العثمانية، عن طريق الجزائريين و عن طريق العثمانيون أنفسهم، و أهم هاته الكتب كتب الفقه الحنفي و صحيح البخاري و مختصراته: كمختصر ابن أبي جمرة و تأليف كثيرة تخص الأدعية و الأذكار و الأوراد التي تخص التابعين لطرق معينة: كالقادرية و المولوية و البكداشية....⁽²⁾

وبعد احتلال الجزائر في سنة 1830 كتب المستشرق البارون ديسلان (Baron de Slane) تقريراً عن المكتبات التي كانت موجودة بقسنطينة، اعترف فيها مندهشاً من كثرة الكتب التي وجدوها، ومن تنوعها وجمالها والعناية بها، ونفس الشيء عبر عنه المتخصص والمستشرق في علم المكتبات أدريان بيربروجير (Adrien Berbrugger) فيما يتعلق بمخطوطات وكتب مكتبات تلمسان خصوصاً وأنه رافق الحملة العسكرية على تلك المدن.⁽³⁾

المبحث الثالث: الأندية المنزلية بالجزائر في العهد العثماني

1/ مفهوم الأندية المنزلية لغة واصطلاحاً.

- الأندية المنزلية مصطلح مركب من كلمتين: الأندية/المنزلية، وبيان المعنى الاصطلاحي للأندية المنزلية يقتضي تعريف مفرداته أولاً:

الأندية لغة:

ندا القوم ندوا: اجتمعوا ومنه النادي، وهو مجلس القوم و متحدثهم، ولا يقال فيه ذلك إلا والقوم مجتمعون فيه فإذا تفرقوا زال عنه هذه الأسماء⁽⁴⁾، ويجمع على أندية، وسمي بذلك؛ لأنهم

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 287 - 286.

⁽²⁾ نفسه، 289.

⁽³⁾ صديقي بلحاج، المرجع السابق، ص 37.

⁽⁴⁾ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج 2، ص: 598.

يندون إليه ندوا وندوة، وبه سمي دار الندوة بمكة، كانت دارا لبني هاشم إذا حز بهم أمر ندوا إليها، فاجتمعوا للمشاورة، وأناديك: أشاورك وأجالسك في النادي.⁽¹⁾

النادي اصطلاحاً:

عرف بالنادي بأنه: مجلس القوم⁽²⁾.

وعرف بأنه: "مكان مهياً للجلوس القوم فيه والغالب أن يتفقوا في صناعة أو طبقة، يقضون فيه أوقات فراغهم يتبادلون الحديث أو يتلهّون بالألعاب أو ينصرفون إلى المطالعة، ويتناولون فيه المأكولات والمشروبات"⁽³⁾.

والتعريف الأول هو المناسب للدراسة، فلم يكن آنذاك قد تطور مفهوم النادي ليشمل ما يشمله في العصر الحديث، وإن كان الكل يعود إلى المعنى اللغوي للفظ.

-المنزل لغة:

-النزول: الحلول، وقد نزلهم، وعليهم، وبهم، والنزل: ما هيئ للضيف لينزل عليه. ونزل القوم: أنزلهم المنازل. ونزل غيره: قدر لها المنازل. وقوم نزل: نازلون. والمنزل والمنزلة: موضع النزول⁽⁴⁾، والمنزل: هو اسم مكان من نزل.⁽⁵⁾

-الأندية المنزلية اصطلاحاً :

الأندية في العهد العثماني: عبارة عن منازل ومجالس يمتلكها كبار الملاك أو وجهاء البلد، يجتمع فيه الداي و الباي و الأغا و الموظفون السامون و القضاة و المفتين مع الرعية بعد العشاء ، يقومون في ذلك الوقت بقراءة كتاب ما أو إلقاء مجموعة من الدروس.⁽⁶⁾

وبذلك تكون الأندية المنزلية هي مكان لتدارس العلم بصورة مصغرة في دار أحد الأعيان، أو العلماء، وهو نوع من التعليم الأهلي القائم على تدارس العلم وتعليمه للناس ويظهر من التعريف

(1) الخليل بن أحمد، العين، المصدر السابق، مج: 8 ص: 76.

(2) محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ - 2003م، ص 224.

(3) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، المصدر السابق، ج 3 ص: 2198.

(4) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداي، ط1، ج 9، دار الكتب العلمية - بيروت، 1421هـ - 2000م، ص: 48.

(5) المعجم الوسيط، المصدر السابق: مج: 2، ص: 915.

(6) إين ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص: 60. ينظر: صالح بوبشيش، المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني، الملتقى الوطني الأول (المذهب المالكي في الجزائر) جامعة باتنة، 2، 3 ربيع الأول 1425 هـ/الموافق 21 - 22 أبريل 2004م، ص 140.

أن هذه الأندية على الرغم من أنها تكون في بيت عين من أعيان البلد ووجهائها، إلا أنها كانت عامة للجميع، للغني والفقير، فلم تخصص لفئة معينة من الناس، بل جاءت مشتركة بين جميع طبقات المجتمع.

2/ دور الأندية المنزلية بالجزائر في الحياة التعليمية خلال العهد العثماني.

سبق تبيان أن الأندية المنزلية كانت تقام في منازل أغنياء البلاد وأعيان الدولة والسلطة المحلية، كما كانت منازل العلماء أندية تقام فيها دروس يومية يتلقاها الطلبة عن هؤلاء العلماء في منازلهم وبعد انتهاء الدروس يرجع كل طالب إلى منزله من أجل أن يعود في الغد وهكذا تكون العادة غالباً في القرى والمدن، التي لم تكن فيها زوايا تقام فيها دروس علمية.⁽¹⁾

ومما يبرز دور الأندية المنزلية التعليمي، اهتمام الوجهاء، والأعيان، والقضاة والمفتين بها، فلقد حظيت الأندية المنزلية في إيالة الجزائر باهتماماً كبيراً فكانت هذه الأندية المنزلية تختص بذوي الشأن والوجهاء والعظماء في الجزائر وذوي النفوذ الكبيرة من أعيان البلد والسلطة المحلية⁽²⁾، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إدراك تلك الشريحة من المجتمع بأهمية الأندية المنزلية في التعليم.

فقد كان لمدن بايلك الغرب نصيب من هذه المنشآت التعليمية ولعل ما بقي منها دليل واضح على هذا الأمر ومن تلك المؤسسات والمراكز التعليمية الأندية المنزلية، حيث كان لها ولا يزال دور كبير في تنشئة أفراد المجتمع على النهج الإسلامي الصحيح ونشر المعرفة ومحاولة القضاء على الجهل والأمية التي تعمل على نحر المجتمع من كافة جوانبه وتدفعه إلى حافة التخلف والابتعاد عن التطور في كافة المجالات المختلفة.⁽³⁾

إن الأندية المنزلية كان لها دوراً كبيراً في الحياة التعليمية، فكانت تقام في منازل وجهاء البلاد، وقد استمرت إلى زمن الاحتلال الفرنسي، كما يبرز دور الأندية المنزلية في التعليم اهتمام الناس بها على كافة المستويات، والطوائف، فقد كان الناس يجتمعون في منزل الداوي والآغا والباي

⁽¹⁾ محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحميمة، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م، ص 60

⁽²⁾ شلاي نبيلة، وعمر حيدوسي، الحالة العلمية بالجزائر في العهد العثماني (القرنان الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) من خلال رحلة أبي راس العسكري "فتح الإله ومنته، مجلة الإحياء، مج: 19، ع: 23، ديسمبر 2019، ص 707.

⁽³⁾ فرمان عبد القادر، المنشآت الدينية والتعليمية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مجلة عصور، ع28 - 29، 2016م، ص 81.

والقاضي والمفتي، ويقومون بقراءة كتاب قد قاموا بالاتفاق على قراءته أو القيام بإلقاء محاضرات ودروس دينية⁽¹⁾، كما أنهم كانوا في شهر رمضان الكريم يواظبون على صلاة التراويح في الأندية المنزلية، وبعد الفراغ منها يشرعون في الدروس الدينية حسبما جرت به العوائد الإقليمية في مجالس شهر رمضان الكريم⁽²⁾.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن الدكاكين التجارية تستعمل للشراء والبيع نهاراً وللمسامرات الأدبية ليلاً، وحتى منازل العلماء كانت عبارة عن مراكز يومية يتلقى فيها الطلبة الدروس العلمية، ومما يبرز دور الأندية المنزلية في العملية التعليمية الحرص على إحضار العلماء من أجل تعليم الناس في تلك الأندية، فلقد كان لابن ميمون دار كالنادي يجتمع فيها العلماء كابن حمادوش، وابن علي وابن عمار وابن المفتي يعلمون الناس العلم و يتدارسونه⁽³⁾.

لقد كانت الحركة العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني موزعة على مراكز عدة يقوم كل مركز منها بوظيفته التي أنشأ من أجلها والتي أسندت إليه حسبما تتطلبه ظروف العصر وتقتضيه قوانين إقليم القطر⁽⁴⁾.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الأندية المنزلية كان لها دور عظيم في العملية التعليمية، ويمكن توضيحه في النقاط التالية:

- في الغالب كانت الأندية المنزلية في بيت من بيوت الأعيان من أهل العلم وغيرهم، وهذا يدل على شدة الحاجة إليها كمؤسسة تعليمية، وعلى أهميتها في التعليم.
- الأندية المنزلية كان يحاضر فيها كبار العلماء، مما يجعل التعليم فيها تعليمًا متميزًا.
- لم يكن التعليم في تلك الأندية كالتعليم في الزوايا والمساجد وغيرها، فهو تعليم غير منظم، وغير نظامي.

- تميزت هذه الأندية المنزلية بمشاركة التعليم في اختيار المادة العملية، فقد كانوا يتفقون على الكتاب الذي يقومون بتدارسه.

(1) صالح بوشيش، المرجع السابق، ص 140.

(2) ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 60.

(3) رشيدة شدرى معمر، المرجع السابق، ص 63. بخصوص هؤلاء العلماء أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، للتأليف والنشر و الترجمة، بيروت - لبنان، 1980.

(4) نبيلة شلاحي، وعمر حيدوسي، المرجع السابق، ص 704.

-المادة العلمية التي كانت تقدم في تلك الأندية يظهر أنها كانت في الغالب تعالج القضايا التي يعيشها الناس، وما يحتاجون إليه من علوم ومعارف؛ لأنها ليست في الغالب خاصة بطلاب العلم، بل يحضرها جميع طوائف المجتمع.

-كانت الأندية المنزلية في بيوت العلماء بمثابة دروس خصوصية مركزة.

-حرص الأعيان على انتقاء العلماء الذي يعلمون الناس في تلك الأندية دليل واضح على دور تلك الأندية في تعليم الناس أمور دينهم.

-حرصت تلك الأندية على مدارس القرآن الكريم و تعليمه للناس .

وخلاصة القول شكلت المباني التعليمية المدارس، والمكتبات، والأندية المنزلية أو المجالس عناصر أساسية في الحياة الثقافية خلال العهد العثماني في الجزائر ولعبت دورًا محوريًا في ازدهار الحياة الفكرية على الرغم من بساطة التعليم وإعتماد المؤلفين على النسخ والإستنساخ، وساهمت هذه المؤسسات في نشر المعرفة وتعليم العلوم الدينية واللغوية، وبعض العلوم العقلية كالمنطق والفلك...، كما شكلت المجالس العلمية والنوادي المنزلية فضاءات للنقاش وتبادل الأفكار بين العلماء والأدباء، مما أسهم في تعزيز الحركة الفكرية والثقافية، وحفظ الهوية الدينية واللغوية للمجتمع الجزائري في تلك الفترة.

الفصل الثالث:

واقع التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)

المبحث الأول: السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني .

- أوضاع التعليم بالجزائر في العهد العثماني .
- تدخل السلطة العثمانية في شؤون التعليم بالجزائر .
- المعلمون في العهد العثماني بالجزائر .
- التلاميذ بالجزائر خلال العصر العثماني .

المبحث الثاني: المناهج التعليمية بالجزائر في العهد العثماني .

- مناهج التعليم الابتدائي بالجزائر في العهد العثماني:
- مناهج التعليم الثانوي بالجزائر في العهد العثماني:
- المواد التعليمية بالجزائر في العهد العثماني .

المبحث الثالث: حوافز التعليم وأهدافه بالجزائر في العهد العثماني .

- حوافز التعليم في الجزائر العثمانية .
- أهداف التعليم بالجزائر في العهد العثماني .

المبحث الأول : السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني.1/ أوضاع التعليم بالجزائر في العهد العثماني:

أخذ التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني منحناً جديداً فلم يعد حكراً على المدن و الحواضر الكبرى بل انتشر في الأرياف محدثاً شبه توازن بينه و بين المدينة في هذا المجال ، وهذا الأمر أدى إلى نشر التعليم وطلب العلم⁽¹⁾ مثل: مدينة الجزائر التي انطلق الطلاب مهاجرين إليها من أجل طلب العلم والمعرفة ومن أجل الاستقرار، ثم بعد ذلك توسعت تلك الهجرة منذ القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن السادس عشر إلى الخارج وتمثلت في هجرة العلماء من هذه المراكز والحواضر نحو المشرق العربي والمغرب الأقصى .

لقد انتقلت العلوم، والمعارف، والحركة العلمية من المدينة للأرياف من خلال تأسيس الزوايا العلمية والدينية، التي كانت وظيفتها نشر التعليم، ومنح الأتباع البركة، فلقد امتاز العصر العثماني بالجزائر بانتقال المراكز الثقافية من المدن للقرى واشتهرت العديد من المعاهد في ذلك الوقت كمعاهد بني يعلي العجيسي ، ومعاهد بني خليل ، ومعاهد الراشدية ومازونة.⁽²⁾

ومن المدن التي نشطت فيها الحركة العلمية مدينة قسنطينة: فقد امتازت مدينة قسنطينة في الجزائر في العهد العثماني بقوة نشاطها العلمي الديني وديمومة تدريس العلم بها ، ويعود ذلك إلى إرثها العريق في التعليم المسجدي، المتجذر في عمق التاريخ، بمحتواه الغني من العلوم الدينية والأدبية واللاهوتية والفلسفية والعقلية، إضافةً إلى غزارة إنتاج علمائها الأجلاء في التصنيف والتأليف ولقد بذل العلماء والفقهاء في المجال التعليمي عطاء كبيراً في عملية تلقين التلاميذ، والطلبة أصناف العلوم بالمساجد والمدارس، والزوايا والكتاتيب ومن أبرزها: المسجد الكبير، وجامع سيدي علي بن مخلوف، وجامع رحبة الصوف، وجامع القصبة، وجامع سيدي الجليس، وجامع سوق الغزل، وفي المدارس أيضاً كمدرسة سيدي الكتاني.⁽³⁾

⁽¹⁾ كثرت المدارس في الجزائر حتى كاد لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن و لا في قرية من القرى في الريف ، بل كانت منتشرة عند أهل البادية و الجبال النائية . أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 274 .

⁽²⁾ كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث... المرجع السابق ، ص 2 - 3 .

⁽³⁾ تعد المدرسة الكتانية من أهم المدارس الجزائرية في الفترة العثمانية و يذكر أنه أسست في عهد صالح باي " 1771-1792 " . أبو القاسم سعد الله، بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، مجلة البصائر ، ع : 81 ، الجزائر ، 2002 ، ص: 13 .

و مدرسة سيدي الأخضر، والذي ساعد على ديمومة و استمرار حركة النشاط التعليمي بقسنطينة كثرة الأوقاف المخصصة للمساجد، والمدارس، والجوامع الصغيرة؛ مما جعل التعليم فيها مجاناً استقطب التلاميذ، والطلبة من داخل مدينة قسنطينة وضواحيها ومدن الأقاليم الأخرى.⁽¹⁾ ومن المدن التي تميزت بالحركة العلمية في الجزائر في العهد العثماني مدينة مازونة التي وصفها حسن الوزان في كتابه : " ...مازونة مدينة أزلية بناها الرومان- حسب قول بعضهم - على نحو أربعين ميلاً من البحر، تمتد على مسافة شاسعة ، و تحيط بها أسوار متينة ... فيها جامع وبعض مساجد أخرى ، لقد كانت مدينة متحضرة جداً في القديم ... " ⁽²⁾ .

بحيث شهدت هذه المنطقة إقبال كبير و هذا راجع إلى الأهمية ومكانة مدرستها مازونة ، و إستمر تدفق الطلبة عليها طيلة الفترة العثمانية ، حيث اهتم العلماء فيها بتفسير القرآن الكريم وبعض من علومه، كما عرفت مازونة برسوخها في الفقه حيث اهتم علمائها وشيوخها بالفقه، وما قرب منه من علوم أخرى كالحديث، والمنطق واللغة⁽³⁾ .

وكان الإنتاج العلمي في العلوم الدينية غزيراً ، ولكن جانب الإبداع كان فيه معدوماً، بل كان عبارة عن محاولة من أجل الخروج عن التقليد.⁽⁴⁾

لقد عمر الأتراك بالجزائر أكثر من ثلاث قرون أقاموا فيها العديد من التنظيمات السياسية والمالية والعسكرية والتي عادت بالفائدة عليهم ، ولكنهم لم يهتموا كثيراً بالتعليم ولم يلفتوا إليه،

(1) الطاهر بونابي، ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني، مجلة عصور، ع 18، 2015م، ص 118 - 121.

(2) حسن محمد الوزان ، المصدر السابق ، ص: 36 .

(3) كان إستعاب قاعات التدريس بمدرسة مازونة التاريخية حوالي : ستين إلى ثمانين طالب يتلقون العلم على يد علماء أجلاء ، بالإضافة إلى مجانية التعليم ،فتيحة لواليش ، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1994 ، ص: 164 . ينظر مولاي بلحميسي ، دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن 15 إلى منتصف القرن 20، مجلة العصر ، ع: 11، 1997، ص: 09. أنظر الملحق رقم ((15)) ، ص: 366 .

(4) ميلود ميسوم، ملامح من الحياة الثقافية بماضرة مازونة خلال العهد العثماني، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، مج 10، ع 1، 2019م، ص 13 - 14.

حيث لم يكن للعثمانيين دخل في التعليم فلم تكن هنالك مؤسسة حكومية خاصة بالتعليم كوزارة أو مديرية تهتم بشؤون التعليم من حيث تأسيس المدارس والاهتمام بمجريات التعليم.⁽¹⁾ وبناء عليه لم تكن هناك حركات تجديد فكرية، ولا انتفاضات علمية ذاتية أو متأثرة بالبلاد الأوروبية، فلقد كان التعليم حراً من سيطرة الدولة ومن سيطرة الحكام العثمانيين فكان سكان كل قرية يقومون بتنظيم طرقهم، ووسائلهم الخاصة، سواء كان تعليم القرآن الكريم، أو الحديث، أو العلوم العربية الأخرى؛ لأن دراسة هذه العلوم هي السبيل من أجل معرفة أسرار الدين والقرآن الكريم، لذلك فلقد كان القرآن الكريم أساساً للتعليم في الجزائر، سواء أكان تعليمًا ابتدائيًا، أو ثانويًا، أو عاليًا.⁽²⁾

لقد تميزت الحياة الثقافية في العهد العثماني بتقلص الحياة العلمية وعدم الاهتمام بالعلماء⁽³⁾، إلا من قبل بعض البايات، كالباي مُحمَّد الكبير⁽⁴⁾، الأمر الذي أدى لهجرة الراغبين في العلم إلى المشرق منهم من عاد ومنهم من لم يعد، كما انتشرت كذلك البدع، وحلقات الذكر والأوراد، وتعددت الطرق الصوفية، حيث سيطر على الحياة الثقافية الدروشة والتصوف، وشاع التصوف حتى بين الفقهاء والولاء أنفسهم، فتحولت الزوايا من مركزها الثقافي التعليمي إلى الخرافة والانزواء حتى أن الحياة الثقافية كانت تخلو من الإبداع والأصالة، فلم يعنى العلم عندهم

(1) يشير أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي إلى أن العثمانيين لم يولوا اهتمامًا كبيرًا بالتعليم في الجزائر، ويُرجع ذلك إلى عدة أسباب، من بينها أن أغلبهم كانوا جنودًا انكشاريين أو رجال دولة عزائيًا بلا أطفال، مما قلل من حماسهم لقضية التعليم. كما أن حداثة إسلام بعضهم، إلى جانب الأوضاع السياسية والاجتماعية المتدهورة وانشغالهم بالتصدي للحملات الإسبانية، ساهمت في إهمال هذا المجال. ورغم هذا الإهمال، لم تتراجع الأسرة الجزائرية عن دورها في تعليم أبنائها، حيث حرصت على تلقينهم مبادئ الدين الإسلامي وتحفيظهم القرآن الكريم، الذي كان الأساس في التعليم والدين. وقد يُعزى الجمود الثقافي في تلك الفترة إلى كون التعليم مسؤولية الأفراد والمجتمع، إذ برز بعض العلماء ورجال الدين الذين ساهموا في نشر العلم وإنعاش الحركة الثقافية. وعلى الرغم من أن بعض الحكام العثمانيين انشغلوا بالمصالح الشخصية وجمع الأموال، إلا أنه لا يمكن إنكار جهودهم في المجال الثقافي خلال السنوات الأخيرة من حكمهم. فقد شهد التعليم والثقافة تطورًا ملحوظًا بفضل دعمهم للعلماء والمؤسسات الثقافية، وبنائهم للمدارس واهتمامهم بالمعلمين ورجال الدين. وكان هذا الاهتمام نابغًا من رغبتهم في كسب ثقة العلماء والمراطين والسكان، إذ كان أهل الجزائر يميلون إلى الثقة بهم أكثر من الحكام السياسيين، ما دفع العثمانيين إلى التقرب منهم بهدف الحفاظ على الأمن الداخلي والسيطرة على السكان واحتواء الغضب الشعبي الناجم عن الظلم والضرائب المفروضة. لمزيد من التفصيل ارجع لآبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 وينظر أيضاً: بحوش صبيحة، وضعية التعليم في العهد العثماني... المرجع السابق، ص 135 - 136.

(2) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ص 159 - 160.

(3) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 13.

(4) العيد مسعود، المرجع السابق، ص 65.

اكتساب معارف جديدة بقدر ما كان يعنى التمكن إلى أقصى حد من اكتساب ما خلفه السلف.⁽¹⁾

ولم تكن موارد الدولة العثمانية في الجزائر تستعمل من أجل تنشيط الحركة التعليمية في الجزائر، وتنمية الثقافة، ولكنها كانت تستعمل في أغلب الأحيان في أجور الجنود.⁽²⁾

2/ تدخل السلطة العثمانية في شؤون التعليم بالجزائر.

من أهم المميزات للعهد العثماني في الجزائر انتشار العديد من المؤسسات التعليمية، كالزوايا، والتي تعد من المؤسسات التعليمية التي قامت بدور كبير جداً في الدفاع عن الإسلام ونشر التعليم⁽³⁾، فقد لعبت دوراً بارزاً في مجال التعليم خصوصاً في تلك المرحلة التي لم يكن فيها التعليم يحض بالإهتمام خصوصاً مناطق الريف، حيث عملت على إحداث التوازن بين الريف والمدن التي كانت بها المدارس الحرة والكتاتيب القرآنية، فلقد كانت الزوايا تنفق على طلبتها وتلاميذها والعلماء الذين يدرسون فيها، حيث يقوم النظام الداخلي لهذه المؤسسات على نظام يفوق المدارس الحديثة من حيث الانضباط، والإنفاق على تلاميذها أو الذين يقومون بزيارتها.⁽⁴⁾

لقد أشارت الدراسات الأجنبية أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت تفتقر إلى مظاهر التحضر والتمدن، والتي تشير إلى عدم الاهتمام الكبير بالفنون والعلوم، وتشير أيضاً إلى كون المجتمع الجزائري قد عاش فترة تميزت بالعسكرية في الأفكار والأعمال أي أنها ذات طابع عسكري محض⁽⁵⁾، وهذا عكس ما ورد في رحلة ابن زاكور الفاسي في القرن 11 هـ/ 17 م الذي قال عن الجزائر: "...بدخول مدينة الجزائر، ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النواضر، التي غص ببهجتها كل عدو كافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر، في الموارد والمصادر، ويرسلون عليها صواعق لم تعهد في الزمن الغابر... إذ هي كما قيل:

(1) رشيدة شكري معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، المرجع السابق، ص 33.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص: 313، 321.

(3) كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور (1850 - 1951)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم

الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008م، ص: 22.

(4) نفسه، ص: 28.

(5) دهبية بوشيبية، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، ع 3-4، د. ت، ص: 118.

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس⁽¹⁾.

و يمكننا القول أن السياسة العثمانية في الجزائر إتجاه التعليم وإهتمامها به قد تكاد تكون معدومة في ذلك الوقت، فلم يكن للحكومة في ذلك الوقت وزير لشؤون التعليم، ولا مدير أو وكيل، وكل ما كان يشغل الدولة في ذلك الوقت المحافظة على الأمن والاستقرار الداخلي، والمحافظة على أمورها السياسية، والدفاع عن الحدود فلم تكن الضرائب التي يتم جمعها تستعمل في نشر التعليم، وترقيته، وتطويره، وتنميته الثقافية ولكن كانت تستعمل في أجور الجنود وتوزيع العطايا والهدايا.

وعليه فلم يكن للسلطة العثمانية في الجزائر سياسة مخصصة للتعليم، بل يمكن القول أن السياسة التي كانت متبعة من قبل السلطة العثمانية هي عدم التدخل في مسار التعليم وشؤونه فإذا انتشر التعليم فهذا الأمر لا يعنيها وإذا قل التعليم فهذا الأمر أيضاً لا يعنيها⁽²⁾.

فلم يحظ التعليم المدني الحديث بعناية الدولة العثمانية، وكذلك أهملت الدولة العثمانية المدارس الابتدائية واعتمدت على الكتاتيب التقليدية التي كانت تقوم بمهمة المدارس الابتدائية⁽³⁾.

وربما عدم عنايتها بالتعليم في الجزائر سارت على نهج أسلافها من قبلها، فإن الدول السابقة اعتبرت مسائل التعليم خارج نطاق مسؤولياتها، وتركتهما للأفراد، والهيئات، والجماعات، وعلى الرغم من ذلك إلا أنها سعت جاهدة في المحافظة على ديمومة واستمرار المؤسسات التعليمية التي انتقلت إليها من سبقها⁽⁴⁾.

وفي الربع الأول من أوائل القرن التاسع عشر بدأت رياح التغيير والإصلاح تهب على الدولة العثمانية، وكان من بين تلك الإصلاحات إصلاح التعليم، وقد تركز إصلاح الدولة للتعليم على إنشاء المدارس العسكرية، وذلك بهدف تزويد الجيش العثماني بالكفاءات العسكرية والفنية اللازمة، كما قامت الدولة بإنشاء المدارس المدنية، والتي انتشرت في معظم أنحاء الدولة العثمانية.

(1) ابن زاكور الفاسي، المصدر السابق، ص: 40.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 313 - 314.

(3) الطاهر بوناي، ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني، عصور الجديدة، ع18، 1436هـ - 2015م، ص 117.

(4) نقولا زيادة، في ميزان التاريخ، ترجمة وتحقيق: محمد عدنان بخيت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 2008م، ص172-173.

وكانت بداية جهود الدولة الإصلاحية منذ عهد السلطان محمود الثاني (1808-1839)، حيث تمكن من إدخال العديد من الإصلاحات على الجيش العثماني، بعد أن أزاح الانكشارية في عام 1826م، وأنشأ المدارس الثانوية، وجعل التعليم إلزامياً، وأخذ بالأسلوب الأوربي العسكري، وهذا يعني قبول النظام التعليمي الجديد، وافتتح العثمانيون المدارس العسكرية، لتخريج ما يحتاج إليه الجيش من مهندسين، وأطباء، وصيادلة، وغير ذلك⁽¹⁾. وهذا ما يجعلنا نطرح السؤال التالي: إلى أي مدى تأثرت إيالة الجزائر بالإصلاحات التعليمية التي طبقتها الدولة العثمانية؟

هل انعكست إصلاحات التعليم في الدولة العثمانية على نظام التعليم في إيالة الجزائر؟

لم يكن هناك انعكاس مباشر للإصلاحات التعليمية العثمانية على إيالة الجزائر، حيث استمر التعليم في الجزائر بالاعتماد على النمط التقليدي، مثل المدارس القرآنية والزوايا، مع غياب المدارس العسكرية الحديثة بشكل واسع، ولم تأثرت إيالة الجزائر بشكل محدود بالإصلاحات التعليمية العثمانية، حيث ظلت تعتمد بشكل أساسي على التعليم التقليدي في الكتاتيب والمدارس الدينية، ولم تشهد تحولاً كبيراً نحو التعليم النظامي الحديث كما في بعض الولايات العثمانية الأخرى. فالنشاط التعليمي في الجزائر حظي باهتمام واحترام العثمانيين كأفراد، وليس كدولة، حيث إن التعليم لم يكن له نظام رسمي، ولا هيئات منظمة له، وإنما غلب عليه الطابع الذاتي الحر، نظام يخضع للموروث التقليدي⁽²⁾.

فكان جل تركيز السلطة على حماية الحدود وجمع الضرائب، وأما بالنسبة للتعليم فلم يكن لها برنامج، ولا خطة، ولا نظام رسمي؛ لتشجيع التعليم وتطويره، أو العناية بأهله ولم يكن منها تدخل في شؤون التعليم سوى من بعض البايات، مثل: مُحمَّد الكبير، الذي قام بتوسيع رقعة التعليم، ومنح جوائز للبعض من أهل الفكر⁽³⁾، كما كان مُحمَّد الباي الكبير محباً للعلم والعلماء، فقد أسند إليهم بعض الوظائف، وخصص لهم رواتب يأخذونها من الأعباس، فأدى ذلك إلى

(1) أحمد صديقي الدجاني، التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية، دار الإحياء الثقافي، القاهرة الطبعة الأولى، 2003م، ص113-115.

(2) صليحة بردي، المرجع السابق، ص129.

(3) كمال خليل، المرجع السابق، ص4.

التشجيع على التعليم، وكثرة طلبه العلم وشغفهم للتدريس، واشتد حرص كل فرد لطلب العلم بعد أن كان انصرفهم إلى العمل بالتجارة⁽¹⁾.

وصالح باي كان له دور كبير في النهضة التعليمية، والاهتمام بالمؤسسات العلمية، وهو مؤسس مدرسة سيدي الكتاني عام (1780م)، وعلى الرغم من الاهتمام من قبل بعض البايات إلا أن التعليم كان قائماً على الجهود الذاتية الفردية، والمؤسسات الخيرية⁽²⁾.

ويتضح دور السلطة العثمانية في مجال التعليم بالجزائر من خلال معرفة وظيفة الدولة العثمانية، حيث تتلخص وظيفة الدولة العثمانية فيما يلي:

1-الدفاع عن الولايات ضد ما يهددها من أخطار خارجية، وحفظ الأمن الداخلي واستقراره، مما أدى ذلك إلى وجود قوات عثمانية لحماية المنطقة.

2-تحصيل الضرائب، وهذا تطلب بدوره نظاماً مالياً، في التنظيم الإداري في كل ولاية، وكان رئيسه الدفتردار⁽³⁾، ونظراً لأهمية هذه الوظيفة، فقد كان يصدر بها فرمان من السلطان، فتعيين كان من صلاحيات السلطان نفسه دون غيره.

3-الفصل في الخصومات التي تنشأ بين السكان، وهذا بدوره استلزم الاهتمام بالنظام القضائي في كل ولاية.

هذه هي الأمور الرئيسية التي اهتم بها العثمانيون في البلاد، وأما شؤون التعليم ومؤسساته، فلم تدخله الدولة ضمن وظائفها الواجب عليها القيام بها⁽¹⁾.

(1) أبو راس الناصري العسكري، الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية، أبو راس الناصري العسكري، تح: حماد وبن عمر، دار الكتب العلمية، ص 45.

(2) حميد آيت حبوش، واقع التعليم في الجزائر أواخر الحكم العثماني، مجلة كان التاريخية، العدد: 37، 2017م، ص 26، بن بلة خيرة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008م، ص 129.

(3) الدفتر دار : و هي كلمة يونانية ترد ب : دفتيرا-Diphthera، بمعنى جلد الحيوان لأنه كان يستعمل للكتابة ، فالدفتر دار لغوياً هو صاحب الدفتر أو حافظ السجلات . و تعني كبير المحاسبين ، وقد أخذ العثمانيون و غيرهم من أصحاب الإمارات التركية الأناضولية التي ظهرت بعد إختيار دولة سلاجقة الروم هذا الاسم عن الإيلخانيين الذين حكموا الأناضول ، و كانوا يلقبون المشرف على الأمور المالية في إقليم من أقاليمهم بإسم دفتر دار الممالك ، بينما المشرف العام على الشؤون المالية بلقب مستوفى الممالك ، فالدفتر دار هو المشرف على الشؤون المالية .مصطفى بركات ، الألقاب و الوظائف العثمانية- دراسة في تطور الألقاب و الوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار و الوثائق و المخطوطات 1517-1924 ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 2000 ، ص : 117،118.

ومن خلال ما سبق يتضح التالي:

- 1- التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني لم يكن تعليمًا نظاميًا.
 - 2- حاز التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني باحترامهم كأفراد، وليسوا كدولة ذات وصاية.
 - 3- لم تتدخل الدولة العثمانية في النظام التعليمي ولم تعمل على تطويره.
 - 4- حافظ العثمانيون على النظام التعليمي السائد في الجزائر، والذي وصل إليها من كان قبلها.
 - 5- ويدوا ان الفضل للعثمانيين في انتشار التعليم فسياساتها في البلاد لم تضع القيود والعراقيل أمام المؤسسات التعليمية.
 - 6- عناية بعض الحكام والبايات بالتعليم، والذين كان لهم دور كبير في إنشاء المؤسسات التعليمية، وتطورها.
- وبذلك يتضح أن الدولة العثمانية لم يكن لها تدخل مباشر في تنظيم التعليم والإشراف عليه، وتحديد أهدافه، وتطوير مؤسسات، واختيار القائمين عليه، حيث إنه لم يكن من ضمن وظائفها، فلقد حددت الدولة وظائفها في تحقيق الاستقرار الداخلي، وجباية الضرائب، والاهتمام بالنظام القضائي.

3/ المعلمون في العهد العثماني بالجزائر:

إن التربية والتعليم هي عملية ملازمة للمجتمعات البشرية في مختلف العصور، حيث ساهمت في تقرير مصيرها في كافة مراحل التطور، فبذلك ظلت تسير أحداث التاريخ، وتعكس من خلالها مدى الازدهار والانحطاط، فالإنسان منذ أن نشأ على الأرض فهو في صراع دائم مع الظروف المحيطة به ومع ذلك فلقد استطاع أن يؤسس المجتمع ويقوم بتنظيم حياته والسيطرة عليها، وهذا ما يجعل مهنة التعليم والعلم والمعلم من أقدم ما شهده التاريخ الإنساني، فهي مهنة تستعص على الزوال وهي مهنة مهمة من أجل أي مجتمع لكي يعيش ويتعايش ويتماسك بعيداً فأأي مجتمع ينشد الرقي و التحضر ينبغي عليه الإهتمام بالعلم و البحث فيه.⁽²⁾

(1) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، النظم الإدارية العثمانية في البلدان العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية، مجلة الدارة، العدد: الأول، 1403هـ، ص 104-105.

(2) حبيب بن صافي، صورة المعلم في ثقافة المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، الجزائر، 2006م، ص 15.

إن المهمة الكبرى للمعلم تتركز في خدمة العلم والمجتمع، فهو الذي يمثل العلم ويضعه في عقول الناشئين والشباب ويقوم بتنمية أفكارهم ويحيي عقولهم وإنه عدة الأمة في سرائها وشدتها ورخائها، فهو باعث الحياة وعنوان رقي الأمم و المجتمعات فالمعلم في الجزائر في العهد العثماني⁽¹⁾، فهو القلب النابض في الجسد و الشخص المكلف بنقل العلم الذي قام بدراسته جيلاً بعد جيل، فهو الحامل للعلم، والناقل له وهو بذلك يمثل الأهمية الكبرى في العملية التعليمية في كافة الأمم، وهو بمثابة قائد الكتبية التعليمية في كافة العصور وفي كافة الدول.⁽²⁾

1.3 تصنيف المعلمين :

لقد انقسم المعلمون في العهد العثماني في الجزائر إلى صنفين:

1-مُعَلِّمو المدن .

2-مُعَلِّمو الأرياف.

وفي كلا الحالتين تميز المَعْلَمُ بالدرجات التالية:

-**الدرجة الأولى:**وقد كان هو المؤدب للصبيان، إذ كان يباشر التعليم الابتدائي المتصل إلى أن يقوم الطفل ببلوغ سن المراهقة .

-**الدرجة الثانية:** وهو المَعْلَمُ أو المدرس، إذ كان يباشر التعليم للفتيان من تلك السن إلى سن العشرين.

-**الدرجة الثالثة:** هو أستاذ وشيخ، إذ كان يدرس لما فوق ذلك من الأعمار والمستويات.

لم يكن اختيار المعلم وتعيينه وظيفة الدولة العثمانية، حيث كان يقع اختياره على عاتق الأهل، فقد كان أهل الحي أو الواقف هم الذين يقوم باختيار المؤدب للصبيان في المدن، وفي بعض الأحيان يتم اختياره من قبل العائلة التي سيعلم لها أطفالها وخصوصاً البنات تعليماً خاصاً، وكان بعض الواقفين يوقفون على تعليم القرآن، وإنشاء الكتاتيب، ويشترطون في هذا الأمر أن يكون المؤدب أو المعلم من العثمانيين، أو من أهل الأندلس أو من الشرفاء.⁽³⁾ وبذلك يكون اختيار

(1) نفسه .

(2) حبيب بن صافي ، المرجع السابق ، ص 5.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ، ص :322.

المعلم مهمة الأهل، وأحياناً يقوم أصحاب الوقف بتحديد من يتولى التدريس في المدرسة التي يوقفون عليها.

لقد انبنى النظام التعليمي في الجزائر العثمانية على الكتاتيب القرآنية والتي كانت القرى والمدن في ذلك الوقت مليئة بها، فقد كانت بمثابة مدارس صغيرة يقدر على فتحها كل معلم قرآن لديه طموح ، فقد كان المعلمون يقومون بتحفيظ الأطفال وتلقينهم القراءة، والكتابة وبذلك يؤهلونهم لدراسة القرآن الكريم وفهم معانيه.⁽¹⁾

و يتضح لنا من خلال ما إطلعنا عليه من مصادر أن الحركة التعليمية وحركة المعلمون في الجزائر العثمانية تميزت بالنشاط المستمر، ذلك لأن تكوين المعلمين لم يكن له مدرسة أو مدينة بعينها، فقد كانت شهرة المعلمين في ذلك الوقت أو المدرسين هي التي تحدد مكانته ، وكان الطلاب يقومون بقصد المعلم الذي ذاع صيته في القرية أو المدينة، وذاعت شهرته في ذلك الوقت، فعندما يقرر الطالب، أو الطفل، أو أهل الطفل أن يعلموا أبنائهم، فإنهم يبحثون عن المعلم ذي الصيت العالي، والشهرة الواسعة، حتى وإن كان ذلك المعلم في مكان بعيد، فإنهم يقصدونه على أي حال كان.

لقد كان أولياء الأمور هم الذين يقومون باختيار المعلم لأطفالهم، وكان من حقهم ومن صلاحيتهم إعفاء المعلم، أو المؤدب من وظيفته، إذا تم الاشتباه فيه علمياً وأخلاقياً، واختيار مؤدب غيره؛ لأنهم هم الذين قاموا بتعيينه من أجل المهمة التربوية والتعليمية، وبالتالي فلهم الحق أن يجردوه من منصبه ، فالمؤدب يخضع لرقابة أولياء التلاميذ والرأي العام وليس للرقابة الحكومية.⁽²⁾

وليس هناك اختلاف كبير بين المعلم في الريف والمدن، فالمؤدب في الريف يشبه المؤدب في المدينة بدرجة كبيرة ولكن الاختلاف في بعض الأشياء، فأهل القرية يختارون المؤدب بطريقة مشابهة، اختلاف أن حاجتهم للمؤدب في شؤون أخرى غير تحفيظ القرآن أكثر من حاجة أهل المدينة .⁽³⁾

(1) بلبراوات بن عتو، المرجع السابق ، ص 20.

(2) أيت حبوش حميد، واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 28.

(3) نفسه .

ولم يكن وظيفة المعلم قاصرة على التعليم في المؤسسات التعليمية فقط، فقد كان أهل القرية يقومون باستفتاء المؤدب، أو المعلم في شؤون الدين و يستكتبونه العقود ويلجؤون إليه عند حدوث المشاكل، والفتن فهو محل ثقتهم وإمام لصلاتهم، ويختلف المؤدب أو المعلم في المدينة عن مؤدب القرية في أن مؤدب القرية صلته بأهالي الريف أشد، وأقوى من أهل المدينة.⁽¹⁾

إن تسمية المعلمين والمدرسين في هذه الوظيفة تأتي من حكام البلاد أنفسهم، فالتسمية تكون من الباشا، أو من خليفته، وإذا ما كانوا من الأقليات، فإنها تأتي من البايات أو من قائد الدار، هذا بالنسبة للمدن، أما في الأرياف، فقد كان المعلمون أكثر حرية من زملائهم؛ لأنهم لم يكنوا يخضعون لتسمية رسمية ومن ثمة كان رزقهم غير مقيد بالوقف ونحو ذلك.⁽²⁾

3.3 دور المعلمين في الجزائر في العهد العثماني:

لم تكن المدارس والكتاتيب تتولى التعليم وبالأخص تعليم القرآن الكريم وتحفيظه للكبار والصغار فحسب، بل كانت تلك المراكز في أغلب بيئات حاضنة للأئمة والمعلمين، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن التعليم داخل البيوتات، وفي منازل القراء والعلماء أمراً غريباً، فقد سبق المساجد نفسها، فلقد اتخذ القراء والمعلمين قديماً وحديثاً بيوتهم من أجل العلم حتى يكون مجلساً للعلم، وحلقة لتعليم القرآن للصغار والكبار والنساء، وقد يرجع الأمر في ذلك إلى أن التعليم في البيوتات كان ضرورة بسبب ما كان يعتري المساجد من اضطرابات، ومخاوف حالت دون الاستمرار فيها، فكان الحرص على القرآن الكريم أن يستمر تعليمه وتبليغه داخل بيوتات العلماء والقراء والأئمة.⁽³⁾

ولقد كان المعلم ولا يزال هو الأداة الفعالة، وأداة الأخلاق، وقلب التربية السوية والعقل المدبر، وراء اكتساب المتعلمين طرق التفكير، وأنواع السلوك الإيجابي، فهو الأداة التي من خلالها تتشكل شخصية الفرد، ويتشكل من خلالها الوعي لدى الطلاب، فهو عبارة عن أداة التواصل الإنساني في عملية نقل الثقافة، والقيم، وتعظيم الجانب الإنساني و ضمان حقوقه.⁽⁴⁾

(1) نفسه.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 322 - 323.

(3) إبراهيم بودوخة، التعليم القرآني في الجزائر خلال القرن السادس الهجري، مجلة الحقيقة، ع38، د.ت، ص 488.

(4) شبل بدران، المعلمون بناء ثقافة: دراسة للذين يتجاسرون على اتخاذ التدريس مهنة - مؤسسات إعداد وتكوين المعلم في مصر، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية، كلية التربية، مج20، ع1، 2010م، ص 24.

فالمعلمون يشكلون الطاقة البشرية التي تحرك النشاطات العلمية التعليمية في النظام التعليمي، وتتوقف مدى كفاءة وفعالية التعليم على مدى كفاءة وفعالية المعلم، ويقوم المعلم بمساعدة التلاميذ من أجل الحصول على المعارف، والعلوم، والمهارات والقيم اللازمة لهم، كأفراد، وأعضاء في المجتمع، والتي يتضمن محتوى مقرراتهم الدراسية كما أن العبء الأكبر يقع على عاتق المعلمين في تعليم الطلبة، ونقل المعارف، والمعلومات إليهم.⁽¹⁾

شهدت مراكز التعليم في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (القرن الثامن عشر الميلادي) حركة علمية نشطة، حيث برزت منافسة واضحة بين المعلمين والمدرسين، مما أدى إلى تطور كبير في أساليب التعليم وانتشار المعرفة.

1- ابن العطار أحمد القسنطيني عين مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة ثم تولى الإفتاء في المذهب المالكي، له تعليق على الجوهر المكنون للأخضري المعنون بسلم الوصول⁽²⁾

2- العالم ابن زرفة محمد المصطفى بن عبد الله تولى الكتابة لباي وهران محمد ابن عثمان الكردي، وبعد استرجاع وهران تولى قضائها⁽³⁾.

3- ابن العنابي محمد بن محمود من كتاب الداوي أحمد باشا، درس بمسجد أبي مروان البوني من مؤلفاته "السعي المحمود في نظام الجنود".

4- محمد الشارف الذي درس بمعسكر أواخر القرن الثامن عشر.⁽⁴⁾

ومن أشهر مدرسي علم التفسير:

1- محمد بن علي بهلول.

2- ابن لؤلؤ التلمساني.

3- أبو رأس الناصري.

4- سعيد قدورة.

5- أحمد بن عمار.

(1) درام الشيخ، المرجع السابق، ص 26.

(2) مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، إشراف: رابح خدوسي، منشورات الحضارة، 2014م، ج 1، ص 71.

(3) نفسه، ص: 123.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص: 325.

فالشيخ أبو رأس الناصري اجتمع في مجلسه أكثر من أربعمئة طالب ، وذكر ابن حمادوش أن الشيخ أحمد الوزيري المغربي ، لما زار الجزائر سنة 1159 هـ/ 1746م، اجتمع إليه الطلبة من أجل دروس التفسير فقال: "وفي يوم الأربعاء رابع شوال كلف الطلبة الشيخ الوزيري ؛ ليريهم كيف يتدئ الناس التفسير، فاجتمعوا له ضحى في مسجد المدرسة الجامع الكبير ، فأمر سيدي الحاج أحمد بن مسعود أن يملئ عليه فأملئ، والواضح من سياق الكلام أن هذه الطريقة في التفسير كانت معتمدة في المدارس".⁽¹⁾

لقد كانت المدارس الابتدائية تتبع دائماً زاوية معينة، أو مسجداً معيناً كما كانت نفقات صيانتها، أو الاعتناء بها تؤخذ من عائدات أحباس المسجد أو تلك الزاوية وكان الأستاذ يعينه الناظر المتصرف في الأوقاف وذلك بتوصية من أرباب العائلات ويخصص له داراً من أجل الإقامة تابعة للأوقاف، وكان المعلم أو الأستاذ عادة لا يتحمل عبء التعليم فقط، وإنما يعمل إلى جانب ذلك رفعه للآذان والإمامة وفي المقابل كان يتلقى من أولياء التلاميذ:

- تبرعات في فترات مختلفة يكون خلالها الولد قد حفظ جزءاً من أجزاء القرآن الكريم، وتقدر بأحد عشر فرنكاً.

- هدايا بحلول عيد من أعياد السنة البالغ عددها 11 وقيمتها 5 فرنكات.

- منحة مالية بحسب الوضع المادي لكل عائلة، ويمكن تحديدها بأربعة عشر فرنكاً.⁽²⁾

ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي:

- 1- المعلم هو ناقل المعارف والعلوم، والآداب عبر الأجيال.
- 2- انقسم المعلمون في العصر العثماني إلى معلمي الأرياف، ومعلمي المدن.
- 3- كان المعلمون في الأرياف أو المدن ثلاث درجات.
- 4- كان اختيار المعلم في المؤسسات التعليمية بالجزائر في العهد العثماني يقع على عاتق أولياء الأمور، أو يقوم بتحديدده صاحب الوقف.
- 5- كان لصيت المعلم وشهرته دور كبير في اختياره للتعليم، أو التدريس.

(1) دهبية بوشيبة، العلم والعلماء ...، المرجع السابق ، ص 123 - 124.

(2) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1900)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009م، ص

- 6- لم يكن هناك كبير اختلاف بين المعلم في الريف أو المدينة.
- 7- وظيفة المعلم لم تكن قاصرة على التعليم فقد كان يقوم بالأذان والإمامة.
- 8- كانت تسمية المعلمين أو المدرسين في المدن تأتي من قبل الحكام، أما في الأرياف فلم يخضع المعلمون لتسمية رسمية.
- 9- انقسم الأساتذة في الزوايا إلى ثلاثة أقسام: أساتذة دائمين، وأساتذة فصل، وأساتذة زائرين.
- 10- كان المعلم يتلقى من أولياء الأمور العديد من الهدايا والمنح.

4/ التلاميذ بالجزائر خلال العصر العثماني:

يُعدّ التلاميذ العنصر الأساسي في أي نظام تعليمي، حيث يمثلون المحور الذي تدور حوله العملية التعليمية، فتميتهم هي عبارة عن تنمية للدولة بأكملها، وخراجه يعتبر خراب للدولة بأكملها، وتؤثر اتجاهاتهم، وميولهم التعليمية إلى درجة كبيرة فضلاً عن أنهم في النهاية يكونون المخرجات الرئيسية للنظام التعليمي باعتبارهم المادة الخام التي تقوم بتشكيل، وتكوين المخرجات.⁽¹⁾

إن التلاميذ هم الركن الثاني من أركان العملية التعليمية في مختلف البلاد فلقد كان التلاميذ أصناف فمنهم من كان يلتحق بالتعليم الابتدائي، وهؤلاء تتراوح أعمارهم ما بين 6 سنوات إلى 10 سنة والصنف الآخر هو الأكبر سناً ويواصل التعليم الثانوي. وكان عدد الطلبة في ذلك الوقت يختلف من فترة لفترة أخرى ويتوقف أيضاً على مساهمة الوقف في ذلك، فإذا كانت المصادر تجمع على أن الانتشار الواسع للتعليم بكافة صوره، وعلى أن كل طفل من الأطفال يجد له مكاناً في الكتاب، فلا بد من التنويه إلى أن هذا الحكم ينطبق على الذكور فقط بينما الإناث، فإن تعليمهم كان شبه معدوم.⁽²⁾

والجدير بالذكر أن خلال العهد العثماني في الجزائر لم تكن هنالك قواعد تقوم بضبط حركة التلاميذ أو كيفية التحاقهم بالتعليم، إذ أن دور العائلة وسمعة المتعلم هي التي تلعب دوراً كبيراً في هذا الأمر، فلقد كان التلاميذ للمرحلة الابتدائية في غالب الأمر يدرسون بالقرب من محل إقامتهم، فإن الأمر يختلف مع التعليم الثانوي، فالأول يعود إلى انتشار الكتاب في مختلف القرى

⁽¹⁾ درام الشيخ، المرجع السابق، ص 26.

⁽²⁾ صبيحة مجوش، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 1، ع 2، د. ت، 144 - 145.

والمدن بينما الثاني غير ذلك؛ مما أدى إلى أن الطلبة ينتقلون إلى مناطق ربما تكون بعيدة عن بيوتهم وذلك رغبة في التزود بالعلم.⁽¹⁾

فعندما يقوم التلميذ بالحضور للكتاب أول مرة، فإن الفقيه يعطيه لوحة ويسجل عليها سورة الفاتحة، ثم يقوم المعلم بتلقين التلميذ هذه السورة جملة من أجل أن يحفظوها سماعاً بدون تهجين، وبدون فهم، فإذا ما حفظها في أسبوع مثلاً يحوها بماء طاهر، ثم يقوم بدهانها بمادة الصلصال، ويتركها في الشمس، أو قرب النار من أجل أن تنشف، ثم تسطر بقلم الرصاص ويقوم المعلم بكتابة سورة الناس من أجل الحفظ والتلقين، وبالسماح وهكذا صعدا مع المصحف.⁽²⁾

أما بالنسبة لحروف الهجاء، فإنها تبقى مسجلة في تلك الجهة من اللوحة لمدة أشهر حتى يقوم التلميذ بحفظها عن ظهر قلب يحفظها أولاً بأسمائها، ألف، باء، تاء، .. ياء، ثم ينتقل التلميذ بعد ذلك إلى نطقها باللغة العامية، ثم ينتقل التلميذ بعد ذلك إلى معرفة صور الحروف وأشكالها، ومعرفة وجه الشبه بينها، وبين بعض الأدوات المحسوسة التي يشاهدها التلميذ كل يوم وينطق بها.⁽³⁾

أما التلاميذ باعتبارهم محور للعملية التعليمية فقد كان سنهم يتراوح بين السادسة والرابعة عشر يقومون بحفظ القرآن الكريم وقواعد الدين والكتابة وأوليات الحساب، كما يمكن للتلميذ أن يكون مساعداً للمؤدب في عملية تعليم الأطفال الأصغر منهم، فمثلاً قسنطينة كان يوجد بها تسعين مدرسة ابتدائية قد ضمت حوالي ألف وثلاثمائة وخمسين تلميذاً، أما مدينة الجزائر فقد ضمت حوالي ألفين تلميذ حيث كان سكانها حريصين كل الحرص على تعليم أبنائهم في المرحلة الابتدائية، التعليم العالي، والثانوي كان أمره مختلف عن التعليم الابتدائي، فهو أساس التعليم المجاني فالطالب لا يدفع شيئاً، بل هو المدفوع له، حيث يمكنه التحصل على السكن والماء، والأكل والحلوى وفي بعض الأحيان كان يقتضى مبلغاً نقدياً من الوقف على أنها منحة

(1) نفسه.

(2) مختار تاروي، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، إنسانيات، ع14-15، 2001م، ص

9.

(3) نفسه.

سنوية مقدارها ست وثلاثون فرنكاً ثلثي هذا العدد من الطلبة كانوا في الأرياف يقيمون في الزوايا يدرسون في المدارس والمساجد.⁽¹⁾

حيث يقوم الطالب في بعض الأحيان بملازمة شيوخه سنوات طويلة، أو شهوراً عديدة يحضر فيها الجلسات، ويشارك في الحلقات المتنوعة، ويجمع فيها الشارد والوارد، ويبرهن على الطاعة والإعجاب، ويكون ختم الكتاب فرصة لاحتفال كبير تلقى فيه الأشعار، وتعمه البركات، ويغادر بعد ذلك عدد من الطلبة الجزائر راجعين إلى أهلهم.⁽²⁾

لقد كان في مدينة قسنطينة حوالي خمسة وثلاثون مسجداً وسبع مدارس، كانت تتسع لعدد من التلاميذ يتراوح ما بين 600 و 700 ويتلقون فيها تعليماً يعرف بالتعليم الثانوي، بالإضافة إلى دروس أخرى كان يلقيها أشخاص لهم مكانة وسمعة عالية واسعة، يحضرها جمع كبير من الطلاب والمستمعين في المساجد لكثرتهم، وفي نفس الفترة كان بمدينة قسنطينة تسعون مدرسة ابتدائية يتردد عليها حوالي 1350 طفلاً.⁽³⁾

فالتلاميذ كان عددهم 15 ولداً بكل مدرسة يدخلونها عند سن السابعة، وفيها يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن وكان تعلم المادتين الأوليين يستغرق عادة سنتين في حين يتطلب حفظ القرآن الكريم خمس سنوات، إلا أن أغلب التلاميذ يغادرون المدارس عند نهاية السنة الرابعة كما أن دراستهم للقرآن الكريم كانت تقتصر على عملية تنمية الذاكرة، ولا تتعداها إلى شرح وتفسير آياته المحفوظة بالتتابع.⁽⁴⁾

-تلاميذ الريف وتلاميذ الحضر وأهلهم :

كل أسرة من الأسر يتقدم أطفالها في التعليم تعتبر محظوظة وسعيدة، فهي تعبر عن فرحتها من خلال عمليات الاحتفال المتعددة عند ختمه للقرآن الكريم، فتقيم المأدبة تدعو إليها الأطفال كما يشترك فيها الجيران أيضاً، وعادة ما تكون هذه المأدبة مناسبة غبطة للتنافس، وتشجيعاً

(1) درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10هـ - 13 م / 16م - 19م) بين التأثير والتأثر رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، الجزائر، 2015م، ص 65.

(2) مولاي بلحميسي، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، ج2، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م، ص 33، 34.

(3) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 217.

(4) نفسه، ص218.

للأطفال، والحذو نحو الطريق الذي سلكه أولئك المجتهدين من الأطفال حتى يسعوا سعيهم ويحققوا ما حققوا⁽¹⁾.

فمن عادات الحضر في الجزائر في هذه المناسبة أن يقوم الطفل بالركوب على حصان مزخرف يقوده، زملاؤه من الأطفال في الكتاب، ويقومون بالطواف به في شوارع المدينة معلنين بذلك نجاحه وتهنئته في أصوات مطربة، كما أن الأهل يجتمعون من أجل تحية الطفل وتهنئته بأجل التهاني ويقدمون إليه الهدايا⁽²⁾.

ومن عاداتهم أيضاً أن يلبس الطفل أجمل الملابس الجديدة، حيث تعتبر مناسبة ختمه للقرآن الكريم مناسبة لا تتكرر، ومناسبة تعتبر تحقيقاً لأمل كبير للأسرة وهو حصول طفلهم على لقب (طالب)، ومن هذه اللحظة فإن الطفل يدخل مرحلة جديدة، فإما أن ينخرط في سلك الطلبة، ويتابع دراسته في الثانوية، وإما أن يصبح مؤدباً، وإما أن يدخل ميدان التجارة مع أهله، وإما أن ينضم بعد فترة من الزمن إلى الجيش، غير أنه ليس كل الأطفال قادرين على مواصلة تعليم طفلهم، فأبناء الأغنياء هم في عادة الأمر يواصلون تعليمهم، أما أبناء الفقراء فكثيراً ما يتدهور بهم الحال نظراً لعدم مقدرة أهل الطفل على استمرار تعليمه فينصرف عن التعليم⁽³⁾.

المبحث الثاني: المناهج التعليمية بالجزائر في العهد العثماني

1/ مناهج التعليم الابتدائي بالجزائر في العهد العثماني:

اعتمدت مناهج التعليم وأساليب التدريس في الجزائر العثمانية على النظم المتوارثة من العهود السابقة، مما منحها طابعاً تقليدياً يقوم على البساطة والتلقين وقد انعكس هذا النهج بوضوح على التعليم الابتدائي، حيث ركز على تعليم أساسيات الدين الإسلامي و انتشر التعليم في الجزائر العثمانية⁽⁴⁾ فطبيعة التعليم الذي كان سائداً آنذاك بالجزائر كان ذا طابع عربي إسلامي، قائم بحد ذاته على العلوم الشرعية⁽⁵⁾ وبالتحديد الدراسات الإسلامية فهو تعليم عربي إسلامي،

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 332.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) أحمد المقرئ، المصدر السابق، ص: 59.

(5) يشير سعد الله أن المقصود بالعلوم الشرعية: الدراسات القرآنية كالتفسير والقراءات، والحديث: كرواية الحديث و درايته، بما في ذلك الأثبات- بمعنى الفهارس أو البرامج، التي كان العالم يسجل فيها مرويياته في الحديث بالسند و الكتب التي قرأها مثل صحيح البخاري وغيره

يعتمد على اللغويات والأدبيات وقليل من الدراسات العلمية، وكان التعليم في تلك الفترة ينقسم إلى تعليم ابتدائي، وتعليم ثانوي.⁽¹⁾

1.1- التعليم الابتدائي:

لقد كان التعليم الابتدائي منتشراً في الجزائر في العهد العثماني بكثرة بعد أن قامت الكتاتيب القرآنية بأمره، فلا تخلو قرية أو حي من المدارس القرآنية حتى الأرياف كانت بها مدارس قرآنية، وكانت المرحلة العمرية بالتعليم الابتدائي بين السادسة والعاشر⁽²⁾ يذهب الطفل إلى المدرسة هذا بخصوص الذكور، أما بخصوص الإناث فقد كانت الإناث لا تذهبن إلى المدرسة إلا نادراً، ولكن أصحاب النفوذ الواسعة والبيوتات الكبيرة كانوا بناتهم الأوفر حظاً في التعليم، يجلبون الأساتذة المعروفين بصلاحتهم، وعلمهم من أجل تعليم البنات، وقد أشار أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي إلى ذلك: "ولعل من سيئات العهد العثماني أيضاً عدم إعطاء المرأة نصيباً من التعليم. ورغم أن هذه المسألة ليست خاصة بالجزائر فالظاهر أنها كانت فيها أكثر حدة ذلك أن المرأة الجزائرية المسلمة كأنها كانت غائبة طيلة هذا العهد علي المسرح الرسمي. فلا أميرات ولا سيدات مجتمع يشاركن في الحياة العامة ويكن قدوة للأخريات، ولا شوارع أو كواكب يسهمن في الحياة الثقافية و ترقية الذوق الاجتماعي..."⁽³⁾

من الكتب الستة المشهورة - والإجازات و الفقهية من العبادات و المعاملات كالنوازل - بمعنى الفتاوي - وعرفت هذا النوع من الدراسات إنتشار واسع خلال العهد العثماني، و يجزم سعد الله أنها إنحصرت في العلوم الشرعية و الصوفية و المجالات الأدبية و هذا ما شجع الركود الفكري في هذا العهد، و أنسب العبارات التي وصفت بها العلوم الشرعية: التقليد و التكرار، والحفظ. ماعدا قلة منهم كانوا ميزة عصرهم: كعبدالكريم الفكون في القرن السابع عشر، و أحمد بن عمار في القرن الثامن عشر، و محمد ابن العنابي في أوائل القرن التاسع عشر الذي دعا إلى إستعمال الإجتهد و الأخذ بأسباب الحضارة الغربية و الحد من نشاط الدراويش اللذين شوهوا المجتمع الإسلامي، و ابن العنابي عاش عصراً حافلاً بالإضطرابات السياسية. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 9.

⁽¹⁾ صبيحة مجوش، المرجع السابق، ص 143. ينظر: حول نوع التعليم:

-Venture de paradis,Alger au 18^{eme} siècle.alger:Imprimeur libraire,édité par:E.faghan,1898,p:158.

⁽²⁾ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، 161، 162.

⁽³⁾ وربما عن تعليم المرأة يرجع إهمالها إلى قلة الوثائق التي تحدثت عن هذا الأمر، و ربما تعود إلى المكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها المرأة الجزائرية و منع الأغراب من الإقتراب منها و إحتكاها بالعالم الخارجي، و هذا لا ينفي صفة العلم، كما قال سعد الله المرأة المتعلمة لم تكن "كبيض الأنوق" وذكر نماذج مصغرة عن المرأة المتعلمة على سبيل المثال والدة العالم: أبو راس الناصري التي كانت على درجة كبيرة من العلم=

وبخصوص المدة التي يقتضيها التحصيل المعرفي في التعليم الابتدائي في الجزائر العثمانية، كانت محددة بحوالي أربعة سنوات⁽¹⁾، يتعلم فيها الطفل المبادئ العامة للقراءة، والكتابة، ويقوم بحفظ القرآن الكريم، والشعائر الخاصة بالدين الإسلامي، وكذلك أركان الإسلام، فإذا كان الفقراء يكتفون بهذا القدر من التعليم فإن الأغنياء يقومون بمواصلة تعليمهم، وذلك لعدم تمكن الفقراء من سد حاجات التعليم والإنفاق عليه، أما الأغنياء فلقد كانت لديهم الإمكانيات التي تؤهلهم لاستكمال مراحل التعليم المختلفة، فيكملون التعليم الثانوي.⁽²⁾

لقد كان التعليم الابتدائي في الجزائر العثمانية تتولاه المدارس القرآنية، فلقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن الجزائر العاصمة كان بها حوالي 1000 مدرسة تختص بالتعليم الابتدائي، فهو الأساس للتعليم الابتدائي، وعادة ما يخصص من أجل حفظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئه وتربية الأطفال النشء على الأخلاق الطيبة الحميدة التي تتماشى مع تعاليم الإسلام الكريم.⁽³⁾

2.1- مناهج التعليم الابتدائي:

لقد أشاد العديد من المؤلفين بالطريقة التعليمية الجيدة التي كانت متبعة في مستوى التعليم الابتدائي، فلقد كانت العلاقة جيدة بين الأستاذ والتلميذ تقوم على مبدأ الاحترام في التعامل، والاحترام في تقبل الآخر، واحترام الطالب للمعلم حتى من طرف المجتمع كله، وتظل هذه العلاقة محفوظة حتى عندما يصبح التلميذ رجلاً كبيراً، حاملاً للمسؤولية، فهو ينظر دائماً إلى معلمه وأستاذه نظرة الاحترام، فهو بمثابة والده الروحي. لقد كان التعليم في المرحلة الابتدائية يقتصر على تعليم القراءة والكتابة وعملية إتقانها من أجل التمهيد لحفظ القرآن الكريم، ومبادئه الأساسية، ومبادئ الحساب.⁽⁴⁾

=حتى شبت برابطة العدوية في العلم و التقوى ، و كذلك زوجات الوترلاني فكانوا أهل علم و كانوا يقومون بنسخ الكتب الفقهية. أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 336، 337 .

(1) يتم في هذه المدة الزمنية تزويد الطفل بكل ما يحتاجه من مبادئ لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وأركان الإسلام وشعائر الدين ، والفقراء كانوا أقل حظاً في مواصلة الدراسة ، بينما الأغنياء كان بإمكانهم مواصلة التعليم نظراً لمستواهم المعيشي الجيد ، أبو القاسم سعد الله ، محاضرات ..، المرجع السابق ، 164.

(2) صليحة بردي، المرجع السابق ، ص 132.

(3) صبيحة بحوش، المرجع السابق ، ص 143.

(4) آيت حبوش حميد، واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، المرجع السابق ، ص 29.

والظاهر لنا أن طرق التعليم في الجزائر في العهد العثماني جيدة ومناسبة مع بساطة التعلم، ومادته الثقافية حيث تراعى تطوير قدرات ومهارات التلميذ على القراءة والكتابة حيث تجعله يتعلم الطريقتين في وقت واحد فطريقة التدريس والتعليم الابتدائي كانت طريقة بسيطة، فالمعلم يجلس متربعا على حصير، وظهره على الجدار، ويده عصا طويلة يستعين بها من أجل حفظ النظام، وإثارة انتباه الطلبة.⁽¹⁾

ويذهب التلميذ إلى الكتاب مرتين في اليوم، وكل مرة يبقى التلاميذ مدة تقارب الساعتين، وجرت العادة أن الجلسة الصباحية أي المرة الأولى هي المهمة، حيث يتم فيها المحو، والكتابة، والاستظهار، فالتلميذ في صباح اليوم، وعند طلوع الشمس من مشرقها يقوم باستظهار درسه بنفسه، فيأخذ لوحته، ويقرأ فيها بعض الوقت، أو يقوم باستظهار درسه مع معاونه الذي يساعده، فإذا تأكد من أنه قام بحفظ الدرس تقدم للمعلم، واستظهره عليه، فإذا شعر المؤدب أن التلميذ قد أتم الحفظ، أذن له بمحوه، وهكذا يذهب الأطفال الطفل تلو الآخر من أجل محو ألواحهم وتحفيفها في الشمس، أو عند المدفأة، ثم يعودون بها مصقولة جافة، ويجلسون بالقرب من المؤدب ويكتبون آخر الآية الموجودة في درس الأمس كعبارة عن بداية للدرس الجديد، فينطق المؤدب بتلك الآية، ثم يرددون وراءه، فيكمل المؤدب الإملاء تلقائياً إلى أن يشير على التلميذ بأن يتوقف عند نقطة معينة، وذلك بناء على قدرة الطفل ومستواه في الحفظ وسنه ويشترط أن يكون المؤدب من أهل العلم وصلاح حافظاً لكتاب الله مترفعاً عن ملذات الدنيا مؤدياً نصف دينه (الزواج)⁽²⁾

وهناك عقاب للتلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي من ضمنها:

أ-التأنيب بالكلام: وهي تمثل أخف مرحلة للعقاب.

ب-تسليط الفلاحة عليه: وهي تمثل أقصى مرحلة للعقاب.⁽³⁾

2/ مناهج التعليم الثانوي بالجزائر في العهد العثماني:

⁽¹⁾ نفسه .

⁽²⁾ منصور درقاوي ، المرجع السابق ، ص : 64 .

⁽³⁾ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 340.

لقد اختلف أعداد الطلبة في التعليم الثانوي من عهد لآخر باختلاف الظروف السياسية، وحالة الأسرة، ودخل الأوقاف، أو ميزانية الوقف، فكانت تحوى هذه المرحلة من التعليم ما بين ألفين وثلاثة آلاف طالب في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة أي حوالي تسعين ألف طالباً في كل القطر كله.⁽¹⁾

إن التعليم الثانوي في ذلك الوقت بالمجان-بدون دفع مبالغ مالية -⁽²⁾، ويحدث كل طالب على منحة مالية إلى جانب الأكل والسكن إن كان بعيداً ويتم التعليم في المساجد الكبرى وبعض الزوايا من بينها :

-الجامع الكبير في تلمسان.

-جامع سيدى العربي.

وفي الجزائر العاصمة:

-زاوية القليعة.

-وزاوية مليانة.

وفي الشرق:

-جامع سيدى الأخضر بقسنطينة.

-زاوية سيدى عقبة بيسكرة.

لم يكن التعليم على هيئته اليوم، ونظامه من إلزام المعلم ببرنامج معين، ووقت محدد، فقد كان المدرس حر في وضع البرنامج الدراسي وفي تحديد الأوقات للتدريس ، فبعضهم كان عد دروسه في الصيف ويقوم بإلقائها في الشتاء ،وكانت ميزة الدروس في التعليم الثانوي والعالي هي عملية الشرح والإملاء ، أما ميزة المدرس أو الأستاذ فهي عملية الحفظ والرواية، والمدرس الكفاء هو الحافظ للعلوم بأسانيدها، فليس المراد حفظ المتون ونحوها بل حفظ بعض الكتب كاملة .⁽³⁾

إن الطالب بعد الانقطاع بالمسجد أو المدرسة من أجل أن يقوم بمتابعة دراسته في التعليم الثانوي أو التعليم العالي، وفي هذه النقطة ينقسم الناس إلى طبقات فمنهم الطبقة الفقيرة، أو

⁽¹⁾ منصور درقاوي، المرجع السابق، ص 65.

⁽²⁾ وهو ما أشار إليه سعد الله بقوله : " كان التلميذ يستطيع أن يواصل تعليمه الثانوي في الجامع أو في المدرسة ملحقة بالأوقاف . وكان التعليم مجانياً.... " ، أبو القاسم سعد الله ، محاضرات ، ص : 163 .

⁽³⁾ آيت جبوش حميد، المرجع السابق، ص 29.

الطبقة القادمة من مكان بعيد، فإنه يعطى سكناً في الزاوية المعدة من أجل استقبال الطلبة الفقراء الغرباء، وقد لا يجد سكناً في الزاوية، ولكنه يجد فيها الطعام، كذلك قد يحدث العكس، فيجد السكن، ولا يجد الطعام بسبب أن هذه الأمور تخضع لنصوص الوقف وإمكانياته ويخضع أيضاً لإمكانيات الزاوية من هدايا الناس إليها، وما يرد إليها من موارد مالية.

فمن عادة الطلبة أنهم لا يقومون بالدراسة في مدتهم، أو الجهة التابعة لهم، بل يتعدون عن جهتهم التي نشأوا بها، فيقصدون الزوايا البعيدة التي اشتهر فيها بعض المدرسين، أو اشتهرت بأنها قد أخرجت وأنجبت العديد من العلماء الأكفاء مثل مدرسة مازونة، وزاوية ابن علي الشريف، والجامع بالعاصمة.⁽¹⁾

وكان بعض المدرسين يقوم بإلقاء دروسه ثلاث مرات في اليوم الواحد، وكان بعضهم يقوم بإلقائها في الصباح عند شروق الشمس مرة واحدة فقط أو بعد الظهر، أو يلقيها مرتين في النهار، وقد لا ينقطع بعض المدرسين عن التدريس طوال النهار، فلقد كانت الدروس في عادة الأمر بعد الظهر وبعد العصر وفي الصباح، ومما يجدر ذكره أن علي بن يحيى السلوكسني الجاديري كان محققاً في العلوم، وأكثر عمليات التحقيق في الفرائض والحساب والرسالة ومختصر خليل، وعقائد السنوسي، وأحكام القرآن الكريم، فلقد كان هذا الأستاذ العظيم يقوم بتدريس العلم طوال نهاره، ولا يفترق عن الدرس إلا في وقت الأذان ووقت الصلاة، فإذا أراد أن يؤذن يذهب معه القارئ يطلع معه في الصومعة يقرئه في طريقه ذهاباً وإياباً ورجوعاً.⁽²⁾

1.2- تلقى العلم في المرحلة الثانوية ومناهجه:

لقد كان يتلقى العلم في المرحلة الثانوية حوالي 3000 تلميذاً في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة، فلقد كانت الدروس تشتمل على النحو، والقرآن، والتفسير ففي نهاية المرحلة الثانوية ينال التلميذ شهادة، وتسمى بالإجازة وقد أسلفنا الحديث عنها وهي بمثابة الشهادة اليوم فهي تشهد له بأنه قد درس جميع العلوم التي في تخصصه، فإن الإجازة ليست شهادة مكتوبة باليد، ولكنها عبارة عن تعبير شفوي من المدرس للتلميذ شهادة على أنه أتم الحفظ، فليس هناك فصل

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص: 343.

(2) أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف الملبتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبع في المطبعة النعالبية، 1908م، ص 145.

واضح بين التعليم الثانوي والتعليم العالي، والأستاذ الذى يدرس في العالي يسمى عالماً أما عدد الطلبة فلقد كانوا بين 600 إلى 800 في كل إقليم يواصلون تعليمهم العالي.⁽¹⁾

فنستنتج مما سبق ان التعليم اتسم في الجزائر خلال العهد العثماني بالبساطة واعتماده على أساليب تقليدية، حيث كان يركز بشكل أساسي على المعلم وما يحدده من مواد دراسية. ومع ذلك، كان للطالب حرية اختيار المعلم والتخصص الذي يرغب في دراسته، مما أتاح له فرصة مواصلة تحصيله العلمي. وتمكن البعض من التدرج في مسيرتهم التعليمية حتى ينال الإجازة العلمية، التي كانت تؤهلهم لاحقاً لتولي مناصب مهمة مثل التدريس، الإفتاء، أو القضاء.

ونستنتج كذلك أنه لم يكن هناك نظام تعليمي محدد بمقررات وبرامج دراسية سنوية يخضع لها الطلاب، بل كانت المناهج تعتمد على اجتهاد المعلم وتُحدد من خلال الكتب المعتمدة في التدريس. كما لم تكن هناك اختبارات فصلية أو سنوية لتقييم قدرات الطلاب الاستنتاجية والتحليلية، بل كان الطلاب يواصلون تعليمهم بحرية لدى الأساتذة الذين يختارونهم.⁽²⁾

وهذا ما يجعلنا نطرح التساؤل الآتي : كيف كان يتم اختيار المواد الدراسية في النظام التعليمي آنذاك؟

3/ المواد التعليمية بالجزائر في العهد العثماني.

كما سبق ذكره من قبل فإنه لا يوجد فرق واضح بين التعليم الثانوي، والتعليم العالي، فإن المواد التي يتم تدريسها في تلك المراحل هي:

- النحو.
- الفقه.
- المعاملات.
- التفسير.
- الحديث.

(1) السياسة العثمانية بالجزائر لم تهتم بالتعليم، فكان همها الشاغل المحافظة على الإستقرار السياسي و الدفاع عن الحدود و جمع الضرائب و تركت المشاريع و الخدمات الإجتماعية للمبادرات الفردية أو لرعاية المؤسسات الخيرية، وقلما إهتم حكام الجزائر بإنشاء المباني التعليمية، فما يتعلق بالتعليم العالي أو الثانوي فكان قليلا. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص: 319، 320. ينظر: المحاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، المرجع السابق، ص 165.

(2) العيد مسعود، المرجع السابق، ص 67.

- الحساب.
- الفلك.
- الطب⁽¹⁾ والتاريخ .

لقد كان يعيب الدراسة أنها كان يغلب عليها طابع العصور الوسطى، وقلة الحفظ، وعمليات التجديد، وهناك العديد من الجزائريين الذين درسوا، وتخرجوا بهذه الطريقة في العهد العثماني، ولكنهم اختفوا في بداية الاحتلال ، والجزائريون المنتجون كانوا قلة، وكانت الدراسة في شكلها الموصوف تساعد على إخراج الموظفين في المجال الديني، والكتابة، ولكنها لا تساعد على إخراج المنتجين في ميادين الأدب والفكر⁽²⁾.

إن المواد الدراسية مثل المواد الرياضية ومواد الطب لم تكن في الغالب من البرامج العالية والثانوية واقتصرت العلوم المدروسة على العلوم الدينية، واللغوية، وبعض من كتب السيرة، وكتب التاريخ، وقانون ابن سينا في الطب، وهذه قائمة بالعلوم الدينية الشائعة، والتي كانت في ذلك الوقت كملح الطعام في كل من مجالس العلم:

- الحديث الشريف: صحيح البخاري.
- تفسير القرآن الكريم: تفسير السيوطي، وتفسير الثعالبي.
- مصطلح الحديث: ألفية العراقي.
- الفقه المالكي: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر ابن الحاجب الفرعي.
- الفقه الحنفي.
- أصول الفقه، وأصول الدين للسبكي، ومختصر ابن الحاجب .
- القراءات بمنظومة الجزري، والخراز، وابن بردي، والشاطبتين الصغرى والكبرى.

⁽¹⁾ تراجع الطب في الجزائر خلال العهد العثماني بسبب قلة الأطباء وضعف الاهتمام بهذا المجال، مما أدى إلى اعتماد السكان على الوسائل التقليدية والعلاج بالأعشاب والوصفات الشعبية، فمثلاً نال ابن حمادوش الجزائري إهتمام الغربيين امثال لوسيان ليكيرك والسيد غبريال كولان اللذان اهتمتا به لأنه ألف عن الطب الشعبي فترجم له الأول كتابه "كشف الرموز " الى اللغة الفرنسية . لمزيد من التفصيل ارجع إلى :عبد الرزاق الجزائري ،رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق ابو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1983، ص:11.

⁽²⁾ أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ، ص 165.

وليس معنى ذلك أن جميع الدروس كانت تشتمل على هذه العلوم، فلقد كانت بعض المجالس مقتصرة على علوم خاصة، كما أن الطريقة المتبعة في تدريس كل علم كان لها دخل في تحبيبه إلى الطلاب، أو تنفيرهم منه، وأيضاً لقد شاع في هذا العهد كتب دينية مشبعة بالأفكار، والأوراد، مثل: دلائل الخيرات، وتنبيه الأنام وكلها خارج حلقات الدرس.⁽¹⁾

وعلى الرغم من أن التعليم الثانوي كان أهلياً، ولم يكن نظامياً، إلا أن المؤسسات الوقفية سعت جاهدة إلى جعله أكثر نظامية، وذلك من خلال رصد المعطيات الإحصائية، ومنح الإجازات الشفوية، والتي هي بمثابة شهادة التخرج.⁽²⁾

ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي:

- 1- ساد التعليم العربي الإسلامي في الجزائر في العهد العثماني.
- 2- انتشر التعليم الابتدائي في الجزائر في العهد العثماني انتشاراً واسعاً، فدخل كل قرية ومدينة.
- 3- اقتصر التعليم في المرحلة الابتدائية على تعليم القراءة والكتابة، ومبادئ الحساب، وتحفيظ القرآن الكريم.
- 4- تميزت طريقة التدريس في المرحلة الابتدائية بالبساطة.
- 5- تنوع العقاب في المرحلة الابتدائية، فمنه الكلامي، ومنه الجسدي.
- 6- التعليم الثانوي في العهد العثماني كان مجانياً.
- 7- ليس هناك برنامج معين، أو وقت محدد يلزم به المعلم في التدريس كما هو الحال اليوم.
- 8- غلب التعليم الديني على التعليم الثانوي، وكان هناك تعليم الطب، والتاريخ، ولكنه لم يكن هو الأساس.
- 9- لعبت طريقة التدريس دوراً كبيراً في تحبيب الطلاب في المواد، أو تنفيرهم منها.

المبحث الثالث: حوافز التعليم و أهدافه بالجزائر في العهد العثماني.

1/ حوافز التعليم في الجزائر العثمانية .

في الفترة العثمانية، كان المعلم يُعرف بمكانته الرفيعة ودوره المحوري في نقل المعرفة، حيث لم يقتصر دوره على التدريس فحسب، بل كان بمثابة موجه ومُرشد ديني وأخلاقي للمجتمع. وقد اعتمد التعليم آنذاك على الطرق التقليدية، مثل التلقين والحفظ، مع التركيز على العلوم الدينية

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص: 351.

(2) صليحة بردي، المرجع السابق، ص: 133.

واللغوية ومع ذلك، كان يقع على عاتق المعلم مسؤولية كبيرة في تبسيط المعرفة وتقديمها بأسلوب يجذب الطلاب، مستخدماً أساليب التحفيز، مثل التشجيع بالمكافآت المعنوية والمادية، لضمان استمرار الإقبال على التعليم فما هي الحوافز التي كانت للتعليم في الجزائر خلال العهد العثماني؟ وكيف يتم تشجيع الطلاب على التعلم في الجزائر خلال الفترة العثمانية؟

-تعددت حوافز التعليم في العهد العثماني في الجزائر، وهي كما يلي:

(أ) - الحافز الديني:

لقد كان الحافز الأول في مجال التعليم هو الدين، فمعظم الذين يقومون بالتعليم يريدون الاستزادة في العلم من أجل استكمال حلقة الدين، وفهم مبادئه المختلفة، فليس هناك أهداف سياسية أو اقتصادية أو أغراض أخرى، فكان المتعلم مدفوعاً بدوافع ذاتية. فلقد كان العلم عبارة عن لذة وهواية يستلذ بها المتعلم، فالطالب يعرف أن حرفة العلوم غير مربحة دنيوياً ومع ذلك فلقد كان يقدم على التعليم لرغبة ملحة، وتضحية كبيرة؛ لأنه يجد فيه لذته، وإشباع لرغبته، وميوله الشخصية.⁽¹⁾

إن قوة الحافز ترتبط بقدرة الفرد حيث إن هذا الأمر يفسر على أن الفرد مستعد فسيولوجياً ونفسياً حيث يحفظه إلى إدراك هذه الدوافع، وهذا الاستعداد يختلف ما بين شخص وآخر وذلك تبعاً لتكوينه النفسي وقابليته، وإقباله على عملية الإنجاز، والثقافة التنظيمية التي تكييف سلوكه العام فقد تكفي كلمة ثناء بسيطة تقال في شكل مداعبة حافزاً يمد الفرد بمنبه يسعفه بالمدد الروحي في هذه الحياة.

فالحوافز عبارة عن مجموعة من العوامل الداخلية أو الخارجية التي تعمل على إثارة القوة الفعلية الحركية المنتجة في الفرد والتي تؤثر بالتالي على سلوكه، وتصرفاته، وتقوم بتوجيهها باتجاه معين في العمل والإنتاج والتعليم، حيث يعمل الدافع كقوة متحركة في نفس الفرد والتي تقوم بإثارة الرغبة فيه، كدفع من الداخل وبالتالي توجه تصرفاته وسلوكه في اتجاه وهدف محدد.⁽²⁾

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص : 355.

(2) فضل الله علي فضل الله، الاجور والحوافز في الإسلام قضايا منهجية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مج13، ع25، د.ت، ص

فمشاركة الأسرة في العملية التعليمية هي ظاهرة اجتماعية عرفت فيها كافة المجتمعات و من بينها الجزائر ، في ظرف غابت فيه السلط السائدة عن إدارة عجلة التعليم و تخصيص المراكز التي تبث تعليم جيد فمع الوقت لتشمل مجالات متعددة فقد كانت مشاركة الأسرة في معالجة وتقييم سلوكيات الأبناء أصبحت مشاركتهم تربوية وتعليمية لما لها من آثار في التحصيل العلمي للطلبة ومن أهمها:

-شعور التلميذ والطالب بأهميته لدى أسرته وبالتالي يكون لديه دافع الحرص على التعلم، وتحصيل العلم.

-معرفة نقاط القوة والضعف التي يعانيها المتعلم وبالتالي استدراك نقاط الضعف ببعض الاستراتيجيات، و ببعض الاهتمام والتشجيع .

ب) الحافز الأسري :

وفي العهد العثماني في الجزائر كانت تقاليد الأسرة تدفع الطالب إلى طلب العلم، فقد كانت هي المسؤولة عن دفع التلاميذ والطلاب إلى المدارس الابتدائية، والثانوية، والزوايا، والمساجد وغيرها، كما أنها كانت المسؤولة عن اختيار المعلم، أو المدرس الذي يقوم بالتدريس لأبنائهم. وكان للأسرة دور كبير في التعليم كمحفز عليه في العهد العثماني، فإذا كان والد الطفل من العلماء فإن ابنه سوف يقلده في أغلب الظن والتعلم في تلك الحالة يصبح وراثياً، فلقد كانت بعض الأسر تقوم بتوريث العلوم، كما أن هناك أسر أخرى تقوم بتوريث التجارة والمهن المختلفة ، فقد لخص " ألي نور " فيما سماه بالوالد المعلم من حيث إسهامه في خلق المناخ المناسب من أجل تحقيق التعلم مدى الحياة وبالتالي فإن هنالك علاقة بين غياب الوالدين والتعليم، وما يتعلمه الطفل في محيط الأسرة يحتل مكانة مهمة جداً، ولذلك، فإن الوالدين يعتبران عاملاً للتفاعل أكثر أهمية من سواهما مما يتفاعل معهم الطفل وسرعان ما يتعلم الطفل أنه من خلال شعور الوالدين يستطيع السيطرة على ما يحدث له فقد بخص الباحثين هذا الموقف بقوله " أن الطفل ينتحل كل السلوك المتعلق بالديه وبنفس الطريقة " ⁽¹⁾.

(1) زعيمية منى، ورواق حمودي، الأسرة، المدرسة ومسارات التعلم (العلاقة بين خطاب الوالدين والتعلم المدرسية للأطفال)، زعيمية منى، ورواق حمودي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2013م، ص 46.

إن من سيئات التعليم في العهد العثماني كون المتعلم لا يجد بعد تحصيله ما يفعل به فإذا تخرج المتعلم يظل في غالب الأمر بدون عمل يناسب علمه⁽¹⁾، وبالتالي فإنه قد ينسى ما قام بتعلمه خلال فترات حياته، وخلال فترات تعليمه، فإذا كان محظوظاً نال بذلك العلم وظيفة الإمامة، أو الخطابة في أحد الجوامع أو وكالة وقف من الأوقاف، وكانت الوظائف محدودة جداً؛ لأن من شروط التوظيف فيها كون الطالب من الأتراك ولأن معظم المعاملات التي كانت تتم في الإدارة باللغة التركية، ولم يكن الكتاب الإداريون بحاجة إلى ثقافة عالية، بل كانت تكفي فيهم الموهبة الأدبية، وحسن الخط ودقة النسخ كما أن الحكام العثمانيين قد عملوا على توظيف بعض المغاربة والمشاركة وهم غير الجزائريين في بعض الوظائف الإدارية والدينية بينما كان أهل العلم وعلماء الجزائر يعيشون خارج البلاد، فما دام هذا الأمر مع أهل العلم لا يؤهلون لأعمال سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فإن أصحابه كانوا يكتفون بما حصلوا عليه فتضمروا مواهبهم ويتجهون لوجهات مختلفة في الحياة لا تحتاج إلى غزارة العلم.⁽²⁾

2/ أهداف التعليم بالجزائر في العهد العثماني:

هناك العديد من الأهداف المرجوة من التعليم في الجزائر في العهد العثماني، ومن لك:

- القضاء على الجهل : إن من أعظم حسنات التعليم وأهدافه في العهد العثماني بالجزائر هو القضاء على الأمية، فلقد انتشرت مؤسسات التعليم في القرى والمدن، حتى لم يبق على أرض الجزائر فرد لا يجيد القراءة و الكتابة ، حيث كانت الكتاتيب، والزوايا والمدارس، والمساجد تقوم بمهمتها على أكمل وجه، فلقد كانت نسبة الأمية بالجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي منعدمة ، وهذا حسب ما صرح به فالسن استر هازي وإسماعيل أوربان سنة 1830 من أن عدد الجزائريون الذين كانوا يعرفون الكتابة و القراءة يفوق عدد الفرنسيين -أي ان نسبة الأمية كانت مرتفعة في فرنسا-⁽³⁾.

-تعليم مبادئ القراءة والكتابة:

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص356.

(2) نفسه .

(3) جمال فنيط، الحاجات اللغوية للكبار، رسالة ماجستير، كلية اللغات والآداب، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، ص ص62، 61 .

يتم في المؤسسات التعليمية تعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال، وكان هذا أحد الأهداف الأساسية للتعليم في الجزائر العثمانية⁽¹⁾.

- حفظ القرآن الكريم:

- إن من أهم أهداف التعليم بالجزائر، حيث إن الكتاتيب والزوايا، وغيرها من المؤسسات التعليمية من أهم مناهجها تعليم القرآن الكريم، فأول ما يتلقاه الطالب من العلم أن يحفظ كتاب الله تعالى⁽²⁾.

- تعليم علوم الدين والفقه:

لقد لعبت الزوايا والمساجد، وغيرها من المؤسسات التعليمية دوراً كبيراً في تعليم العلوم الشرعية، ونشر الدين الإسلامي، وتفقيه الناس في دين الله تعالى، وكانت المذاهب المنتشرة آنذاك المذهب الحنفي، والمالكي⁽³⁾.

- تعليم أركان الإسلام:

اهتمت المؤسسات التعليمية في العهد العثماني خصوصاً الكتاتيب بتعليم الأطفال أركان الإسلام، وتدريبهم عليها، وبذلك يتخرج الطفل منه مُتقناً لأركان الإسلام⁽⁴⁾.

- تخريج المفتين والقضاة:

مهمة الإفتاء والقضاء من أشرف المهام وأهمها، وأعلاها منزلة، وهي محل تقدير واحترام الساسة، والحكام، والشعوب، ولقد كان تخريج المفتين والقضاة هو من مهام المؤسسات التعليمية في العهد العثماني⁽⁵⁾.

- تعليم أسرار الدين:

(1) صليحة بردي، المرجع السابق، ص 130.

(2) آسيا بلحسين، المرجع السابق، ص 74.

(3) صليحة بردي، المرجع السابق، ص 130.

(4) نفسه.

(5) كمال خليل، المرجع السابق، ص 13.

لقد كان التعليم في الجزائر حراً، وكان هذا التعليم السبيل إلى تعليم أصول الدين، ومبادئه وأسراره، فتعلم الناس الفقه، والحديث والتفسير، واللغة مما ساهم في ترسيخ القيم الدينية والمحافظة على الهوية الإسلامية للمجتمع. (1).

(1) الجيلالي سلمي، التعليم في الجزائر بين الممارسات الاستعمارية والسياسات الحكومية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية عدد: 1، 2019م، ص 203.

الفصل الرابع

المؤسسات التعليمية بالجزائر العثمانية من خلال :

(العلماء / الرحلات العلمية / الأوقاف)

المبحث الأول: مكانة العلماء ووظائفهم بالجزائر في العصر العثماني:

- مكانة العلماء بالجزائر في العصر العثماني.

- أهم العلماء البارزين.

- وظائف العلماء بالجزائر في العهد العثماني.

المبحث الثاني: الرحلات العلمية بين الجزائر وغيرها من البلدان في الفترة

العثمانية .

- مفهوم الرحلة العلمية.

- وظائف العلماء بالجزائر في العهد العثماني.

- أهداف ودوافع الرحلات العلمية في العهد العثماني.

- أشهر الرحلات العلمية في العهد العثماني.

المبحث الثالث: دور الأوقاف في دعم المؤسسات التعليمية بالجزائر في

العهد العثماني.

- مفهوم الوقف لغة واصطلاحاً.

- أنواع الأوقاف في العهد العثماني.

- أهم المؤسسات الوقفية في الجزائر في العهد العثماني.

المبحث الأول : مكانة العلماء ووظائفهم بالجزائر في العصر العثماني

1/ مكانة العلماء بالجزائر في العصر العثماني:

إن العلماء لهم مكانة كبيرة جداً بين عامة الناس وبين المسلمين بالأخص لا تعادلها مكانة أبداً، وإن عناية المسلمين بتسجيل حياة العلماء، ومعيشتهم، وكيف ساروا؟ وكيف بدأوا؟ ونشأتهم، حيث تشهد آلاف الكتب، والتراجم على هذا الأمر والتي قامت بحفظ أسماء العلماء على مدار العصور، ويرجع هذا الأمر إلى أن نظرة الناس إلى العلم والعلماء قضية تدخل في صلب العقائد الدينية، وإن مكانة العلماء ترسخت من يوم اعتبر العلماء هم ورثة للأنبياء، ومنذ أن تفرق الصحابة رضوان الله عليهم في شتى بقاع الأرض ينشرون دين الله تعالى ويعلمون الناس ما جاء به رسول الله صل الله عليه وسلم من العلم والهدى والنور، بل وقبل ذلك فمكانة العلماء محفوظة ومقدرة من قديم الأزل.

لقد ازداد التفاف عامة الناس حول العلماء، بينما كانت العلاقة بين القادة السياسيين وبينهم تحكمها الأمور الرسمية ، أما العامة فكانت علاقتهم بالعلماء علاقة تشوبها المحبة وتقوم على مشاعر الولاء الصادق النابع من العقيدة، حيث إنهم يجدون في علمائهم الملاذ من قسوة المعيشة والظروف التي تحيط بهم .⁽¹⁾

إن المهمة الأساسية للعلماء أن يقوموا بنفض تراب الجهل عن عقول الناس، ويزيلوا عن نفوسهم ونفوس المسلمين قاطبة العقدة التي خلفها الطمع الأوروبي و حملاته على البلدان المغاربية ، فواجب العلماء في كل العصور أن يتعاطوا الدراسات، ويقوموا بالمقارنات والمقابلات فيهدوا إلى العديد من المعارف الجديدة، وأن يزيّدوا على ما يستفيدونه من الغير إذا ما عرفوا كيف يصهرونه ويدخلونه في بوتقتهم ثم يستخرجون منه جزء من العلم الإسلامي..⁽²⁾

فيا ترى ماهي المكانة التي حضي بها العلماء في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني؟ وكيف انعكست مكانة العلماء على دورهم في التعليم والتوجيه الديني؟ وإلى أي مدى أثر العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية في الجزائر خلال الحكم العثماني؟

(1)هيئة التحرير، مهمة العلماء، البيان، المنتدى الإسلامي، ع4، 1987م، ص 4.

(2)علال الفاسي، دور العلماء، مجلة الفرقان، ع52، 2005م، ص 7 – 8 .

-المكانة الاجتماعية والسياسية :

العلم هو أشرف المكاسب وأرفع المطالب والغاية الكبرى لكل طالب، فهو المفيد لكل مستفيد في القديم والحديث.⁽¹⁾

ولقد كانت الثقافة عبارة عن التعليم بجميع أنواعه وفنونه ومراحلته ومعظمة يرجع إلى تكملة وامتتين العقيدة الروحية الإسلامية وتكوين الرجل العالم الذي يقوم بأعباء الرسالة للجميع ، إذ لم يكن العلماء مجرد فقهاء أو محدثين أو وعاظ ومرشدين في المجتمع وعبارة عن قدوة للشعب بل يكونوا زعماء قادة تحقيقاً للوصف الذي كانوا يوصفون به بأن العلماء هم ورثة الأنبياء .⁽²⁾

إن ظهور العلماء كقوة متميزة ليس وليد العهد العثماني لا في الجزائر، ولا في غيرها من العالم الإسلامي، فقد رفع الله قدر العلم والعلماء، وجعلهم في مكانة عالية، ومنزلة سامية، وبالنسبة إلى الجزائر فقد اتخذت دولة بني زيان العلماء مستشارين ومن المثقفين كتاباً، ولكنها لم تفتح وظيفة باسم شيخ الإسلام ونفس الشيء بالنسبة إلى قسنطينة تحت الحفصيين ومدينة الجزائر قبل أن يجعلها العثمانيون عاصمة للقطر كله، أما الحكام العثمانيون فقد كانوا غرباء عن الثقافة العربية وعن تاريخ الحضارة الإسلامية والتشريع الإسلامي .

وقد أضاف حكام آل عثمان والسلطين قوانين مستمدة من العرف ومن الحضارات المتنوعة الأخرى ، فأصبح الحكام يقومون بالإشراف على عملية تنفيذها بينما القضايا المستمدة من الشريعة الإسلامية وتقاليد السلف قد تركت لفئة العلماء تنفذها، وإبداء الآراء المختلفة فيها، وهكذا فقد بدأ الفصل في عملية تطبيق الأحكام في الدولة الإسلامية الواحدة التي من المفروض أن حكامها يمثلون الدين والدولة في آن واحد، وأصبح الحكام لهم مجالهم الخاص في عملية التنفيذ كما أصبح للعلماء مجالهم الخاص، فإذا تعارض الأمران تغلب أصحاب الجانب الأول لما لديهم من القوة والسلطان، وليس لما لهم من البرهان والحق.⁽³⁾

حظي العلماء بمكانة بارزة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، إذ كانوا يشغلون أدواراً محورية في التدريس، الفتوى، القضاء، الزوايا، وخطب الجمعة، مما جعلهم في اتصال مباشر

(1)عبد الرحمن دويب، المرجع السابق، ص 43.

(2) نفسه، ص 162

(3)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، 388-389.

مع عامة الناس. وقد نالوا ثقة المجتمع بدرجة تفوقت على ثقة الناس برجال السياسة، الأمر الذي دفع الحكام العثمانيين إلى تقديرهم والتقرب منهم عبر منحهم الهدايا والاستفادة من آرائهم في مختلف القضايا وفي المقابل كان بعض العلماء يسعون إلى التقرب من الباشوات والبايات طمعاً في دعم مالي أو مناصب وظيفية، مما أسس لعلاقة متبادلة بين الطرفين، لم تكن تخلو من التفاوت في طبيعتها باختلاف الفترات والأفراد، فالعلماء كانت لديهم حسن سيرة، وخلق بين عامة الشعب فبفضل حسن سلوكهم ونفوذهم ونزاهتهم وعلمهم ونفوذهم في الأدب لدى الرأي العام، فلقد كانوا محل احترام، ومحمل تقدير عند مختلف الملوك الذين تداولوا الحكم على البلاد رغم الصراعات والخلافات ولقد كان لهم عند الشعب تقدير كبير وإجلال عظيم.⁽¹⁾

- المكانة العلمية (مكانة العلماء من خلال التدريس) :

لقد كانت عملية التدريس هي الأقل تنافساً بين العلماء وذلك لأنها وظائف عامة لهم ، فلقد كان تعيين العلماء والمدرسين في الوظائف التعليمية لا يخضع لإرادة الحكام، وكان ارتباطها بعدة وظائف أخرى، منها: وظيفة المفتي، والخطيب.

2/أهم العلماء البارزين:

إن هناك العديد من العلماء الذين ذاع صيتهم وكانت لهم مكانة عالية في التعليم، والتدريس نظراً لشهرتهم الواسعة بين الناس في الجزائر، فقد فضل بعض العلماء التدريس عن باقي الوظائف الأخرى، ومنهم:

• ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المنجلاقي: العالم الجليل قصده الطلبة من كل

نحو و صوب، فقد الذي ذكره ابن زاكور وحصوله على الإجازة من هذا العلامة الشهير

واعد له مديحاً يرفع بيه مقامه :

حي على الانس ان طيف الهموم سرى وسل نفسك وانهج نهج من صبر

ولا تصنح لدواعي البث ان صدحت ان دواعيه تستجلب الضررا

واذكر معاهد قد راق نضارت فان في ذكرها أنسا ومعتبرا

اذا الاحبه يعدو عن وصالحهم بعد يؤجج في احشائنا سقرا

(1)عبد الرحمن دويب، المرجع السابق، ص 37.

حيث ائتلفنا ولا واش ينم بما
نلنا عدا الأعطين الورد والزهر
ولا رقيب على الافراح يحسدنا
دان خلل النيرين الشمس والقمر
ويضيف ابن زاكور في أبياته الشعرية قائلاً:

حبر الجزائر والدنيا برمتها
من عالج العلم حتى ذاع وانتشر
فبدر الجلال ومصباح الكمال
ومقياس الجمال الذي كلا الوري بحرا
شيخ احاط بانواع المديح فما
ابقى لمن بعده شيئا وما وذر
ان تم اهل العلا الى محاسنه
تجد جميعهم من بحره نورا
ذو همة شغلت بالمجد كالية
حمى بما احد النسرين فانكدر
الى شمائل ازرت بالنسيم ضحى
من يبلغ الاهل اني بعد بينهم
وخلقت كاخلوق قد هفا سحرا
وقد ظفرت بما قد كنت آمل
جالست بدرا هدى بالشمس مُعتجرا
لما قضيت قضت منيتي من نور وطرا
حتى لقد خلت آمالي قوائل لي
قدك ابن زاكور هذا البحر فاقتصر⁽¹⁾

• أبو رأس الناصري:

الذي اشتهر بفصاحة لسانه وسعة عقله وتحصيله الوفير من العلم مكرساً بذلك حياته في العلم والتدريس لمدة تزيد عن ست وثلاثين سنة من العلم بلا انقطاع ، فقد عاشها بجد واجتهاد وسعى وإصرار فقد اجتمع فيه حبه للعلم والصبر على تعلمه، وكان أبي ناصر من العلماء البارزين، حيث تصدر مراتب التفوق العلمي، ومزاولة التأليف والتصنيف، ولقد لقب لشدة حفظه، وسعة علمه بحافظ المغرب الأوسط، وكان وراء بزوغ نجمه عدة عوامل، منها:

ماقام به مُجدّ الباي الكبير: حيث شجيع العلم ، وقام بتقريب العلماء، فقد كان يختار من جلسائه أهل العلم والفضل، والكتاب والأدباء والشعراء، كما كان يستشيرهم في القضايا العامة المهمة، وكان يسند إليهم العديد من المناصب، ومن استخدمهم مُجدّ الباي الكبير الشيخ أي رأس الناصري، حيث عينه قاضي مدينة معسكر ومفتيها، كما بنى الباي مدرسة معسكر وجعل أبا

(1) ابن زاكور، المصدر السابق، ص 42، 43 .

راس الناصري يدرس بها. وينطلق حب أبي رأس للعلم من تشجيع مُجَّد الباي للكتاب، مما كان دافعاً كبيراً له⁽¹⁾.

● سعيد المقرئ:

وهو أحد العلماء الذين كرسوا حياتهم من أجل التدريس، وتخرج على يديه العديد من التلاميذ مثل: ابن أخيه أحمد المقرئ، وسعيد قدورة، فقد اشتهرت أسرة سعيد قدورة الذي تولى الإفتاء، وأبنائه بالتدريس خصوصاً مُجَّد الذي اشتهر بفصاحة لسانه وكثرة علومه.⁽²⁾

● عمر بن مُجَّد الكماد الوزان:

ويعتبر عمر بن مُجَّد الكماد القسنطيني المعروف بالوزان، وهو من أبرز العلماء في العهد العثماني، وكان له دراية بعلمي العقول والمنقول، خاصة علوم اللغة، والحديث، وتولى التدريس في معظم مساجد قسنطينة، وتعلم على يديه الكثير من أهل العلم، منهم: أبو زكريا الزواوي، وفضل تولى الوظائف الرسمية والقضاء، وكرس حياته للعلم والتدريس والتأليف، وكان لا يجارى في علم الفقه والأصول، وكان طلبة العلم يشدون الرحال إليه لأخذ العلم عنه⁽³⁾.

إن مُجَّد الكماد هو عالم من العلماء المشهورين تميز بعلمه الغزير فهو قاضى الجماعة بقسنطينة في بداية أمره، ثم في آخره تنوب على قضاة العجم حين كانت لهم الدولة وكان معاصراً للعلم وبينهم شأن عظيم وكان فصيحاً خطيباً إذا سمت وزى حسن ورائق خط وكان كثير النشر، الشعر وصنعتة وهو من تلامذة الشيخ الوزان رحمه الله وله به نسبة قرابة كما يقال.⁽⁴⁾

● أحمد بن عمار:

(1) أبو رأس الناصري العسكري، المصدر السابق، ص 46-48.

(2) مخفي مختار، الدور السياسي والاجتماعي لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني (1518م - 1830م)، كان التاريخية، ص 10، ع 37، 2017م، ص 17. ينظر: العياشي، الرحلة العياشية، ج2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، 1977، 127. -Devoulx Albert, les edifices religieux de l'ancien alger, revue africaine, alger: o-p-u. N°10, 1866, pp: 286-290.

(3) مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، ص: 703.

(4) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، ط1، 1987م، ص 44

أحمد بن عمار من العلماء الذين قاموا بتكريس حياتهم من أجل التدريس وعدم تولى منصب القضاء والتقرب من الحكام، فبالرغم من ضعف الحركة الثقافية في ذلك الوقت وتراجع أدوار كلاً من العلم والعلماء، إلا أن حركة التأليف تميزت بكثرتها وديمومتها بحيث لا نكاد نجد عالماً إلا وله العديد من المؤلفات في مختلف العلوم.⁽¹⁾

● عائلة الفكون:

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون: أديب، نحوي، محدث، كان عالم المغرب الأوسط في عصره، من أهل قسنطينة، ولي إمارة ركب الجزائر في الحج، وكان في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق، ومجانبة علوم أهل الرسوم بعدما كان إماماً يقتدى به فيها⁽²⁾.

قاسم بن يحيى بن محمد الفكون: قاض، مفسر، فقيه، مشارك في عدة علوم. من أهل قسنطينة، وبها نشأ وتعلم، وأتم دراسته بتونس وولي الإمامة بجامع البلاط بها. وعاد إلى قسنطينة، فولي قضاءها، له حواشٍ على بعض الكتب⁽³⁾.

3/ وظائف العلماء بالجزائر في العهد العثماني:

تصنيف العلماء الموظفين :

لقد صنف العلماء خلال العهد العثماني إلى ثلاثة أصناف:

1-العلماء الموظفون والفقهاء المستقلين .

2-العلماء المتصوفة دعاة العلم.

3-الولاية (المرابطين).

أما التصنيف من الناحية الوظيفية فهم عبارة عن طبقتين:

(1) مخفي مختار، المرجع السابق ، ص 17. ينظر أبو القاسم الحفناوي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص : 342 .

(2) أهم ما تميز به القرن الحادي عشر هو بزوغ نجم عبد الكريم الفكون الذي إشتهر في مجال التدريس و قد اسندت إليه مهام الإمامة و الخطابة و تمكن عدد كبير من طلبة العلم الحصول على الإجازة على يده ، و إشتهر بنبوغه في علوم اللغة و خصوصاً النحو و الصرف : مثل ألفية ابن مالك في النحو ، وابن الحاجب، وعقائد الشيخ السنوسي في علم الكلام ، الفكون ، المصدر السابق ، ص: 102 . ينظر : عادل نويهض، مُعْجَمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حَتَّى العَصْر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1400هـ - 1980م، ص 254.

(3)عادل نويهض، المرجع السابق، ص 255.

الطبقة الرسمية: وهذه الطبقة تشتمل على المفتين والمدرسين والقضاة ثم الطبقة الملحقية بها من رجال الزوايا والمتصوفة وسلالة الأشراف المنحدرة من سلالة الرسول-صل الله عليه وسلم-وهيا التي تتشكل في هيئة مجموعات في كل الأحياء.

فبحسب حمدان خوجة فقد وجد في كل مدينة من المدن نقيب للأشراف بمثابة الحاكم الثاني للمدينة، ويتم اختياره من الأسر الشريفة وكان من واجبه أنه كلما حدث أمر مهم، أن يقوم بالاجتماع في بيته مع شيخ البلد، وكافة الأمناء التابعين له من أجل أن يقوموا باتخاذ الإجراءات اللازمة لتلك المشكلة ولذلك الأمر. لقد اشتهرت هذه الفئة من العلماء بالورع الأمر الذي أكسبهم تقدير الحكام الذين سعوا للتقرب منهم ومن أولئك الحكام الداي بكداش الذي قام من أجل كسب ثقة العلماء ببناء زاوية خاصة بهم.⁽¹⁾

وظائفهم :

لما قدم العثمانيون إلى الجزائر قاموا بإحداث تغييرات عديدة في النظام فقد جعلوا الإفتاء وظيفة من الوظائف الرسمية ، وعلى الرغم من أنهم كانوا كباقي السكان من أهل السنة، فإنهم قد جعلوا الفتوى على مذهبين وهما:

1-مذهب الإمام أبي حنيفة.

2-مذهب الإمام مالك.

فلقد جعلوا مذهب أبي حنيفة هو المذهب الأول والمذهب الرسمي لهم؛ لأنهم كانوا أحنافاً، ولكنهم لم يتدخلوا في المذاهب الأخرى، ونظراً لعدم وجود علماء على المذهب الحنفي في الجزائر قبل مجيء العثمانيين، وعدم الثقة الكاملة سياسياً في علماء الجزائر، فإن السلاطين لآل عثمان كانوا يقومون بتعيين الباشا، والقاضي الحنفي مدة سنتين في غالب الأمر، ويقومون بإرسالهم من أجل تمثيل الجزائر فالأول يقوم بتمثيل السلطة سياسياً، والثاني يمثل السلطة العلمية.⁽²⁾

إن هذا الأمر من أدل الدلالة على فئة الحكام وفئة العلماء وقد سمى الحكام العثمانيون في الجزائر القاضي الحنفي، وهو ما أطلق عليه فيما بعد المفتي، شيخ الإسلام كما كان يسمى زميله في اسطانبول، وجعلوه مقدماً على زميله المفتي المالكي في الاعتبار والرأي.وبعد عدة أجيال أصبح

(1)رشيدة شكري معمر ، المرجع السابق ، ص 47

(2)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص : 392 – 393.

المفتي الحنفي لا يتم تعيينه من اسطانبول وإنما يتم تعيينه من قبل أبناء العثمانيين المولودين في الجزائر، وذلك بعد أن أصبح الباشا يتم تعيينه في الجزائر نفسها من طرف الأوجاق.⁽¹⁾

ولم تكن وظيفة المفتي قاصرة على الإفتاء فقط، فقد كان يتولى عدة وظائف أخرى، كوكالة الأوقاف والخطابة والإمامة، ويمكن له أن ينيب غيره في بعضها بمن في ذلك أبنائه، فإذا اختلف المفتيان تنعقد مناظرة عامة يحضرها القضاة والعلماء، والباشا أو ممثله، ويؤخذ الرأي بالأغلبية، أو بترشيح الباشا للرأي الذي يميل إليه هو.⁽²⁾

لقد كان التعليم يعتمد على الحفظ ومضمون الكتب المنشورة والمعروفة في ذلك الوقت، وأهم فترة اهتم فيها العثمانيون بالعلم والعلماء كانت على عهد الباي محمد الكبير، فلم يكتف الباي بالبناء للمؤسسات التعليمية، بل قام بالاهتمام كثيراً بالعلماء وهيئة التدريس، بأن قام بتوظيف العلماء وجعل للمسجد إماماً وخطيباً وأربعة مدرسين دون أن يهمل المؤن الخاصة بكل مدرسة من المدارس فقام بترتيب احتياجات المدرسة، وما يكفيها من أجل شراء الزيت كل شهر من الشهور بالإضافة إلى تقديم راتب معين للطلبة ولمن يقومون بقراءة الحزب داخل المسجد صياحاً ومساءً، ولقد اهتم الباي بالعلماء وتوظيفهم وجعل لهم مرتبات خاصة بالعلماء زيادة على المنح التي كان يفاصلهم بها في الأعياد.⁽³⁾

-الوظائف:

◀ القضاء :

اهتم العثمانيون بالقضاء، فقد كان أحد وظائف الدولة الرئيسية، وتأني القضاء بعد وظيفة الإفتاء في الأهمية، بل إن وظيفة القاضي الحنفي في مراحلها الأولى من الوجود العثماني بالجزائر كانت هي الوظيفة الأساسية، فكانت وظيفة سياسية دينية ولقد كان القاضي وبحكم المشاكل الدنيوية اليومية و ذلك نظرا لاتصاله المباشر مع المجتمع و أفراده، على غرار المفتي من خصومات وطلاق وزواج وعقود البيع والشراء في عملية التجارة فلقد كانت وظيفة القاضي أحلك من

(1) نفسه.

(2) نفسه.

(3) عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2004م، ص 34 - 35.

وظيفة ووضع المفتي، حيث كانت أهمية وظيفة المفتي تعود إلى المكانة والاعتبار، فإن أهمية وظيفة القاضي ترجع إلى الممارسة والتنفيذ لشؤون المجتمع ؛ لذلك كان البعض من العلماء يقوم بالاعتذار عن شغل الوظيفة وذلك خوفاً من عدم القدرة والمقدرة على القيام بمتطلبات القاضي، وتقديراً منهم لخطورة تلك الوظيفة .

لقد جاء القضاة إلى الجزائر مع الباشوات للحكم على طريقة المذهب الحنفي، لذلك قد أصبح في الجزائر قاضيان في كل مدينة أساسية:

-قاضي للمذهب الحنفي.

-قاضي للمذهب المالكي.

ويندرج تحت القاضيين مجموعة من القضاة المنتشرين في أرجاء الأقاليم ، فلقد كان القضاة في أوقات ما ينوب عنهم غيرهم أو يعين الباي خليفة للقاضي.⁽¹⁾

لقد أصبح القاضي يشغل دوراً كبيراً في الجزائر في العهد العثماني، وكان من مهام القاضي (قاضي الأحوال الشخصية، والمشرف على الأوقاف، وعلى عمليات البيع والشراء) فبالحكمة يتم تسجيل عقود البيع والشراء، والقروض، ويتم إضفاء الشرعية على هذه المعاملات، فإذا كانت وظيفة القاضي دينية في الأساس، فإن صلاحياته قد امتدت إلى كافة المجالات ، فهو لايقوم بمعاينة المجرمين فحسب، بل يقوم بالفصل في المشاكل والخلافات التي تنشأ في الحياة، وينظر في عمليات الاحتجاجات، ويقوم بمراعاة شؤون القاصرين من الموظفين السامين في الدولة ذوي المناصب العليا ، فالقرارات التي تصدر عن السلطة المركزية، والباب العالي والتي تتعلق بالحياة الاقتصادية كانت توجه إلى القضاة . لقد كانت مدينة الجزائر محكمتان شرعيتا المحكمة الحنفية والمحكمة الشرعية ، فلقد كان مقر الأولى في وسط المدينة حيث يوجد المركز الاقتصادي، أما المحكمة الثانية وهي الحنفية فكان مقرها بالرحبة القديمة وهي الشمال من المحكمة المالكية ويساعد كل قاض في المحكمة عدد من العدول الذي يتولون تحرير العقود، ومحاضر النزاعات، والإشهاد فيها، وإقامة الفرائض والتحقيق في المسائل القضائية.⁽²⁾

(1)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص : 394.

(2)حنفي هلايلي، الشرطة والقضاة في مدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، س36، ع134، 2009م، ص 142 - 143

إن وظيفة القضاء ومهمته الأساسية لم تكن مقتصرة على الفصل في الخصومات، ولكنها كانت تتعدى ذلك إلى عملية متابعة كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة ومتابعة التصرفات التي تصدر من الحاكم، وسلوكياته، وأفعاله تجاه الشعب، وتجاه ما قد أؤتمن عليه من أموال الأمة، وممتلكاتها بالإضافة إلى الفصل في خصومات الناس، ولقد كانت المؤسسة القضائية ووظيفة القضاء من المهام الأساسية في العهد العثماني ينظرون في تعدي الولاية على الرعية وفي المال المغصوب.⁽¹⁾ ويتضح أن القاضي هو الحاكم الشرعي الذي تطرح عليه القضايا التي تتعلق بالأهالي، وبالشعب في مختلف الميادين، سواء أكانت اقتصادية تخص المعاملات التجارية، أو مدنية كما أنه يلعب دوراً كبيراً في عملية توجيه الوظائف الدينية والإشراف على الأوقاف وتعيين القائمين عليها . ومن العلماء الذين تولى وظيفة القاضي ومهمة القضاء هو الشيخ أبو رأس الناصر بنواحي غريس - معسكر - فترة سنتين وكان قاضياً على أيدي العثمانيين معدوداً من أرباب دولتهم.⁽²⁾

◀ الإفتاء:

إن الإفتاء يأتي بعد القضاء في الأهمية، فلقد كانت الفتوى تحتاج إلى تضلع وعلم كبير في علم الفقه، وبالتالي، فإن شهرة العالم بين الناس هي التي كانت تقوم بترشيحه من أجل تقلد هذا المنصب .

إن المفتي تولى العديد من الوظائف، مثل: الأوقاف والتدريس فيحيى بن محجوبة حاز في وقته الفتى وتولى وظيفة القضاء ، أما تعيين المفتين، فقد كانوا يعينون في المدن من أجل العمل في صحبة القاضي بمثابة المستشارين، ومهمتهم الإفتاء في أمور الشرع على مذهب أبي حنيفة، أو مذهب الإمام مالك.⁽³⁾

◀ الخطابة:

(1) مصطفى عبيد، القضاء بالجزائر خلال العهد العثماني، عصور الجديدة، ع11-12، 1435هـ - 2014م، ص 213 - 214.
(2) تقي الدين بوكعب، الفقه والقضاء المالكي في الجزائر خلال العهد العثماني " قراءة في مخطوطة للشيخ أبي راس الناصر المعسكري"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع5، د.ت، ص 247 - 248
(3) أحمد سيساوي، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2014م، ص 76 - 77.

إن الخطابة هي الوظيفة الثالثة بعد الإفتاء والقضاء، في الأهمية فلقد كانت مقاييسها صعبة؛ لأن الجمهور يشترك في الحكم على الخطيب بخلاف المفتي والقاضي اللذين يتوليان وظيفة سياسية ودينية. فلقد كانت وظيفة الخطابة تتطلب شروطاً معينة ومن شروطها:

-الفصاحة.

-جودة الصوت.

-سعة الاطلاع.

-الجرأة الأدبية.

ولكن في الجزائر في العهد العثماني كان يكفي ببعض تلك الشروط على الأقل ، لقد كان الخطيب يؤدي صلاة الجمعة وصلاة العيدين، وأحياناً يجمع إلى ذلك الصلوات الخمس فهو بهذا الأمر إمام أيضاً، غير أن بعضهم كان يقوم بالإمامة في جامع، والخطابة في آخر، كما كان سعيد قدورة في أول الأمر وكان العلماء يقومون بالتنافس فيما بينهم على وظيفة القضاء والإفتاء، لقد كان بعض الخطابة يثيرون خوف الحكام؛ نظراً لفصاحة لسانهم، وصلتهم الكبيرة بالجمهور، فيحذر الحكام منهم، وقد يتعقد الأمر بأن يقوم الحكام بعزلهم أو ينقلونهم إلى مكان آخر خوفاً وخشية منهم.⁽¹⁾

إن الأمة الإسلامية هي أمة بيان، وفصاحة، وبلاغة، ولسان، ولذا كانت تولى الخطابة شأناً عظيماً، والخطيب كان بالنسبة لقبيلته القوة الكامنة التي يعلنون بها، فلقد كان للخطيب قدر كبير من الإجلال، والاحترام أضعاف ما كان للشاعر، فالإسلام قد جعل الخطابة إحدى شعائره في الجمعة وفي العيدين لما لهما من الأثر الطيب والكبير في نفوس المسلمين، وفي تغيير السلوك وتوجيه النفوس لفعل الخيرات والبعد عن المنكرات، فلقد كان الخلفاء يقدرون دورها الكبير في عملية توطيد دعائم الحكم، واستقرار الأمن ولهذا كانوا يباشرونها بأنفسهم من أجل أن يضمنوا النفع الذي يعود عليهم منها.⁽²⁾

فمن خلال ما سبق يتضح لنا أن العلماء في العهد العثماني قاموا باحتكار وظائف الإفتاء، والقضاء والخطابة والتدريس والإمامة وكان الجزء الأكبر من إيرادات العلماء يأتي من

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 395.

(2) إبراهيم علي أبو الخشب، الخطيب الديني، الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س 19، ع 217، 1982م، ص 66.

الأوقاف المرصودة على المساجد، وهي معفية من الضرائب، كما أن مناصب القضاء، والإفتاء مصدر للثروة.

المبحث الثاني : الرحلات العلمية بين الجزائر وغيرها من البلدان في الفترة العثمانية.

1/ مفهوم الرحلة العلمية:

تعتبر الرحلات العلمية⁽¹⁾ نبعا غنياً استقى منه الرحالة والكتاب والأدباء والشعراء - ولا يزال يستقي مادته ومخيلته ومرجعته منها، فالرحلات تتيح الالتقاء ببيئات وطبائع وأجناس وأنماط ومفاهيم وعادات الشعوب الأخرى، وبالتالي فهي كرحيل وراء المعلوم والمجهول تترك آثارها على نفس المشاهد وقلمه، كما أن هذه الآثار تختلف باختلاف إحساس الكاتب الرحالة وثقافته وطابعه الأدبي في كثير من الأحيان، لهذا نجد أن هذا النوع من الأدب يختلف في مؤلفاته باختلاف عصر الكاتب وثقافته وهدفه من الكتابة⁽²⁾.

إن الرحلات تكشف ما لا يكشفه التاريخ، حيث إن تطرق إلى تحليل العديد من الجوانب التي تعجز الوثائق التاريخية عن تحليلها، فالرحلات تكمن أهميتها فيما لها من قيمة علمية، وأدبية في مصدر خصب؛ لتزويد أهل التاريخ والجغرافيا، والآثار والأدب وغيرهم بالكثير من المعلومات القيمة عن وصف المدن، والعمران، والطرق، وأخبار الناس وعاداتهم، وتقاليدهم، ليس هذا فحسب، بل هي مصدر من مصادر المعرفة للرحالة أنفسهم، فهي مجال وافر في العديد من المجالات، أما من الناحية الفنية فإن الرحلة تزود القراء بصور ممتعة، وأخبار، ومعلومات⁽³⁾.

(1) محمد إفخارس، نادية صلاح محمد صديق، رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، بحث غير منشور، الإمارات، ص9.
(2) تعد الرحلة من أهم المصادر التاريخية و هي أنواع : الرحلة لطلب العلم : كرحلة ابن زاكور الفاسي الذي تحدث عن الجزائر وعلمائها اللذين تحصل منهم على إجازات علمية في الفقه و المنطق و التوحيد و هو ما ضمنها لرحلته المشهورة : "نشر أزاخير البستان"، الرحلة الإستطلاعية : كرحلة حسن الوزان الملقب بليون الإفريقي " وصف إفريقيا " ، الرحلة للسفارة : يكلف بها الحكام العلماء لخدمة أغراضهم السياسية و تقديم تقارير يذكر كل الوقائع و الأحداث التي شاهدها . الرحلة إلى الحجاز : عملاً بقول الرسول (صل الله عليه و سلم) ((لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى)) كرحلة العبدري صاحب الرحلة المغربية إلى البقاع المقدسة . فهذه الرحلات العلمية قدمت معلومات خام في كل ميادين الحياة في المدن الجزائرية التي مروا عليها .مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص: 10
11،

(3) نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008م، ص52.

الرحلة في اللغة:

الرحلة من الفعل رحل، وارتحل البعير رحلة، أي سار فمضى، وارتحل القوم، ساروا وانتقلوا⁽¹⁾، والراحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال، والذكر والأنثى فيه سواء، والهاء فيها للمبالغة، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورّحله على النجابة، وتام الخلق، وحسن المنظر، فإذا كانت في جماعة الإبل عرفت⁽²⁾، والمّرحلة: الموضع الذي تنزل به من حيث ترتحل، وكل موضع نزلت به ثم ارتحلت عنه فهو مَرَحَلَة⁽³⁾، والرّحل: مَسْكَن الرّجُل وما يستصحبه من الأثاث، واسترحله، أي سأل أن يرحل له، والرّحلة بالضم: الوجه الذي تريده، يقال: أنتم رُحلتِي، أي الذين أرتحل إليهم، أي وجهتي التي أقصدها، والرّحلة بالكسر: الارتحال، يقال: دَنَت رِحْلَتُنا، أي قرب ارتحالي⁽⁴⁾، وقيل: الرّحلة: السَّفَرَة الواحدة⁽⁵⁾، ورّحل عن البلد: طَعَن عنه، وفلان عالم رَحَلَة: يرتحل إليه من الآفاق⁽⁶⁾، والرحلة: انتقال إلى مكان آخر، ويكثر في الدلالة على الخروج للنزهة، والترويح عن النفس⁽⁷⁾.

قال المِطَرِّزي: "رحل عن البلد: شخص وسار، ورّحّله أنا ورحلته: أشخصت هومنه قول مُجَدّ - رحمه الله - في السّير: "وكان يقوى على المرأة إذا أصابهم هزيمة أن يرحلها معه حتى يدخلها أرض الإسلام"، رُوي بالتخفيف والتشديد، ورّحل البعير شدّ عليه الرّحل من باب منع، ومنه حديث رسول الله - صل الله عليه وآله وسلم -: أنه أصابه سهم، وكان يرحل له، والرّحل للبعير كالسرج للدابة، ومنه: فرس أرّحل أبيض الظهر؛ لأنه موضع الرحل، ويقال لمنزل الإنسان ومأواه رحل أيضاً، ومنه نسي الماء في رحله، وفي السّير: "لعله لا يثوب إلى رحله"، والجمع أرّحل ورّحال،

(1) الخليل بن أحمد، المصدر السابق، ج 3، 207. - الكفوي، الكليات ... ، المصدر السابق، ص 79.

(2) لابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 2، ص : 209.

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج 1، ص : 521.

(4) الجوهري، الصحاح، ج 4، 1707 .

(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج 3، ص: 302 .

(6) الزمخشري، أساس البلاغة، ج 1، ص 343 .

(7) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2، ص: 871.

ومنه: فالصلاة في الرِّحَال، ورَاحَلَه: أعطاه راحلة، وهو النجيب والنجيبة من الإبل، وهو مثلٌ في عزة كل مريضٍ، وقيل: أراد التساوي في النَّسَب وأنكر ذلك⁽¹⁾.

الرحلة اصطلاحًا:

الرحلة في العرف العام هي: السفر من بلد إلى آخر⁽²⁾.

والمقصود بالرحلات العلمية هي تلك الرحلات التي قام بها أصحابها والتي غرضها طلب العلم والاطلاع على البلدان، والأخذ من علمائها وممارسة التجارة أحياناً في تلك البلاد⁽³⁾. وعرفت الرحلة العلمية بأنها: "ارتحال الطالب من أجل التزود بالعلم من العلوم من خلال لقاء المشيخة والعلماء، ومن أجل كشف أمور علمية حتى يتم حصول كمال التعلم وكمال المعرفة"⁽⁴⁾. ويمكن تعريف الرحلات العلمية بأنها: انتقال من بلد إلى بلد من أجل العلم.

2/ أهداف ودوافع الرحلات العلمية في العهد العثماني:

لا شك أن للرحلات قيمة علمية كبيرة، وذلك من خلال ما هو ناجم عن الرحلة من أحاديث، ومذكرات، ومؤلفات، وتراجم لأعلام⁽⁵⁾، ووصف بديع، وخيال سيّال، وغير ذلك، فهي نموذج نموذج علمي وأدبي تتجلى فيه مقدرة الرحالة على الوصف الدقيق لما يراه وما يشاهده، أو يقابله من شخصيات، والتعبيرات الفنية الصادقة، ذات أسلوب جميل، التي تعكس الصورة العلمية للحركة الأدبية لهذا العصر، كما أنها تكشف لنا عن قوة البلاغة في ذلك العصر⁽⁶⁾.

(1) المطرزي، المغرب، ص 186.

(2) مُجَدَّ رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988م، ص : 220 .

(3) عبو إبراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 16-19م، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي لباس - سيدى بلعباس، 2018م، ص 258.

(4) الأحمر قادة، وعطلاوي عبد الرازق، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية، مجلة آفاق فكرية، مج3، ع7، 2017م، ص 238.

(5) نورد على سبيل المثال رحلة مُجَدَّ بن قاسم ابن زاكور الفاسي، "نشر أزهار البستان" التي ذكرت علماء الجزائر كأبي حفص عمر بن مُجَدَّ المنجلاتي الجزائري وإجازته له و الشيخ علي عبد الواحد السجلماسي الأنصاري، و الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري إمام الجامع الأعظم، و العالم أبي عبد الله مُجَدَّ بن عبد المؤمن الحسني الجزائري، أبي عبد الله مُجَدَّ بن سعيد بن حمودة الجزائري المعروف بـ حمودة الجزائري و عرف بقدورة. ابن زاكور، المصدر السابق.

(6) مُجَدَّ إفخارس، نادية صلاح مُجَدَّ صديق، رحلات المغاربة المرجع السابق، ص10.

ولقد اهتم العلماء بصفة عامة بالرحلات العلمية ومن فقيه الأمة الإمام الشافعي والذي قال عن أهمية وفوائد الرحلات العلمية:

تَغَرَّبَ عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج همّ واكتساب معيشة وفضلٌ وآدابٌ وصُحبةٌ ماجد⁽¹⁾

إن الرحلة من أهم الفنون وألصقها بحياة الفرد والمجتمع، والأمة بأسرها، فهي تصور الحياة على اختلاف أشكالها وألوانها، وقد كانت الرحلات العلمية تصويرًا دقيقًا للحياة حيث حوت العديد من العجائب والغرائب، والحكايات والطرائف وعجائب المخلوقات والأمم، وعادات الأمم، وأخلاقهم، كما أنها ذات فوائد تاريخية، وجغرافية، وأدبية، وفنية، فهي وصف للحوادث والبلدان والأصقاع⁽²⁾. ومن الممكن بيان قيمة الرحلة العلمية في حياة الإنسان من خلال ما يلي:

1- الرحلة العلمية مصدر من أهم مصادر تراجم العلماء في المشرق والمغرب، ولقد كانت اعتماد كثير من العلماء في التراجم.

2- الرحلة العلمية لها القدرة الفائقة على وصف الحركات العلمية والثقافية في العصر الذي تكون فيه.

3- الرحلة العلمية ثروة عظيمة للتعريف بالكتب والمصادر التي أخذ منها الرحالة أثناء رحلته في مختلف الفنون والآداب.

4- وصف الأماكن والدور التي يُمَرُّ بها الرحّالة.

5- معالجة المسائل اللغوية والأدبية وغيرها من العلوم والفنون⁽³⁾.

وتتجلى القيمة العلمية للرحلات العلمية في أنها مصدر من مصادر وصف الثقافات الإنسانية المختلفة من بيئة إلى أخرى، كما أنها رصد لبعض الجوانب الحياتية في دنيا الناس وغيرها من المخلوقات خلال فترة زمنية محددة.

(1) محمد بن أيمن المستعصي، الدر الفريد وبيت القصيد، تح: الدكتور كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1436 هـ - 2015 م، ج5، ص: 390.

(2) نوال الشوابكة، أدب الرحلات ... المرجع السابق، ص52.

(3) إسماعيل الخطيب، أدب الرحلات، مجلة دار الحديث الحسنية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - مؤسسة دار الحديث الحسنية، عدد: 6، 1988 م، ص260-261.

كما تكمن قيمة الرحلات العلمية في أنها تعرض جل مضامينها بأسلوب أدبي يرقى إلى مستوى الخيال الفني⁽¹⁾.

كما أن الرحلة فرصة لاكتشاف الآخر والأخذ عنه، والتأثر به بل التأثير فيه أحياناً، كما تتجلى القيمة الأدبية للرحلات في أنها تعرض فيها مواد من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، فالرحلة نص سردي مهجن يتلاقح فيه المكتوب بالمرسوم، والفصح بالدارج، والعربي باللهجي، والنثري بالشعري، فهو نص يقوم بعمل منتج لمختلف الأنظمة المكتوبة، والمسموعة والمرئية⁽²⁾.

ومن أجل هذه القيمة الكبيرة للرحلات العلمية اهتم العلماء الجزائريون في العهد العثماني اهتماماً كبيراً في عملية التدوين لخواطهم في رحلاتهم للحج والزيارة للأماكن المقدسة.

وتمثل الرحلات معلماً مهماً وبارزاً في أدب الرحلة لدى علماء الجزائر خلال الفترة العثمانية، فهي محاولة من أجل رصد أثر تلك الرحلات المتعاقبة على الحجاز منذ أن قدم الجزائريون للمنطقة، وذلك بغرض الزيارة، وأداء مناسك الحج والعمرة أو الالتفات من أجل طلب العلم وأخذ العلم عنهم، كذلك الالتفات نحو العلماء ومجالستهم، فلقد كانت لرحلات الحج فوائد عظيمة تتمثل في الاتصال بعلماء وفقهاء من مختلف المدن الإسلامية⁽³⁾.

وكان الهدف من الرحلات التعليمية متعدد، من خلال التوجهات التعليمية للرحلات الاستفادة من العلماء ومشاركة علمهم الوفير عبر البلاد، وإن توجه الجزائريين للحجاز كان في أغلب الأمر نتيجة توق روحي، نحو الحرمين، وزيارة البقاع التي وطأها أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم تكن بلاد الحجاز بالنسبة للعلماء الجزائريين مجرد بقعة أرض جغرافية تتم زيارتها من أجل الزيارة والعلم فقط، ولكنها كانت أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدعوة الإسلامية، ففي العهد العثماني كانت الموشحات، والقصائد تسبق الواقعية، ولكن روح الشعر عندهم قد

(1) سديرة سهام، أدب الرحلة...، المرجع السابق، ص333.

(2) نفسه، ص: 335.

(3) حنيفي هلايلي، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورتلاني وأبو راس الناصري، الشهاب الجديد، مج 7، ع7، 2008م، ص 20.

حلت محلها براعة النشر كما فعل ابن عمار والورثيلياني ، فالملاحظ أن الرحلات الشعرية معظمها كان من الغرب الجزائري .⁽¹⁾

ولم يعرف العلماء في الجزائر خلال العصر العثماني الاستقرار بمكان معين، بل جابوا الأقطار المختلفة والمتعددة وقصدوا المراكز الثقافية التي كانت تتميز بكثرة العلماء، وساد الاقتناع بأن الرحلة لا بد منها من أجل طلب العلم وتحصيله. وهذه الأمور كلها قد جعلت من الرحلة تكاد تكون شرطاً من شروط التحصيل وبلوغ درجة عليا في المعرفة والتفوق فكتب التراجم تكتفي أحيانا في التعريف بالعلماء بعبارات مثل: وله "رحلة"، أو "رحل لطلب العلم"، وذلك من أجل إظهار منزلته العلمية ودرجته الفكرية، فلقد كانت الرحلات التعليمية مهمة جداً من أجل التعرف على مناهج جديدة، أو الحصول على كتب يرغب في الاطلاع عليها.⁽²⁾

وحسب رأينا فالرحلات الجزائرية خلال الفترة العثمانية كانت إحدى الطرق التي لجأ إليها الرحالة من أجل طلب العلم، وملاقة العلماء الكرام والفقهاء ومحاورهم، والاستفادة من خبرتهم بل هناك من العلوم الإسلامية ما يرتبط بالرحلة ارتباطاً عضوياً لا انفصام له مثل: الجغرافيا ولذلك كان الجغرافيون المسلمون من الرحالة ، ويرجع كل هذا إلى إدراكهم بدور العلم في عملية التقدم، والتحرر من عبودية الجهل، ورجاء الثواب من الله جل وعلا.

لقد كانت الرحلة تقطع لمسافات طويلة من أجل نيل المعرفة، فالرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة .⁽³⁾

والذي يتصفح الرحلات الحجازية في الجزائر خلال العهد العثماني وغيرها من الرحلات المختلفة يستوقفه حضور ثنائي الرحلة والعلم ضمنها، وذلك لأن الإسلام أخذ بناصية العلم والثقافة، فحث على طلب العلم وشجع الخروج من أجل تحصيله، ومن ذلك قول الله تعالى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 9]

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، ص : 387 – 388.

(2) الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، د. ت، د. ط، ج 1 ، ص: 79.

(3) يسمينة شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2013م، ص 27 – 28.

لقد أرست الرحلات الحجازية من الجزائر خلال العهد العثماني قواعد التواصل العلمي، والتواصل التاريخي بين المشرق والجزائر ضمن مجتمع متحرك يمثل "ركب الحج"، ففي موسم الحج يغتنم العلماء وطلاب العلم منه ما استطاعوا من عبادة إلى جانب التحصيل العلمي.⁽¹⁾

ويمكن إجمال أهداف الرحلات العملية بالجزائر في العهد العثماني فيما يلي:

- 1- اكتساب العلوم والمعارف وطلب المزيد من التعلم.
- 2- نشر العلم خارج البلاد، لعدم توفر الكفاءات أو قلة اهتمام أهل البلد بهذا العلم، أو الاختصاص، فيقوم طلاب العلم، والعلماء بالرحيل إلى بلد آخر من أجل توسيع علمهم، فتعظم بذلك مكانتهم ويكثر الانتفاع بعلمهم وبحكمتهم.
- 3- تنمية العلوم وتعميق الثقافة بسبب ما أتاحتها الرحلة العلمية من المشاهدة والمعاينة وجمع المواد العلمية من مصادرها.
- 4- تربية النفس وتعزيز إيمانها وإكسابها الفضائل ومكارم الأخلاق.
- 5- زيادة الثروة العلمية وذلك بما خلفه الرحالة المسلمون من مؤلفات ومصنفات وكتب متعددة في مختلف الميادين في العلم والمعرفة المتنوعة.
- 6- وحدة الامة الإسلامية الثقافية والعلمية.⁽²⁾
- 7- بلورة الحركة العلمية في الجزائر، وعادت إليها بفوائد متعددة.⁽³⁾
- 8- تعتبر الرحلة العلمية منبعا للمادة العلمية فلقد كان بين الرحالة رجال علم ورجال دين، وكان بينهم طوافون من هواة السفر والترحال، وآخرون استهوتهم فكرة المغامرة، ودفعتهم إلى عملية كشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس فالرحلات العلمية تعتبر نبعاً غنياً يستسقى منه

(1) سعاد لبصير، التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المشرق خلال العهد العثماني، قضايا تاريخية، ع8، 2017م، ص 96.

(2) صالح ذياب هندي، الرحلة في طلب العلم في الإسلام وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، دراسات العلوم التربوية، مج38، ع1، 2011م، ص 9 - 10.

(3) عطلاوي عبد الرزاق، الرحلات العلمية وأثرها في الحركة الإصلاحية الجزائرية، دار البازوري العلمية، 2017م، ص 30 - 31

الكتاب والأدباء والشعراء مادتهم حيث تتيح الالتقاء ببيئات وطبائع وأجناس، ومفاهيم وعادات لا عهد للمرء بها من قبل.⁽¹⁾

9- لقد لعبت الرحلة دوراً كبيراً ومهماً في الحياة الإنسانية ، حيث كانت هي الطريقة التي من خلالها ينهل الإنسان من مختلف العلوم والمعارف، فهي ذات قيمة علمية وتعليمية من حيث أنها عبارة عن أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان، وإثراء لفكره تأملاته عن نفسه وعن الآخرين .

10- ساهمت الرحلات العلمية كذلك في توطيد العلاقات والصلات بين الشعوب وحصول التعارف بينها .⁽²⁾

أما دوافع الرحلات العلمية بالجزائر في العهد العثماني فهي كما يلي:

هناك العديد من الدوافع للرحلات العلمية بالجزائر في العهد العثماني، ومن ذلك:

- 1- اكتساب العلم.
- 2- مقابلة العلماء، والاستفادة من علمهم.⁽³⁾
- 3- نفع الناس وتعليمهم.
- 4- رجاء ثواب الله وفضله الذي أعده لمن يدعو إليه ويعلم الناس الخير.⁽⁴⁾
- 5- الاطلاع على الكتب وزيارة الأولياء.⁽⁵⁾
- 6- طلب علو السند والإجازة.⁽⁶⁾

3/ أشهر الرحلات العلمية في العهد العثماني:

(1) أوربي أسماء، تأثير أدب الرحلة في التقارب الحضاري، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم، الجزائر، 2017م، ص 8 - 2.

(2) عجنالك بشي يمينة، أدب الرحالة الجزائريين إلى الحجاز خلال القرن الـ 18 " نحلة الحبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب " لابن عمار، مجلة بحوث، ج3، ع11، ب. ت، ص 13 - 14.

(3) الطاهر حسين، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، 2014م، ص 81.

(4) عبد العزيز بن داخل المطيري، بيان فضل طلب العلم، معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، ب. ط، 1437هـ، ص 49 - 50.

(5) الرحلة الجزائرية في العهد العثماني، حسين الطاهر، ص 85 - 89.

(6) بوسليم صالح، والزين محمد، ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني، الحوار التونسي، ع9 - 10، ب ت، ص 81.

لقد كان هناك العديد من الرحلات العلمية في الجزائر في العهد العثماني، ومن أهم هذه الرحلات:

✽ رحلة ابن حمادوش المسماة بـ(لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال):

هو عبد الرزاق بن مُجَّد أبو مُجَّد ابن حمادوش الجزائري، ولد بمدينة الجزائر، لقبته رحلته "بلسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، حيث يبدأ الرحلة والكتاب بالبسملة والحمد لله... إلخ. وتنتهي الرحلة بالعبارة الدالة وهي هذا الخميس والجمعة ثاني وثالث جمادى الأولى أول مايو 1747 رزقنا الله الهدى فيما بقى وسامح وعفى فيما مضى. ويتضح أن ابن حمادوش قام بهذه الرحلة في القرن 18م من الجزائر إلى تيطوان، ومكناس وفاس، ثم عاد إلى الجزائر من تطوان وكانت هذه الرحلة لطلب العلم والتجارة⁽¹⁾.

فحضر ابن حمادوش من خلال رحلته دروس الشيخ البناني، وكان أول درس حضره بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وكان يدرس بجامعة زاوية سيدي أحمد بن ناصر، فأول ماسمع له قول الشيخ: البخاري - رحمه الله - باب ماي كره من السجع في الدعاء.⁽²⁾

✽ رحلة: ابن عمار المسماة بـ(نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب):

لقد حج ابن عمار أول مرة سنة 1166هـ، وجاور بالحرمين الشريفين حوالي اثني عشر سنة، وتنقل بين الجزائر والمشرق مرات عديدة، فزار تونس سنة 1195هـ، وشغل ابن عمار منصب الافتاء في الجزائر وورد ذكره في العديد من عقود سجلات المحاكم الشرعية³ وقسم ابن عمار رحلته إلى ثلاث أقسام:

- المقدمة
- غرض مقصود وهو الرحلة
- الخاتمة.⁽⁴⁾

✽ الرحلة الورثانية المسماة بـ(نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار):

(1) عبو إبراهيم، المرجع السابق، ص 259 - 260.

(2) نفسه، ص 259 - 260.

(3) لمزيد من التفاصيل ارجع لسجلات المحاكم الشرعية بئر خادم العلية رقم 55، الوثيقة 34.

(4) حورية قايش، التحليل اللغوي للخطاب الشعري الجزائري في العصر التركي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة حسبية بن بو علي، الشلف، الجزائر، 2008م، ص 17 - 18.

تعتبر رحلة الشيخ الحسين الورثياني المعروفة بـ: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" أحد أهم الرحلات البارزة في القرن الثامن عشر الميلادي في الجزائر خلال حكم الأتراك العثمانيين في ذلك الوقت، ولقد طغى على الرحلة الورثانية موضوع واحد وهو الأمن العام أنه كلما تحدث عن قافلة أشار إلى اللصوص الذين كانوا يتربصون بها أو أخبار الاعتداءات التي وقعت على القوافل⁽¹⁾.

لقد اشتملت الرحلة الورثانية على معلومات تتصل بالحياة اليومية، والحالة المعيشية، وأسلوب الحكم، ومستوى الثقافة، وطبيعة العادات والتقاليد للبلاد التي تعرف عليها في رحلته، حيث توجه إلى تونس وأقام بها الورثياني متعلماً ومعلماً وناوياً للحج من هنالك، ولكن الحظ لم يسعفه فعاد للوطن وفي المرة الأخيرة أقام بها خمسة أشهر ونيف⁽²⁾.

وقام الورثياني بتدريس الفنون وضبط القواعد من العلوم، وقد أخذ عنه الكثير من الطلبة العديد من العلوم والفنون، وعقد حلقات بحث مع المشايخ والعديد من الطلبة في كل من صفاقس وقابس في مختلف العلوم ولقى العديد من العلماء العظماء في تونس واجتمع بهم وربط بينه وبينهم صلة متينة، ومن هؤلاء:

- الشيخ الهادي السنوسي.

- الشيخ الغرياني.

- المفتي ابن محجوبة.

- الشيخ حمودة ابن عبد العزيز.

- ناصر القابوس.

- أحمد التيجاني.

لقد كان الورثياني على دراية واسعة بالفقه، وأصوله، ومدارسه، وفي بعض الأحيان يقوم بتقديم الفتاوى⁽³⁾.

(1) إرجع إلى رحلة الورثياني ، نزهة الأنظار في علم التاريخ و الأخبار ، المصدر السابق ، ينظر: بلعري عبد القادر، الرحلة الورثانية ومصادرها المعرفية، مجلة آفاق فكرية، ع6، 2017م، ص 85 – 86.

(2) بلعري عبد القادر، المرجع السابق ، ص 85 – 86.

(3) نفسه، ص 86 – 88. ينظر ، الورثياني ، المصدر السابق .

* رحلة أبي راس الناصري: المسماة بـ(فتح الإله ومنتها في التحدث بفضل ربي

ونعمته):

مُحَمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن مُحَمَّد بن أحمد بن الناصري بن علي بن عبد الأديم المشهور بأبي راس، اشتهرت أسرته بالعلم والمعرفة والصلاح، عاش أبي راس فقيراً طوال حياته، لم يمنعه هذا الأمر من تحصيل العلم على يد عدد من الشيوخ ثم استوى إلى التأليف فكثرت إنتاجه وغزر علمه.

تولى أبو راس العديد من المناصب كالإفتاء والقضاء والتدريس لمدة ست وثلاثين سنة.⁽¹⁾

وهذه الرحلة عبارة عن ترجمة ذاتية له، قام بتصنيفها في خمسة أبواب وزرع بينها الحديث بتوسع عن بداية أمره وشيوخه ورحلاته العلمية بالمشرق وغيره ثم أجوبته ومؤلفاه، وتتميز رحلة أبي راس بما يلي:

- منهجها الدقيق خصوصاً في تقسيم أبوابها، حيث تبدو رحلته مختلفة عن بقية الرحلات، فهي تهتم بالدرجة الأولى بالموضوعات العلمية، حيث كان محل عنايته ما يقابله من علماء وشيوخ، وما يحفظه من علم، أو رواية عن العلماء الأجلاء، ولقد اعتبر العديد من الباحثين رحلة أبي راس الناصري رحلة علمية بامتياز، وذلك بسبب غلبة الجانب العلمي عليها بجميع مظاهره للحد الذي كاد أن يخرجها من دائرة الرحلة لولا حضوره بنية السفر الدالة على الحركة والانتقال داخل الإطار المكاني المعبر عنه بأسماء المدن والأقطار.⁽²⁾

- تتميز بأسلوبها الرصين الأقرب إلى الأسلوب العلمي في معظم الأجزاء، وبخلوها كذلك من الحديث عن المشاهد ووصف الأماكن.

- تركيزها على الحديث عن العلم، والعلماء، والمشايخ، والفقهاء، والقضايا الدينية والمناظرات العلمية.

- الحديث عن المؤلفات بذكر عناوينها والتعريف بأصحابها.

⁽¹⁾ رقية شارف، الواقع الاقتصادي للجزائر من خلال نماذج لمؤرخين جزائريين نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، مجلة العلوم الإنسانية، مجب، ع41، 2014م، ص 55.

⁽²⁾ نبيلة شلاي، وعمر حيدوسي، الحالة العلمية بالجزائر في العهد العثماني: القرنان الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد من خلال رحلة أبي راس العسكري "فتح الإله ومنتها"، مجلة الإحياء، مج19، ع23، 2019م، ص 702 - 704.

لقد تنوعت تجارب أبي راس الناصري، وتعمقت معارفه المختلفة، وتوسعت ثقافته من خلال رحلاته وانتقالاته التي قادتته إلى مختلف أقطار الوطن العرب غرباً وشرقاً، فلقد كان يجالس العلماء ويناقش معهم القضايا ن بل كان يناظر الأجلة منهم فيعرفون له بنباهته وسعة علمه وعمق تفكيره .⁽¹⁾

المبحث الثالث : دور الأوقاف في دعم المؤسسات التعليمية بالجزائر في العهد العثماني

1/ مفهوم الوقف لغة واصطلاحاً:

■ الوقف لغة:

مصدر وقف، وقفاً، والوقف: شيء يجعل على اليد مثل السوار يمسك بها، وأوقفت عن الأمر، أفلعت عنه، يقال، أوقفت عن التدخين، أي أفلعت عنه، وموقف الإنسان والدواب، وغيرها، مكانها الذي تقف فيه، ووقفت الحديقة، والدابة، والأرض، حبستها، وكذلك كل شيء أوقفته، فقد حبسته، ووقف الأرض على المساكين: حبستها عليهم .⁽²⁾

قال ابن فارس: "الواو والقاف والفاء: أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه. منه وقفت أقف وقوفا. ووقفت وقفي، ولا يقال في شيء أوقفت إلا أنهم يقولون للذي يكون في شيء ثم ينزع عنه: قد أوقف، وكل شيء أمسكت عنه فإنك تقول: أوقفت. وموقف الإنسان وغيره: حيث يقف"⁽³⁾.

فالوقف له العديد من المعاني، والذي يخص البحث والوقف بمعنى الحبس، وذلك لأن الوقف يقوم بحبس الموقوف على الموقوف عليه، بحيث يصرف ريعه عليه.

قال الفيروز آباي: "الحبس: المنع... وكل شيء وقفه صاحبه من نخل أو كرم أو غيرها يحبس أصله، وتسبل غلته، والحبیس من الخيل: الموقوف في سبيل الله، وتحبیس الشيء: أن يبقى أصله، ويجعل ثمره في سبيل الله"⁽⁴⁾.

■ الوقف عند الحنفية:

⁽¹⁾ الطاهر حسيني، الرحلة الجزائرية...، المرجع السابق، ص 313 – 314.

⁽²⁾ الخليل بن أحمد، العين، ج 5، ص: 224، ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج 9، ص: 251.

⁽³⁾ لابن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، ص: 135.

⁽⁴⁾ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج 1، ص: 537.

عرف الوقف بأنه: "حبس العين على ملك الوقف والتصدق بالمنفعة"⁽¹⁾.

وعرف بأنه: "حبس المملوك عن التملك من الغير"⁽²⁾.

فمن خلال هذا التعريف يمكن القول :

1- هذا التعريف يقتضي لزوم الوقف، وهو خلاف قول الحنفية، حيث يرى أبو حنيفة أن الوقف غير لازم، ويجوز الرجوع فيه.

2- هذا التعريف غير مانع، حيث إنه شامل للمنقول، والعقار، وأبو حنيفة لا يرى وقف المنقول⁽³⁾.

وعرف بأنه: "حبس العين على ملك الوقف والتصدق بالمنفعة"⁽⁴⁾.

وقيل في تعريفه: "حبس العين على حكم ملك الله تعالى، فيزول ملك الوقف عنه إلى الله تعالى على وجه تعود منفعته إلى العباد، فيلزم، ولا يباع ولا يوهب، ولا يورث"⁽⁵⁾.

■ تعريف المالكية:

عرف المالكية الوقف بأنه: إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيه، ولو تقديراً⁽⁶⁾.

حدد التعريف الوقف بأنه لازماً ما دام موجوداً، وهو ملك للوقف، واقتصر التعريف على تعريف الوقف بالغرض منه، وهو تسهيل المنفعة.

هذا التعريف غير جامع؛ لأنه غير شامل للوقف المؤقت الذي يرى المالكية صحته⁽⁷⁾.

(1) ابن مودود، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلية البلدي، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356 هـ - 1937 م، ج3، ص: 40. ينظر: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، كنز الدقائق، تح: سائد بكداش، دار البشائر الإسلامية، دار السراج، ط: 1، 1432 هـ - 2011 م (403).

(2) محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، المبسوط، السرخسي، دار المعرفة - بيروت، 1414 هـ - 1993 م، ج12، ص: 27.

(3) عبد الله بن أحمد الزيد، أهمية الوقف وحكمة مشروعيتها، مجلة البحوث الإسلامية (السعودية)، 1992 م، ع: 36، ص: 189.

(4) أبو الحسن برهان الدين، المرغيناني، الهداية في شرح بداية المبتدي، تح: طلال يوسف، دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ج3، ص: 15.

(5) نفسه.

(6) ابن عرفة، محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، المختصر الفقهي، تح: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، ط1، 1435 هـ - 2014 م، ج8، ص: 429.

(7) الزيد، أهمية الوقف وحكمة مشروعيتها، المرجع السابق، ص: 193.

■ تعريف الشافعية:

عرف الوقف بأنه: حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح⁽¹⁾.

وعرف بأنه: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه ، ممنوع من التصرف في عينه ، وتصرف منافعه إلى وجه من وجوه البر ، يقصد به التقرب إلى الله تعالى"⁽²⁾.

■ تعريف الحنابلة:

عرف الحنابلة الوقف بأنه: تحبيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه، بقطع تصرفه، وغيره في رقبته، يصرف ريعه إلى جهة بر تقربا إلى الله تعالى⁽³⁾.

اشتمل التعريف على شروط الواقف، وشروط العين الموقوفة، بأن يكون الواقف مطلق التصرف، وأن يكون العين الموقوفة مما يبقى عينه.

وعرف بأنه: "تحبيس الأصل، وتسييل الثمرة"⁽⁴⁾.

ولكن هذا التعريف يمكن القول بأنه: لم يجمع شروط الوقف.

ويمتاز التعريف بأنه اقتصر على تعريف حقيقة الوقف، ولم يدخل في تفاصيل أخرى، هي من الأمور المختلف فيها⁽⁵⁾.

وعرفه بأنه: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه ممنوع من التصرف في عينه بلا عذر، مصروف منافعه في البر تقربا إلى الله تعالى"⁽⁶⁾.

(1) زكريا بن مُجَدِّد بن أحمد بن زكريا السنيكي، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة: 1414هـ/1994م ج 1 ، ص: 306 .

(2) أحمد بن مُجَدِّد بن علي الأنصاري، ابن الرفعة، كفاية النبيه في شرح التنبيه، تح: مجدي مُجَدِّد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، ط1، 2009م، ج12، ص: 3 .

(3) الفتوح، مُجَدِّد بن أحمد، منتهى الإرادات، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م ، ج3، ص: 330 .

(4) عبد الله بن أحمد بن مُجَدِّد بن قدامة المغني، ابن قدامة، مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968م، ج6، ص: 3 .

(5) الزيد، أهمية الوقف وحكمة مشروعيته، المرجع السابق ، ص: 185 .

(6) إبراهيم بن مُجَدِّد بن عبد الله بن مُجَدِّد ابن مفلح ، المبدع في شرح المقنع ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م ، ج5، ص: 152 .

وعرف بأنه: "تجيس مالك مطلق التصرف ماله المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرفه وغيره في رقبته يصرف ريعه إلى جهة بر تقربا إلى الله تعالى" (1).

والمختار في تعريف الوقف أنه: حبس الأصل، وتسييل الثمرة.

2/ أنواع الأوقاف في العهد العثماني:

لقد تنوعت الأوقاف في العهد العثماني بالجزائر، ولعبت هذه المؤسسات الوقفية دوراً كبيراً في العمليات الخيرية، وهذه المؤسسات كان لها الدور المهم في عملية إدارة الأوقاف التي كانت تابعة لها، سواء تلك الأوقاف الخيرية، أو الأوقاف الذرية، وقد تعددت المؤسسات الوقفية بتعدد الأهداف التي كانت منتظرة منها. (2)

ولقد ازداد نطاق الوقف اتساعاً في عهد العثمانيين، وإقبال السلاطين على عملية وقف المدارس والمكتبات، والمستشفيات، وخلافها من الأوقاف الخيرية العامة، والتي تنابعت القوانين الصارمة المنظمة لهذه الأوقاف والمحددة لأساليب إدارتها، والاستفادة منها، سواء أكانت استفادة خيرية، أو استفادة أهلية، فلا تزال العديد من هذه الأنظمة والقوانين معمولاً بها إلى يومنا في الكثير من الأقطار الإسلامية. (3)

أ - أنواعها:

إن الجزائر من بين البلدان العربية التي تمتلك في طياتها ثروة من الأملاك الوقفية المتنوعة من بساتين، ومساجد ومحلات سكنية ومنازل وأراضي فلاحين، والتي كان لها الدور المهم في العملية التنموية خلال العهد العثماني.

فالأوقاف في الجزائر العثمانية قد لعبت دوراً كبيراً، ومرت بالعديد من المراحل من النماء والازدهار في الفترة العثمانية، فكان الممول الأساسي للعديد من المرافق الاجتماعية والقطاعات و عرفت مؤسسات ضخمة تولت تسيير تلك الأملاك المحبسة عرفت بالمؤسسات الوقفية منها :

(1) تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن ، منتهى الإرادات، النجار تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1419هـ - 1999م، ج3، ص: 330 .

(2) أعقيل نمير، المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، مجلة دراسات تاريخية، ع115 - 116، 2011م، ص 258.

(3) ياسين هشام ياسين عبد اللطيف، دور الوقف الإسلامي في التنمية العمرانية، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، مصر، 2014م، ص 11.

مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين ، و مؤسسة سبل الخيرات ، و مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم، و أوقاف الأندلسيينالخ.⁽¹⁾

لقد تميزت الأوقاف العثمانية بالانتشار في الجزائر، وتوسعها و ربما هذا راجع إلى إرادة الخير و التضامن عند الإنسان المسلم ، فلقد أصبحت الأوقاف بالجزائر تشتمل على الأراضي الزراعية، والأموال العقارية، حيث تضم العديد من المحلات بالإضافة إلى العيون والسواقي وأفران الخبز و الفنادق مما جعلها تؤثر بالتالي على كافة نواحي الحياة من الأنشطة الثقافية، والأنشطة الاجتماعية، والأنشطة العلمية بالإضافة للدور المهم في تمكين شبكة التضامن والتكافل الاجتماعي⁽²⁾.

لقد كان للوقف في العهد العثماني نظام خاص، فلقد كان للأوقاف نظام داخلي يتسم بدقته، حيث كان الوكيل، أو الناظر للوقف يقوم بما يلي:

- 1- هو الذي يقوم بالإشراف الأساسي عليه.
 - 2- ويقوم على عملية تطبيق ما جاء في الوقفية من شروط.
 - 3- وهو المسؤول عن تنمية الوقف واستعماله في الأوجه المعينة له
- وتعيين الوكيل أو الناظر كان يقوم به الباشا، أو الباي في الأقاليم بناء على مواصفات، ومميزات معينة يتصف بها من أخلاق، وعلم، ونزاهة، وسمعة طيبة بين الناس، كما أنه يمكن تغيير الوكيل عندما تشتهر عنه أمور مخلة بنظام الوقف وبالأخلاق العامة⁽³⁾، و للوقف نظام داخلي دقيق ، فالوكيل أو الناظر هو المشرف الرئيسي عليه و هو الذي يسهر على تطبيق ما جاء في التحبيس أو الوقفية⁽⁴⁾.

1.أنواع الوقف بحسب العين الموقوفة:

إن أنواع الوقف كثيرة فليس من السهل حصرها فهناك العديد منها ومن ضمنها :
-وقف عقار من الأرض.

(1) لمزيد من التفاصيل حول المؤسسات الوقفية إرجع إلى :عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص : 241-310 .

(2) أحمد مريوش ،الحياة الثقافية .. المرجع السابق ، ص : 28 . ينظر سجلات البايلك لمعرفة الأملاك والعقارات الموقوفة لصالح الخير بمدينة الجزائر وكذا طبيعة عقود التحبيس. سجل رقم 122.

(3) حمداني هجيرة، نظرة حول تاريخ الأوقاف في الجزائر، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع32، 2017م، ص 20.

(4) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي.. المرجع السابق ، ص : 230،231 .

-وقف دكان .

-وقف دار .

-وقف بئراً لأبناء السبيل .

-وقف غلة حقل من الحقول أو غلة مجموعة من الأشجار.

إن الوقف يتم استعماله في العديد من الأغراض، ومنها: العناية بالعلم، والطلبة، والعلماء، واليتامى، وأبناء السبيل، ومن أهم أغراضه هو العناية بالمدارس، والمساجد، والزوايا والأضرحة، كما أن من أغراضه العناية بفقراء فئة معينة كفقراء الأندلس، وفقراء الأشراف، أو بطلبة خصوصيين، كالشبان الأتراك، أو بفقراء مدينة بعينها.⁽¹⁾

2.أنواع الوقف باعتبار الجهة:

والوقف من حيث الأنواع التي كانت منتشرة في الجزائر في العهد العثماني باعتبار الجهة نوعان:

1-الوقف العام (الخيري).

3-الوقف الأهلي (الخاص).

أولاً: الوقف العام:

الوقف العام أو الخيري هو الوقف الذي تم تخصيصه من أجل أغراض منفعة على الوجه العام وعلى جهة من جهات البر والإحسان التي ربما تكون جهة ذات طابع ديني كالمساجد، أو تكون أي وجهة يقصد بها الخير والمنفعة للمجتمع الإسلامي بشكل عام، مثل: الأرض التي قام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بوقفها للإنفاق على الفقراء والمحتاجين من المسلمين وهذا النوع قد عرفته جميع الشعوب.⁽²⁾

فالوقف العام هو الذي يعود بالأساس على المصلحة العامة التي حبس من أجلها ويتكون من الأوقاف الأهلية التي انقرض عقب محبسها، فالأوقاف العامة المصونة تتمثل في:

-الأماكن التي تقام فيها الشعائر الدينية.

⁽¹⁾ نفسه .

⁽²⁾ أمل شفيق مجّد العاصي، مباني الأوقاف الإسلامية وأثرها في استدامة الأنسجة الحضرية للمدن التاريخية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010م، ص 22.

-الأموال والعقارات والمنقولات التي تكون موقوفة على الجمعيات، والمؤسسات، والمشاريع الدينية.

-الأموال التي تظهر تدريجياً بناء على وثائق رسمية، أو شهادات أشخاص عدول من الأهالي وسكان المنطقة التي يقع فيها العقار.

-الأوقاف الثابتة بعقود شرعية وقد تم ضمها إلى أملاك الدولة، أو الأشخاص الطبيعيين، أو المعنويين.

-الأموال والعقارات والمنقولات الموقوفة، أو المعلومة وقفاً.

-الأوقاف الخاصة التي لم تعرف الجهة المحبس عليها .⁽¹⁾

وتفيد الوثائق الشرعية المتوفرة بوجود اختلافات عديدة في أحكام الحبس أو الوقف بين المذهب المالكي، والمذهب الحنفي، فلقد اصطلح لذلك في الوثائق العثمانية بالجزائر إطلاق تسمية الأحباس في المحكمة المالكية واسم الأوقاف في المحكمة الحنفية.⁽²⁾

ثانياً: الوقف الأهلي (الخاص):

المراد بالوقف الأهلي: هو الوقف على الأهل ، بحيث يستحق نفع الموقوف من أراد الوقف برهم من أقاربه، سواء كان شخصاً أم جماعة معينة.⁽³⁾

والوقف الخاص هو ما جعل استحقاق الربح فيه أولاً إلى الواقف ثم أولاده ثم لجهة بر لا تنقطع حسب إرادة الواقف، وهو ما يحتفظ فيه المحبس، أو عقبة بحق الانتفاع به، بحيث لا تصرف على الغرض الذي حبس من أجله أساساً إلا بعد انقراض العقب حسب ما هو منصوص عليه في وثيقة المحبس⁽⁴⁾ وتُظهر سجلات المحاكم الشرعية أسماء نساء أسهمن في عمليات التحبيس، مما يؤكد أن هذا العمل الخيري لم يكن مقتصرًا على الرجال. فقد شاركت فيه نساء الحكام، والأغنياء، أي وقف الممتلكات والأموال لصالح الأعمال الخيرية والدينية. وشاركت

⁽¹⁾ فنطازي خير الدين ، نظام الوقف في التشريع الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2007م، ص 15 - 16.

⁽²⁾ مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2000م، ص 59.

⁽³⁾ بوسعيد عبد الرحمان، الأوقاف .. المرجع السابق، ص 14 - 15.

⁽⁴⁾ صورية زردوم، النظام القانوني للأملاك الوقفية في التشريع الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2010م، ص 29.

فيه النساء من مختلف الطبقات الاجتماعية، بما في ذلك زوجات الحكام، والنساء الثريات، ونساء الطبقة الميسورة⁽¹⁾

ب-الدور الذي تلعبه الأوقاف العامة والخاصة :

تقوم الأوقاف بدور كبير في تمويل المدارس القرآنية، والمدارس والمساجد، والانتفاع بأموالها بصفة مباشرة من الجهة الموقوف عليها وذلك في حالة الأوقاف الخاصة، وأما الأوقاف العامة فأموالها تصب في حساب خاص بها لدى الخزينة المركزية ولا يستخدم منه إلا ما هو ضروري من أجل تسديد نفقات العمليات التي تتصل بالبحث عن الأوقاف المفقودة واستخراجها .

3/ أهم المؤسسات الوقفية في الجزائر في العهد العثماني.

لقد اتسمت الفترة العثمانية بالجزائر بازدياد عدد الأوقاف، وتكاثرها، وانتشارها في مختلف أنحاء البلاد ففي عام 1750م، حيث تضاعفت 12 مرة بالمقارنة بعام 1600م حتى أنها أصبحت تشكل نسبة 66% من مجموع الممتلكات العقارية، والزراعية، فشملت العديد من السواقي، والصهاريج و الأفران⁽²⁾.

لقد ساعد على انتشار الوقف الأهلي في العهد العثماني العديد من العوامل، منها:

1- إجماع العلماء على عملية الاقتناء حسب المذهب الحنفي الذي يقر الوقف الأهلي، وذلك تشجيعاً للوقف وترغيباً في الثواب والأجر، فقد أجمع العلماء على العمل بمقتضى المذهب الحنفي الذي يجيز جمع الهبات من أجل الإكثار من مردود الهدايا لصالح الفقراء .

2- رغبة المحبس في عملية توفير مصدر رزق دائم لأسرته، وحفظ حقوق عقبه من يتامى والقصر والأرامل، حيث كان الوقف الأهلي يوفر في ذلك الوقت أحسن وسيلة تقوم بحفظ حقوقهم وتبقيهم بعيداً عن تقلبات الزمن.⁽³⁾

3- الرغبة في فعل الخيرات.

4- العلم وإصلاح المجتمع.

5- الحماس للدين.

⁽¹⁾الأرشييف الوطني : سجلات المحاكم الشرعية : العلية رقم 48 وثيقة 45 ، العلية 51 وثيقة تحت رقم 79 .

⁽²⁾ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط، 1986م، ص 78 – 79.

⁽³⁾نفسه .

لقد اعتبر الحكام الأتراك أن الوقف يمكنهم من عملية تأكيد لنفوذهم، وتخليد رغبتهم في الذكر الحسن في الحياة أو بعد الممات، ويقوم بتقوية مكانتهم مع بقية السكان فلقد كان الوقف محل إهتمام الحكام و المظفون السامون ، حيث قاموا بتحبيس أموالهم لصالح جهات معينة ، لكسب الرعاية مما شجع ذلك من تطور الوقف خلال العهد العثماني.⁽¹⁾

كما أن أهمية الوقف والأوقاف تظهر مظاهرها في الحياة العلمية، والدينية والاجتماعية ، فهو مصدر العيش للزوايا، والأضرحة، وغيرها من المؤسسات الدينية المختلفة، وإن مصدر الحياة للمساجد، ونموها وللمدارس ونموها وتطورها، والكتاتيب هو : الوقف، حيث لعب دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية، والوقف كالشجرة يحتاج إلى التعهد المستمر من أجل أن يزداد دخله، فإذا توقف الوكيل عند استغلاله، فقد توقف الوقف تدريجياً عن الإيفاء بالحاجة؛ لذلك لقد كانت بعض المؤسسات الدينية والعلماء يعانون نتيجة ضالة الدخل وإهمال الوكلاء.⁽²⁾

إن الإدارة الوقفية تميزت في العهد العثماني بأنها عبارة عن جهاز إداري محلي مستقل له صلاحيات محددة وذلك من خلال إشراف مميز، وكفاءة للقائمين عليه، وأن الأوقاف في العهد العثماني كان لها العديد من الأدوار التي تجسدت في المجالات التي كان ينفق فيها والتي منها:

- 1- ترميم وإنشاء ثكنات وتحصينات متنوعة.
- 2- رعاية العائلات الجزائرية وحفظ حقوق الورثة.
- 3- رعاية شؤون الفقراء والمحتاجين.
- 4- الإنفاق على طلبة العلم والعلماء.
- 5- تمكين المستضعفين من حقوقهم وذلك نتيجة الظلم والتعسف من قبل الأحكام.
- 6- تمويل وصيانة المرافق العامة وتعاهداها بالرعاية السليمة.⁽³⁾

وإن أهم ما تميز به العهد العثماني في الجزائر انتشار العديد من الأوقاف في مختلف البلاد بالتزامن مع انتشار الزوايا، والطرق التي امتدت من القرن الخامس عشر حتى مستهل القرن التاسع عشر، بحيث هذه المؤسسات الدينية كانت تتغذى من الوقف لتواصل دورها التعليمي و الثقيف ، كما

⁽¹⁾ بوسعيد عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 29 - 30.

⁽²⁾ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص: 231 - 232.

⁽³⁾ فارس مسدور، الأوقاف الجزائرية بين الاندثار والاستثمار، مجلة معهد العلوم الاقتصادية، مج 12، ع 3، ص 180.

وجد الحكام في الأوقاف أنه أفضل وسيلة من أجل استقرار الحكم لهم، وخير قرار من أجل بسط نفوذهم بحيث يكمن من عملية تعزيز الرابطة الدينية بينهم وبين شيوخ الزوايا و الرعية . ولقد عرف العهد العثماني تطور كبير في الأوقاف حيث وصلت أوجها، وشكلت نظاماً وافراً في عملية تحقيق احتياجات المجتمع، وإن أهم الأوقاف التي عرفتها البلاد في العهد العثماني تتمثل في:

- إدارة سبل الخيرات التي قام بتأسيسها شعبان خوجة عام 1590م.
- أوقاف الحرمين الشريفين.
- أوقاف النازحين من الأندلس.
- أوقاف سبل الخيرات .
- أوقاف الأشراف وأوقاف بيت المال.
- أوقاف الجامع الاعظم بالعاصمة والزوايا والجوامع الكبيرة في قسنطينة ومعسكر والمدينة وتلمسان (1).

وقد تميزت الأوقاف الجزائرية في نهاية العهد العثماني بالعديد من المميزات، ومنها:

- 1-أن ظاهرة الوقف في الجزائر كانت موجودة من قبل سيطرة الأتراك على مقاليد الحكم الجزائري.
- 2-كثرة عدد الأوقاف في مختلف أنحاء الجزائر، وذلك بفعل الظروف التي كانت تعرفها الجزائر في أواخر القرن التاسع الهجري، وحتى بداية القرن الثالث عشر الهجري، حيث تميزت بازدياد نفوذ الطرق، والزوايا وزيادة الروح الدينية لدى السكان.
- 3-إن الأوقاف تتنوع خدماتها لمختلف نواحي الحياة، فهي تشتمل على الأراضي الزراعية، والدكاكين وأفران الخبز، والعيون، والسواقي، والصهاريج وكذلك أفران معالجة، وغيرها.
- 4-غياب التنظيم المحكم للأوقاف في بداية الحكم العثماني للجزائر وأواسطه حيث لم يتحقق هذا الأمر إلا في فترة متأخرة كانت في أوائل القرن 12هـ (18 ميلادي). (2)

(1) كوديد سفيان، واقع الوقف في الجزائر، مجلة دراسات اقتصادية، مج12، ع2، (د. ت)، ص 19.

(2) مسدور، المرجع السابق، ص 179 - 180.

تتوزع الأوقاف في العهد العثماني على العديد من المؤسسات الخيرية ذات الطابع الديني، والشخصية القانونية، ووضع نظام إداري خاص بها، ومن أهم هذه المؤسسات:

1-مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين :

تعد أوقاف الحرمين الشريفين من حيث نشأتها أقدم مؤسسة وقفية، تعود نشأتها إلى ما قبل القرن السابع عشر، و أقدم الدفاتر المتعلقة بحسابات كراء الأوقاف المخصصة لمرجع الحرمين الشريفين يعود إلى عامي 1648-1649⁽¹⁾ وتؤول أموال أوقافها إلى الفقراء و المساكين و فقراء مكة و المدينة ، وفازت هذه المؤسسة بأهم قسط من العقارات الموقوفة.

وقد ارتبطت نشأتها بتنظيم الأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين، ويعود سبب هذا الوقف إلى خدمة صالح آل البيت في المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما أن تعلق المسلمون بهذه الأماكن جعلهم يفكرون في إنشاء أوقاف تقوم بخدمة الأماكن المقدسة حتى تسهل عليهم عملية نقل الأموال وصرفها على مستحقيها، حيث أعطى العثمانيون أهمية كبيرة لهذه الأماكن المقدسة، وليس معروف بالتحديد تاريخ إنشاع مكة المكرمة و المدينة المنورة بعائدات الأوقاف المخصصة لهم⁽²⁾.

وتميزت أوقاف الحرمين الشريفين عن باقي المؤسسات الوقفية الأخرى بالعديد من المميزات التي أهلتها لكي تصبح أكبر وأهم مؤسسة وقفية في الجزائر ، قد دفعت كل سكان الجزائر التابعين للمذهب المالكي، أو المذهب الحنفي إلى وقف أملاكهم لصالح هذه المؤسسة على عكس المؤسسات الوقفية الأخرى التي كانت تعتمد؛ إما على فئة معينة تنتمي إلى مذهب معين (المذهب الحنفي، أو المذهب المالكي)، أو تنتمي لجماعة معينة، كجماعة الأشراف ، والأندلس⁽³⁾.

وتعتبر مؤسسة وقف الحرمين الشريفين من أكبر المؤسسات الوقفية من حيث عدد الأوقاف، و هذا ملاحظه قنصل فرنسا بالجزائر " فيليب فالير أواخر القرن الثامن عشر بقوله : "...إن

(1) عائشة غطاس المرجع السابق ، ص : 242-243. ينظر: عائشة غطاس ، حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر ، أعمال ندوة الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ، دراسات إنسانية، 2002 .

(2) نفسه .

(3) محمد زاهي، مصير مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، الحوار التونسي، مج 6، ع 9 - 10، ب. ت، ص 279 - 280.

أوقاف الحرمين واسعة الانتشار بمدينة الجزائر وسيأتي اليوم الذي ستستحوذ فيه مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين على جميع العقارات..."، وأضاف مانصه: "...وتكاد تكون جميع دور المدينة والبساتين المنتشرة بضواحيها تابعة لمرجع الحرمين الشريفين..."⁽¹⁾ وقد قدرت بما يلي:

-840 منزلاً.

285 دكاناً

33 مخزناً

84 غرفة.

6 أرحية

11 كوشة

4 مقاهي

فندق واحد.

57 بستاناً

62 ضيعة.

وهذه الأرقام تدل على أهمية مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين في الحياة الاجتماعية.⁽²⁾

لقد تقاسم العنصران التركي والأندلسي عملية الإشراف على هذه المؤسسة، وتسييرها ومنهم الحاج محمد بن إبراهيم الأندلسي، والحاج محمد بن أحمد الأندلسي، فلقد ورد في إحدى سجلات البايلك مانصه: "هذا دفتر مبارك ميمون يشتمل -إن شاء الله تعالى- على الأماكن المحبسة على الفقراء القاطنين بالحرمين الشريفين مكة المكرمة، والمدينة المنورة ن وذكر ما تحصل من الفتوحات، ونوافل الخيرات على نظر الأغوات الأخيار، والوكلاء الأبرار، وهم المعظم الحاج أحمد

²Ph . Vallière, L'Algerie en 1781 – Mémoire – publiée par le père lucie Chaillou, Toulon, s.d, p28 et 31.

-عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 243.

(2) حمداني هجيرة، نظرة حول تاريخ الأوقاف في الجزائر، حمداني هجيرة، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع32، 2017م، ص 20 - 21 .

أغا بن يوسف التركي، والمعظم الحاج مصطفى أغا بن إلياس التركيين، والسالك الأظفر السيد الحاج على بن المرحوم الحاج ساعد⁽¹⁾.

وقد كان ما يجني من مداخيل العقارات الموقوفة على هذه المؤسسة يوزع على فقراء الحرمين الشريفين، حيث كان ينعقد المجلس العلمي الذي يقوم بحضوره ممثلين عن الهيئة الدينية، وممثلين عن المؤسسة العسكرية، كما يقوم بحضوره أعلى موظف في الإيالة، وبعد عملية تقسيم حصص الصدقة على المتوجهين من أجل أداء فريضة الحج يتم تدوينها في محاضر لكل من فقراء مكة والمدينة⁽²⁾.

وقد ساهمت هذه المؤسسة في نشر المدارس العلمية، وتدعيم الطلبة ليس في الجزائر فقط، ولكن في الحرمين الشريفين: مكة والمدينة، وذلك بفضل العائدات التي تقدمها⁽³⁾.

2- مؤسسة أوقاف سبل الخيرات:

تعتبر مؤسسة سبل الخيرات من أقدم المؤسسات الوقفية التي تميزت بطابعها الخيري، ويرجع تأسيسها إلى شعبان خوجة التركي عام 1590م، وتميزت مؤسسة سبل الخيرات بكثرة أوقافها التي تمثلت في العديد من الأمور من أهمها:

- إصلاح المباني العمرانية.

- إعانة الفقراء والمساكين والمراكز العلمية.

- شراء الكتب ووقفها على طلبة العلم وأهله.

لقد كانت مكلفة بعملية إدارة وصيانة أملاك ثمانية مساجد أهمها: الجامع الجديد، حيث يعود الفضل إلى الطوائف التركية والكراغلة المنتسبين إلى المذهب الحنفي. كما تتجلى أهمية مؤسسة أوقاف في وفرة مداخيلها، فهي تبلغ مائة وخمسين ألف فرنك سنوياً، وكان مصدرها عملية استغلال الأملاك الموقوفة عن طريق الكراء والتأجير⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ فهمة عمريوي، إسهام الجيش الانكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي، مجلة العلوم

الإنسانية، ع41، 2014م، ص 63 - 64

⁽²⁾ نفسه .

⁽³⁾ حنيش ملكية، المرجع السابق، ص6.

⁽⁴⁾ فضيل لخرش، تسيير الأملاك الوقفية في الجزائر، مجلة التراث، ع17، 2015م، ص 131.

لقد اتسمت هذه المؤسسة بصفة المؤسسة شبه الرسمية التي تتطلب مهمة الإشراف على المساجد، وقد أشرفت تلك المؤسسة على الكثير من المساجد، ومنها:

- الجامع الجديد الذى بنى عام (1660م) بإذن من الجيش الإنكشاري، ومن خلال أموال مؤسسة سبل الخيرات .

-جامع كتشاوة .

-جامع القايد صفر.

-جامع شعبان خوجة.

-جامع الشبارلية وزاويته.

-جامع السيدة.

-جامع دار القاضي.

-جامع حسين داي.

-جامع الشبارلية.

-جامع علي خوجة.

كما كانت مؤسسة سبل الخيرات تقوم الإنفاق على الزوايا والمدارس، والفقراء والموظفين، ولقد قدر عدد أوقافها 331 حبساً منها 119 ملكية عقارية و212 عناء، وكان مدخولها السنوي يقدر ب 160,000 فرنكاً فرنسياً.

ويقوم بالتصرف في أوقاف سبل الخيرات المفتي الحنفي الذي يقوم بالصلاة ويتولى الإفتاء بالجامع الجديد الذى يخصص له دخل سنوي لا يقل عن 150 فرنكاً، ويقوم بمساعدته 11 عضواً منهم ثمانية مستشارون ووكيل وخوجة.⁽¹⁾

كما تقوم هذه المؤسسة بالإنفاق على 80 أستاذاً ملحقين بالمساجد التابعة لها⁽²⁾.

(1) بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 34 – 35.

(2) حنيش ملكية، المرجع السابق ، ص 6.

الأوقاف العامة المسجلة باسم مؤسسة سبل الخيرات⁽¹⁾:

اسم الحي	عدد الحوانيت	الغلة السنوية بالريال
1 سوق باب عزو	6	376
2 سوق عمور	5	275
3 سوق السمن	2	143
4 حومة السلاوي	2	107
5 كجاوه	9	606
6 سوق جامع السيدة	8	380
7 سوق القيسارية	9	343
8 سوق الصاغة	6	468
9 سوق الشماعين	8	217
10 القهوة الكبيرة	4	107
11 كوشة النصارى	5	256
12 سوق البلاغجية	3	153
13 سوق اللوح	4	293
14 البادستان	6	242
15 سوق العزارة	3	54
16 الرحبة القديمة	8	310
17 الحكورة	2	62

3-أوقاف بيت المال:

شكلت مؤسسة أوقاف بيت المال أحد أهم التقاليد العريقة للإرادة الإسلامية بالجزائر والتي تدعمت في العهد العثماني، حيث كانت تقوم بالإشراف على الأحباس وتتنصرف في الغنائم التي

⁽¹⁾ أعقيل نمير، المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، مجلة دراسات تاريخية، ع: (15-16)،

تعود بالأرباح على الدولة وتقوم بالاهتمام بشؤون الخراج، وتقوم بشراء العتاد، حيث يقوم بالإشراف على مؤسسة أوقاف بيت المال أمين يسمى بيت المالجي⁽¹⁾، وأمانة بيت المال وظيفة رسمية إذا تم قياسها بوظيفة الوكلاء السابقين، فلقد كان الباشا يقوم بتعيين أحد القضاة من أجل أن يساعد أمين بيت المال في عملية إدارة مؤسسة بيت المال⁽²⁾.

كما أوكلت لبيت المالجي مهمة التصرف في بعض الأعباس الأهلية التي توفي عنها أصحابها بدون عقب، واستوجب عملية إرجاعها إلى المؤسسات الدينية الموقوفة عليها، وذلك حتى تتم الإجراءات المتعلقة بعملية تنفيذ مضمون أحكام العمل والوقف بوصية صاحب الوقف، وقد كان بيت المالجي يتمتع بصلاحيات متزايدة واستقلال حقيقي في عملية إدارة شؤون بيت المال، وهو ليس مجبراً على تقديم حسابات من عمله لموظفي البايك، وإنما هو مطالب فقط بتقديم مساهمة تعادل 100 بوجو و 700 فرنك.⁽³⁾

كما أن أن مؤسسة بيت المال تقوم بالإشراف على إقامة المرافق العامة من جسور، وطرق، وعمليات تتمثل في تشييد أماكن العبادة، والمساجد والزوايا، كما أنها تهتم بالأموال الشاغرة التي ليس لها ورثة تضعها تحت تصرف الخزينة العامة، باعتبارها أملاكاً للجماعة الإسلامية، كما أنها تتولى تصفية التركات، وتقوم بالمحافظة على ثروات الغائبين، وأموالهم، كما أنها تقوم ببعض الأعمال منها:

-دفن الأموات من الفقراء .

-فتح بعض الصدقات للمحتاجين.

(1) بيت المالجي : و يسمى أيضا الناظر أو المشرف على مؤسسة بيت المال ، ويعود هذا المنصب في الجزائر العثمانية إلى الستينات من القرن السادس عشر ، و تتمثل مهمته في مراجعة أموال الخزينة و التصرف في الأملاك من الدور و الأراضي و البساتين داخل الجزائر أو خارجها - عن طريق بيعها و مراقبة تركات جميع من يتوفى دون عقب أو عاصب و كذلك من يطول غيابهم كالأسرى فيعدون بذلك في عداد الموتى أو الغريب أو المجهول ، ويشرف بيت المالجي على مؤسسة عرفت في الجزائر العثمانية بإسم مؤسسة بيت المالجي و تولاه المنخرطون في الجيش مثل : الحاج مصطفى آغا ابن محمد التركي 1672 م ، و الحاج مرتضى آغا ابن علي التركي 1675 و الأمين المعظم الحاج محمد آغا 1702 م و أيضاً عين من صنف البلكباشية أمثال الحاج أحمد بلكباشي 1747 و الحاج علي البلكباشي بن رمضان التركي 1786 . و هذا المنصب المهم كان يدر أموال طائلة على أصحابه . عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص : 118 ، 119 .

(2) بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 39 - 40.

(3) نفسه .

وهذه الأمور الأخيرة هي التي انتشرت وتمتعت بالشهرة وأصبحت تشتهر بها في أواخر العهد العثماني.⁽¹⁾

4-أوقاف الأولياء والأشراف:

تأتي في مقدمة أوقاف الأولياء، أوقاف :سيدي عبد الرحمن الثعالبي والتي كانت تقدر في أواخر العهد العثماني بالجزائر بحوالي: 82 وقفاً ، كان دخلها السنوي 6000 فرنك ، وقد كانت أوقاف سيدي عبد الرحمان الثعالبي لا تتجاوز في بداية القرن 12م : 11 وقفاً ، ثم بعد ذلك بدأت بالتزايد بعدما اكتسب صاحبها صيتاً كبيراً داخل المدينة وخارجها⁽²⁾.

وأما عن الأشراف فكانوا من الفئات المتميزة في المجتمع ولهم أوقاف خاصة، وهي أيضاً من الفئات التي تتعاطف مع الفئة العثمانية، فلقد كان للأشراف في العهد العثماني بالجزائر نقابة خاصة، ونقيب يسمى نقيب الأشراف⁽³⁾ يتمتع بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة والمجتمع، فلقد كان من أشهر العائلات التي تولت هذه النقابة في الجزائر عائلة المرتضي و من أشهرهم أحمد شريف المرتضي⁽⁴⁾ ، وعائلة الزهار، وكانت جماعة الأشراف تتكون من مئتين إلى ثلاث مئة أسرة ، حظيت بتقدير العامة ورعاية الحكام و ليس هناك تاريخ محدد لأول من تولى من هذه الأسرة⁽⁵⁾.

5- مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم :

يرجع تاريخ ظهور هذه المؤسسة إلى منتصف القرن السادس عشر ، ويعود أول عقد تجبيس لصالح المؤسسة إلى سنة 947 هـ/1540-1541م و قد تعرضت للتصفية من قبل الإستعمار سنة 1843 ، و قد كانت من أهم المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال العهد

⁽¹⁾ عبد الرزاق بوضياف، إدارة أموال وسبل استثماره في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، 2006م، ص 20 - 21.

⁽²⁾ بوسعيد عبد الرحمان، المرجع السابق ، ص 42، 43

⁽³⁾ نقيب الأشراف : هذا المصطلح أخذه العثمانيون عن الدولة المملوكية ، ويعني رئيس السادة و الأشراف من نسل الرسول -صل الله عليه و سلم -و مهمته حفظ الأنساب و تدوينها في سجل و أيضا أوكلت إليه بعض المهام القضائية و من بينها فض النزاعات و الخصومات .إسماعيل حقي جارشلي ، أشراف مكة و أمرائها في العهد العثماني ، تر: خليل علي مراد ، ط1، دار العربية للموسوعات ، 2003 ، ص : 29 .

⁽⁴⁾ عائشة غطاس ، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر ..المرجع السابق ، ص :135.

⁽⁵⁾ نفسه .

العثماني حيث قدر دخلها السنوي سنة 1830م إلى 43222.70 فرنك تدرها 1558 وقفا (1).

6-مؤسسة أوقاف الأندلسيين:

تعد مؤسسة أوقاف الأندلسيين من أهم الأوقاف العثمانية بالجزائر ، حيث قامت هذه المؤسسة بعد محنة الأندلسيين، الذين نزحوا إلى المغرب العربي، واستقروا في المدن الساحلية، بدور هام في تجبيس الأموال لصالح الخير العام ، وتعود أولى عقود هذه المؤسسة إلى عام 1572م، حيث قام أغنياء الجالية الأندلسية بوقف الكثير من أملاكهم على إخوانهم اللاجئين الفارين من جحيم الإسبان و محاكم التفتيش، وقامت مؤسسة الأوقاف الأندلسية بإنشاء مؤسسة ثقافية، ودينية، وتعليمية سميت بزاوية الأندلسيين (2).

4/دور الوقف في دعم الحياة التعليمية في الجزائر العثمانية:

يلعب الوقف دوراً مهماً وكبيراً ، حيث يتمتع الوقف بمنافعه المتعددة وفوائده الكبيرة، ويقوم الوقف بترسيخ المبادئ المختلفة لدى أبناء المجتمع كالتكافل، والتضامن، والمحبة بين الطبقات المختلفة، وبما يوفره من موارد مالية ثابتة من أجل تلبية حاجات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية، وما يتضمنه كذلك من حاجات دينية وتربوية وصحية وغيرها من الامور المختلفة .

وساهم الوقف في ميادين البر المختلفة وفي الحياة التعليمية كذلك، حيث تعد الأوقاف والمؤسسات الوقفية المتعددة في المجتمعات الإسلامية مفخرة للنظام الإسلامي ، حيث لم يترك المسلمون على مر العصور حاجة من حاجات المجتمع، إلا وقفوا لها بالمرصاد وأوقف عليها الخيرون منهم جزءاً من أموالهم ، سواء أكان على المستوى الديني، أو المستوى الاقتصادي، أو التعليمي. (3).

كما كان للوقف دور في الحياة الاجتماعية بصفة عامة، ومن تلك الوظائف:

أ-إعانة الفقراء والمساكين:

(1) عائشة غطاس ، الدولة الجزائرية الحديثة ...، المرجع السابق ، ص : 281 .

(2) أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج2، الجزائر ، 1991 ، ص: 322 .

(3) صالح صالح، الوقف الإسلامي ودوره في التنمية المستدامة، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، ع1، 2014م، ص 156

لقد كان الوكلاء لمؤسسة الأوقاف يتكفلون بمساعدات عينية، ومبالغ مالية لمساعدة الفقراء والمساكين، كما كانت ترسل الأموال الى فقراء مكة و المدينة مايعرف بالسرة مع ركب الحج .

ب-الحد من المظالم والأحكام التعسفية للحكام:

كان الوقف له دور كبير في المحافظة على ملكية الأراضي الزراعية، والثروات الموقوفة من خلال عدم إمكان بيعها، أو شرائها، أو حتى مصادرتها من قبل الحكومات، لان هذه الأملاك المحبسة لها عقود و هذا ماوضحته الوثائق في سجلات المحاكم الشرعية و سجلات البايك

ج-صيانة المرافق العامة:

كان للأوقاف دور كبير في صيانة المرافق العامة، وذلك من خلال ما يتوفر لديها من غلات، والإيرادات، فيتم صيانة السواقي، والآبار، والعيون، والطرق ، وكذلك صيانة المراكز التعليمية⁽¹⁾.

د-ترميم الحصون:

لعبت الأوقاف دوراً هاماً في ترميم الحصون، وحفظ الأمن العام للبلاد⁽²⁾.

هـ-الوقف ودعمه للتعليم:

إن العديد من الباحثين يروا أن جميع المؤسسات التعليمية في الجزائر ومختلف البلدان الإسلامية كانت قائمة على ركيزة أساسية ومهمة وهي ركيزة نظام الوقف، ويؤكدون على أنه وبدون الوقف ماكان بالإمكان أن تقوم قائمة للمدارس، فقد ساهم الوقف في تحقيق النهضة العلمية والفكرية الشاملة وتهيئة الظروف الملائمة من أجل الإبداع الفكري، والعقلي للإنسان، وذلك نظراً لكونه المغذي للمؤسسات التعليمية من مساجد و مدارس و زوايا التي كانت تحتضن العلماء وطلبة العلم.

ويعتد نظام الوقف على العلم وأهله وخاصته من أهم مصادر تمويل التعليم في النموذج الإسلامي، ويعود الفضل له في كل ما عرفه المسلمون من نهضة علمية وثقافية، والوقف يساهم في تسيير

(1)للتعرف على تسيير المؤسسات الوقفية ودورها ينظر :عائشة غطاس ، المرجع السابق ، ص 243-309

(2)أعقيل غير، المرجع السابق، ص268-269.

عجلة التعليم ونشر العلم ، حيث اهتم المسلمون على مختلف العصور ببناء المساجد، واقتناء الكتاب، ووقفه في المساجد، والمكتبات العامة والمدارس.⁽¹⁾

ويسهم الوقف في أمور مختلفة ومتنوعة ، فهو يعمل على العديد من الأمور التي تشكل حافزاً للتعليم والمتعلمين ويهتم بالنواحي التعليمية، وإنشاء المؤسسات التعليمية التي تعمل على رفعة المجتمع وتطوره، ويتضح لنا ان الأمور المهمة التي شارك الوقف فيها من الناحية التعليمية:

- بفضل نظام الوقف، ازدهرت حركة علمية غير مسبقة في البلاد الإسلامية، حيث استمرت دون أن تتأثر بالأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها المنطقة. وقد أسهم الوقف في توفير الموارد اللازمة للحفاظ على المنشآت الدينية، مما ضمن استمراريتها وحماية التراث الإسلامي. كما أدى دوره البارز في تخريج علماء بارزين تركوا بصماتهم في التاريخ، وساهم في نشر المعرفة وتعزيز رسالة الإسلام، مجسداً أسمى صور التأزر والتكافل بين مختلف طبقات المجتمع.

- ساهم الوقف في تغطية تكاليف أجور القضاة و المفتين المعلمين و إيوائهم و إطعامهم و خاصة ما يتعلق بأوقاف الزوايا و الأضرحة التي خصصت لها قسط وافر من الأملاك المحبسة⁽²⁾

- يساهم الوقف في بناء المدارس الوقفية وتشيد المساجد والجوامع، لتحويلها إلى مراكز لنشر العلم والمعرفة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الحرمين الشريفين، والأزهر الشريف في مصر، والجامع الأموي في دمشق، إلى جانب العديد من المكتبات والمعاهد التي يصعب إحصاؤها نظراً لكثرتها وأهميتها في دعم الحركة العلمية والثقافية.

فيظهر لنا ان الوقف يعد من أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والثقافي في البلاد الإسلامية ، حيث أسهم في تطوير التعليم ونشره من خلال الكتاتيب والمساجد والمعاهد والمدارس، وتخرج من هذه المؤسسات العلمية الكثير من العلماء. و اهتم الوقف برعاية العلم والعلماء وقام بتسهيل هجرتهم إلى مراكز الحضارة لطلبة العلم، حيث أوقف عليهم بيوتاً ومخصصات مالية ، من أجل أن يتمكنوا من عملية التحصيل العلمي ، ولم يهتم الوقف بعلم

(1) دلالي الجليلي، دور الوقف في النهضة العلمية والثقافية قراءة في التجربتين الإسلامية والغربية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع17، 2017م، ص 142

(2) لمزيد من التفاصيل حول المرتبات الشهرية للقائمين على المنشآت الدينية و التعليمية كالمدرسين و المفتين و القضاة ، إرجع الى : ناصر الدين سعيدوني ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط2. المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

معين بحد ذاته، وإنما شمل كافة المجالات المعرفية، فلقد كان للوقف دوراً كبيراً في بقاء المؤسسات العلمية في بلاد المسلمين ، وكان لها الدور الأعظم في تمكين المؤسسات التعليمية أن تؤدي رسالتها على الوجه الصحيح .

و-الوقف ودوره في تسيير العملية التعليمية ودفع رواتب المدرسين:

لعب الوقف دوراً محورياً في دعم التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)، حيث ساهم بشكل كبير في تمويل المدارس، الزوايا، والمكتبات، مما ساعد في استمرارية العملية التعليمية ونشر العلوم الدينية واللغوية وساهمت الأوقاف في دفع رواتب المدرسين والعلماء الذين كانوا يدرّسون في المساجد والمدارس، مما ساعد في الحفاظ على جودة التعليم وضمان استمراره. وقد كان المدرسون يحصلون على مخصصاتهم من عائدات الأوقاف المخصصة له. ودفع رواتب أولئك الذين يقومون على شؤون المدارس ودور العبادة، والزوايا، والمساجد والأضرحة.

وكان المدرسون في الجزائر العثمانية يحصلون على دخلهم من مصادر متعددة، بما في ذلك الأوقاف، الأجور الشهرية التي يدفعها الأهالي، والهدايا والعطايا. ومع ذلك، تظل هذه المسألة محاطة بالكثير من الغموض حسب سعد الله، حيث لا توجد قوانين أو تقاليد ثابتة يمكن الرجوع إليها بشكل دقيق. فقد انقسمت آراء الباحثين حول تمويل العملية التعليمية؛ فبينما يرى البعض أن الأوقاف كانت المصدر الأساسي، حيث تولى الدين تمويل التعليم، يعتقد آخرون أن التعليم الابتدائي لم يكن يتطلب نفقات كبيرة، ولم يُشكل عبئاً على الدولة أو الأهالي سوى بمبالغ زهيدة⁽¹⁾.

من جهة أخرى يشير سعد الله ان هناك من يؤكد أن التعليم في الجزائر العثمانية كان مجانياً ومستقلاً، ويُعد نموذجاً ناجحاً للمشاريع الاجتماعية والعلمية التي أُنجرت بتكاليف بسيطة، كما تشير الوثائق الوقفية إلى توفير السكن للطلبة الفقراء والعلماء الذين لم يكن لديهم مأوى. خير مثال على ذلك :وقف جامع عبدي باشا الذي خصص خمسة ريالات فضية كراتب لأحد الأساتذة الملحقين به، وكذلك ما قام به صالح باي في قسنطينة، حيث خصص 30 ريالاً شهرياً للأستاذ الذي كان يدرّس في مدرستين. كما تشير سجلات الجامع الكبير في قسنطينة إلى أن الأستاذ الملحق به كان يتقاضى راتباً شهرياً قدره 48 ريالاً.⁽²⁾

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص326 .

(2) نفسه، 327، 328 .

ويبدو أن الباي مُجد الكبير قد بادر بمحاولة فردية فريدة من نوعها، حيث خصص رواتب شهرية للمدرسين بغض النظر عن الأوقاف. إلى جانب ذلك، كان المدرسون يتلقون مبالغ مالية إضافية على شكل هدايا أو عطايا في مناسبات خاصة، أبرزها شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى.⁽¹⁾

فنستنتج ان المؤسسات الوقفية في الجزائر خلال العهد العثماني لعبت دورًا محوريًا في دعم مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، حيث ساهمت بشكل كبير في تمويل التعليم، وتحقيق التكافل الاجتماعي. وقد كانت الأوقاف مصدرًا أساسيًا لاستقلالية المؤسسات الدينية والعلمية، مما ساعد في الحفاظ على الهوية الإسلامية والثقافية للشعب الجزائري. ومع ذلك، شهد نظام الوقف تراجعًا ملحوظًا بعد الاحتلال الفرنسي عام 1830، حيث تمت مصادرة العديد من الأوقاف وتحويلها لصالح المستعمر، مما أدى إلى ضعف دورها في المجتمع.

(1) أبو القاسم سعد الله، نفسه

الخاتمة

مما سبق، يتضح أن التعليم يمثل الركيزة الأساسية للحركة الفكرية والعلمية، إذ يسهم في نشر الثقافة بين أفراد المجتمع، ويدفع بعجلة التطور العلمي والازدهار المعرفي، كما يُعد عاملاً رئيسياً في تحقيق التقدم التاريخي والحضاري غير أن الحياة الثقافية خلال العهد العثماني اتسمت بتراجع النشاط العلمي وضعف الاهتمام بالعلماء، مما أدى إلى تقلص دور المعرفة في المجتمع، ونتيجةً لإهمال العلماء وركود الحركة الثقافية، اضطر العديد من طالبي العلم إلى الهجرة نحو المشرق، حيث عاد بعضهم إلى البلاد، بينما استقر آخرون هناك دون رجعة، إلا من قبل بعض البايات، كالباي محمد الكبير، الذي يعد أحد المؤثرين في الحركة العلمية خلال فترة حكمه؛ نظراً لأعماله القيمة والخدمات الجليلة التي قام بها في الغرب الجزائري.

وشهدت الجزائر انتشاراً واسعاً للبدع وحلقات الذكر والأوراد، كما تعددت الطرق الصوفية التي هيمنت على المشهد الثقافي فامتد تأثير التصوف ليشمل حتى الفقهاء والولاة أنفسهم، مما أدى إلى تحول الزوايا من مراكز علمية وتعليمية إلى فضاءات يغلب عليها طابع الخرافة والعزلة. ونتيجة لهذا التراجع، افتقرت الحياة الثقافية إلى الإبداع والأصالة، إذ لم يكن العلم يُنظر إليه كوسيلة لاكتساب معارف جديدة بقدر ما كان يُحتزل في دراسة علوم السلف وإتقانها دون تطوير أو تجديد.

ولهذا زادت أهمية المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية أمام غياب السلطة العثمانية وعدم إهتمامها بالعلم فقد كانت إنشغالاتها آنذاك منحصرة في القضاء على التمردات الداخلية و المناوشات الخارجية، و ركزت جهودهم على الحفاظ على أمن البلاد و إستقرارها و الدفاع عن الحدود من الأخطار الخارجية وجمع الضرائب و تركت الجوانب الأخرى للمبادرات الفردية أو لرعاية المؤسسات الخيرية، فالعثمانيون حملت دولتهم الطابع العسكري بعيداً عن الطابع الثقافي و الحضاري المتأثر بالإنفتاح على العالم الأوروبي الذي كان يشهد ثورة حضارية في شتى العلوم.

و على الرغم من إهمال العثمانيون للتعليم طيلة فترة حكمهم بالجزائر إلا أن أبو القاسم سعد الله ذكر أن المصادر أشارت إلى أن كل الجزائريون كانوا يجيدون الكتابة و القراءة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على دور المنشآت التعليمية في نشر العلم و خصوصاً التعليم الابتدائي و كثرة الكتاتيب القرآنية التي عرفها المسلمون منذ صدر الإسلام، حيث ارتبط إنشائها بتعليم القرآن الكريم للناشئة، وقد حظيت بمكانة كبيرة في العهد العثماني، فلقد انتشرت في الجزائر في

ذلك العصر بصورة كبيرة، وكان لها دور كبير في انتشار الشعب الجزائري من الجهل، كما حافظت على الهوية الإسلامية للشخصية الجزائرية، فقد كانت بمثابة شوكة في حلق الاستعمار الفرنسي، كما استطاعت الكتاتيب أن تحافظ على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وكانت الكتاتيب تضيق وتتسع حسب إمكانية التأسيس والإنشاء، وتارة تلحق بالمساجد، وتارة بالمنازل، وتارة يكون لها مكان مستقل، وكانت تستقبل الطلاب من داخل المكان الذي توجد فيه ومن خارجه، وكان للكتاتيب طريقة خاصة في التعليم، ويعتمد التعليم فيها على المشافهة والتلقين، وهي بمثابة تعليم ابتدائي.

ومن خلال هذا العمل نلمس تودد العثمانيون لفئة العلماء و الفقهاء التي كانت تتمتع بالنفوذ والجاه، و عملوا على كسب هذه الفئة لما لها من تأثير قوي و فعال على المجتمع، فعلى الرغم من عدم إهتمامهم بهذا المجال إلا أنهم قربوا لهم العلماء و الفقهاء و ذلك من أجل كسب الرعية، لما لهم من مكانة مرموقة و من أشهر الأسر : عائلة الفكون، فمنحتهم السلطة العثمانية إمتيازات كثيرة و أهمها إعفائهم من دفع الضريبة و تقلدهم مناصب ووظائف هامة في الدولة .

وقد حرصت الأسر الجزائرية على تعليم أبنائها و لذلك كانوا يختارون لهم مدرسين أكفاء على عكس المرأة التي ظلت محرومة من التعليم طيلة العهد العثماني إلا ما تلقته في الكتاتيب القرآنية لتعلم و حفظ القرآن الكريم و من هذا الإستثناء نذكر بنات العلماء الذين كان لهم الحظ الوافر في التعليم

هذا إلى جانب الدور البارز الذي لعبته المساجد و الزوايا في نشر العلم، والتي كانت فيما عدا أوقات الصلاة مرتعاً لحلقات الدروس اليومية و محطة لمختلف العلوم الدينية و الطبيعية وملتقى العلماء و الأدباء و الفقهاء لتبادل المعارف و العلوم، فالعثمانيون بادروا في بناء المساجد وهذا إستجابة لعقيدتهم الإسلامية و محاولة كسب الرعية وإستمالتهم فمن بين المساجد نجد : الجامع الكبير في الجزائر العاصمة، و جامع صالح باي بعنابة، و جامع الباي بقسنطينة، كما أسهمت مختلف الجهات الدينية و الخيرية تتهايف من أجل تشييد المساجد.

وأبرز ما ميز الحياة الجزائرية في العهد العثماني هو انتشار التصوف و طرقه و كثرة المباني المخصصة له، فإنتشرت الزوايا في ربوع الوطن الجزائري وزادت قدسيته و نفوذها الثقافي-

المتمثل في التعليم- و السياسي ، فالزوايا لعبت دور تعليمي و جهادي و تقام فيها الدروس الدينية و اللغوية و إهتمت بتعليم الفقراء و المعوزين و تحفيظهم القرآن الكريم و الفقه- مختصر خليل ، و ابن الحاجب ، و الرسالة - والعقائد و قواعد الصرف ، و فنون البلاغة و المنطق ، كما تكفلت بإيوائهم و إطعامهم و تسديد أجور القائمين عليها من أموال الوقف ، فكانت بذلك دار للتعليم و العبادة و اعتبر تأسيس الزوايا نوعاً من المقاومة الثقافية، والتي تهدف إلى الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية، وفي مقدمتها الإسلام واللغة العربية و إنتشرت إنتشار واسع خلال الفترة العثمانية .

كما ساهمت هذه الصفحات في إلقاء الضوء على المدارس في الجزائر و دورها التعليمي و التثقيفي ، و كانت منتشرة في المدن و القرى ، والبوادي و الجبال النائية ، و هذا جعل جميع من يزور الجزائر في الفترة العثمانية ، ينبهر من كثرة المدارس : و من أشهرها المدرسة القشاشية التي كانت مركز للتعليم الثانوي و العالي ونظرا لتنوع العلوم فقد عرفت المدارس الخاصة بعلوم الدين و ذلك لإهتمامها بتحفيظ القرآن الكريم و تدريس الفقه و التوحيد ، و علوم المنطق ، و الأصول و من أشهر تلك المدارس : مدرسة الخنقة ، و مدرسة مازونة التي من أهم تلاميذها أبو راس الناصري ، كما عرفت الجزائر مدارس خاصة بالعلوم الطبيعية و التجريبية كعلم الفلك و الطب و الحساب ..و من أهم مدارسها : مدرسة سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر ، و مدرسة ندرومة و مدرسة أبي مروان بعنابة ، و مدرسة مازونة الشهيرة و المدرسة الكتانية بقسنطينة و أضحت هذه المدارس تحمل على عاتقها مهمة مزاولة التدريس و تعليم المجتمع الجزائري.

و قد أشارت الدراسة إلى أهمية المكتبات بإعتبارها من أهم المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية و التي ألحقت بالمساجد و الزوايا و المدارس ، ناهيك عن الكتب المرصودة لصالح المكتبة ، و التي كانت تنتج محلياً عن طريق التأليف و النسخ أو يتم جلبها من البلدان الأخرى : كمصر ، و الأندلس ، و إسطنبول ، و الحجاز ، كما شاعت حركة النسخ و الإستنساخ ، و من أشهر المكتبات التي تناولتها الدراسة هي المكتبة المدرسة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير بمدينة معسكر و مكتبة المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي بقسنطينة.

و إشتهرت العديد من المؤلفات على الرغم من ركود و جمود التفكير الإنساني وتفشي ظاهرة الحفظ و التقليد و عدم إنفتاحهم على العالم الخارجي منها : أحمد المقرئ و كتابه نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، كما كانت هناك عدة تأليف لأبوا راس الناصري منها مروج الذهب ، زهرة الشماريخ في علم التاريخ ، ابن ميمون : التحفة المرضية و ابن سحنون " الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني ، عبد الرحمن الأخطري " السلم المرونق .

كذلك إشتهرت المكتبات الخاصة : كمكتبة الفكون بقسنطينة أصبحت مضرب الأمثال بعد الإحتلال الفرنسي ، نظرا لغزارة مادتها العلمية و تنوعها و خصوصا ما تعلق بكتب الأحاديث النبوية و التفاسير و القراءات و كتب الفقه و الأصول و التوحيد و كذلك الكتب اللغوية و الأدبية و العلوم العقلية حظ وافر في هذه المكتبة . و كذلك مكتبة أبو راس الناصري التي عرفت شهرة كبيرة وواسعة .

وعرف العهد العثماني في الجزائر ظهور ما يسمى بالأندية المنزلية والتي كانت عبارة عن منازل يجتمع فيها لمحاكات العلم و مراتع دروس يومية يتلقاها الطلبة عن العلماء في منازلهم و كانت فضاء يجمع مختلف التشكيلات السياسية و الإجتماعية البارزة في البلاد .

كم يتضح لنا من الدراسة تميز الجانب الثقافي في الجزائر بإحتكار الأندلسيون ميدان التعليم ، وأضافوا إليه مناهج تربوية جديدة كما تمكنوا من فرض طريقتهم الخاصة في تعليم الأطفال بحيث لم يقتصر تعليمهم على حفظ القرآن الكريم كما كان الحال من قبلهم بل وأضافوا إليه تعليم الحديث و الوقوف على معاني و مضامين الآيات ، كما ساهمت الهجرة الأندلسية واستقرار الكثير منهم في المدن الجزائرية في لعب دور كبير في نشر التعليم و تدريسه في الحواضر الكبرى مثل : الجزائر ، قسنطينة بجاية ، تلمسان ، وهران....

وبرز منهم جملة من العلماء في مجال التدريس و المناظرات العلمية وتبادل الرؤى و تحديد طريقة التدريس ، كما أدخلوا طرق جديدة للكتابة و من أبرزهم : أبي عبد الله الكتاني الشاطبي و أبي بكر الأنصاري أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بإبن محرز الأندلسي الذي إشتهر ببراعته في التدريس و ساد الخط الأندلسي على الخط المغربي ومن أهم الخطاطين عبد الله العطار .

كما عرفت المؤلفات الأندلسية سبيلها إلى بلدان المغرب العربي و خصوصا المغرب الأوسط ، حيث كانت لامية الشاطبي أو كما تعرف بتفسير القرطبي من أهم تلك المؤلفات و كان هذا

خير دليل على المساهمة الفعالة للجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط. و تمكن الأندلسيون من إنشاء مؤسسة أوقاف الأندلسيين للتضامن فيما بينهم و التكفل بالفقراء و اليتامى و المساكين . و التأثير الأندلسي لم يقتصر على المناهج التي أدخلوها على ميدان التعليم بل قاموا ببناء المنشآت الدينية التعليمية : كزاوية سيدي أحمد الكبير الأندلسي بالبليدة ، زاوية أهل الأندلس بالجزائر، كما إشتهرت في تلمسان زاوية سيدي الحلوي ... و غيرها ، و هذه المنشآت الدينية أسهمت في نشر التعليم في تلك الفترة ناهيك عن إسهاماتهم في بقية المجالات الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية .

و أوضحت الدراسة مدى مساهمة الوقف و مؤسساته في تغذية هذه المراكز التعليمية بإعتباره أهم مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية فهو يعبر عن إرادة الخير و التضامن لدى الإنسان المسلم ، وهدفه الإشراف على المؤسسات التعليمية كالمساجد و الزوايا والرباطات و المعمرات و الأضرحة و المدارس و المكتبات بغرض نشر العلم و تثقيف الفرد الجزائري فتنوعت مؤسساته : كأوقاف الحرمين الشريفين ، أوقاف سبل الخيرات ، أوقاف الجامع الأعظم ، أوقاف الأندلسيين ، أوقاف الأضرحة و الزوايا... أشارت الدراسة إلى تنوع الأملاك الموقوفة من عقارات وأراضي زراعية و بساتين و حدائق و أفران و دكاكين و سواقي و عيون و آبار ... الخ ، و إستعمل الوقف لأغراض كثيرة منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة والفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل .

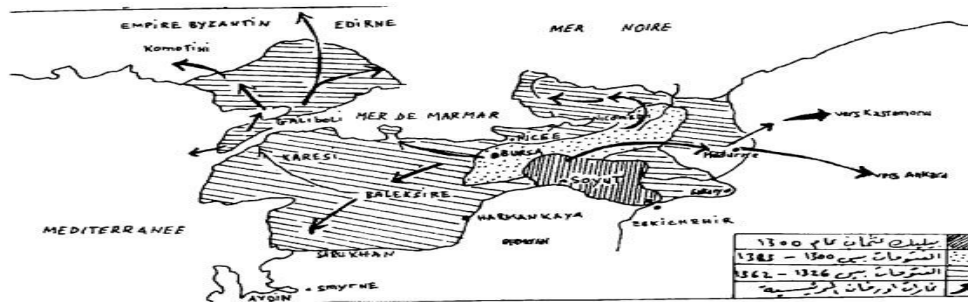
ووقفت الدراسة على أهم الدوافع التي شجعت التعليم و أشارت إلى الحوافز الدينية فمعظم الذين يقومون بالتعليم يريدون الاستزادة في العلم من أجل استكمال حلقة الدين، وفهم مبادئه المختلفة ، فليس هناك أهداف سياسية أو اقتصادية أو أغراض أخرى ، فكان المتعلم مدفوعاً بدوافع ذاتية . فلقد كان العلم عبارة عن لذة وهواية يستلذ بها المتعلم.

كما أشادت الدراسة بالمناهج التعليمية و طرق التدريس و دور المعلمين و تصنيفه و هذا كله من أجل التعرف على المناهج التعليمية في تلك الفترة و الإنتاج العلمي خلال العهد العثماني و خصوصا في ميدان العلوم الشرعية : القرآن وأحكامه و التفسير و القراءات و علم المنطق و الكلام و الأدبية و الصوفية .

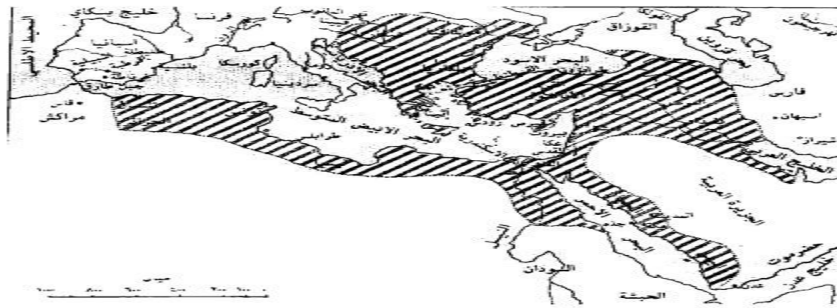
وهكذا ظلت الكتاتيب والمساجد والزوايا و المعمرات و المكتبات و المدارس طوال الحكم العثماني بالجزائر بمثابة مادة مغذية للبلاد بالعلم ، حيث كانت تلقن فيها المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف، سواء علوم الشريعة، أو مبادئ الحساب و بقية العلوم الأخرى .

الملاحق

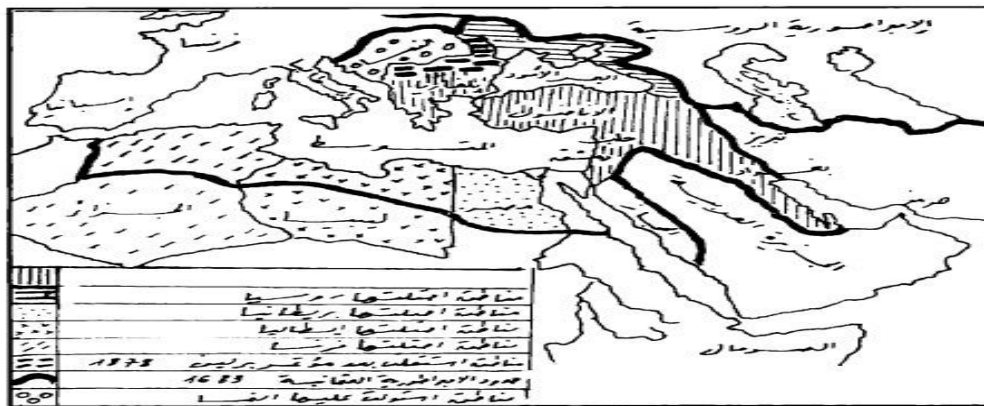
الملحق رقم 1: خريطة توضح بدايات الإمبراطورية العثمانية



خريطة توضح الإمبراطورية العثمانية في أوج إتساعها و قوتها

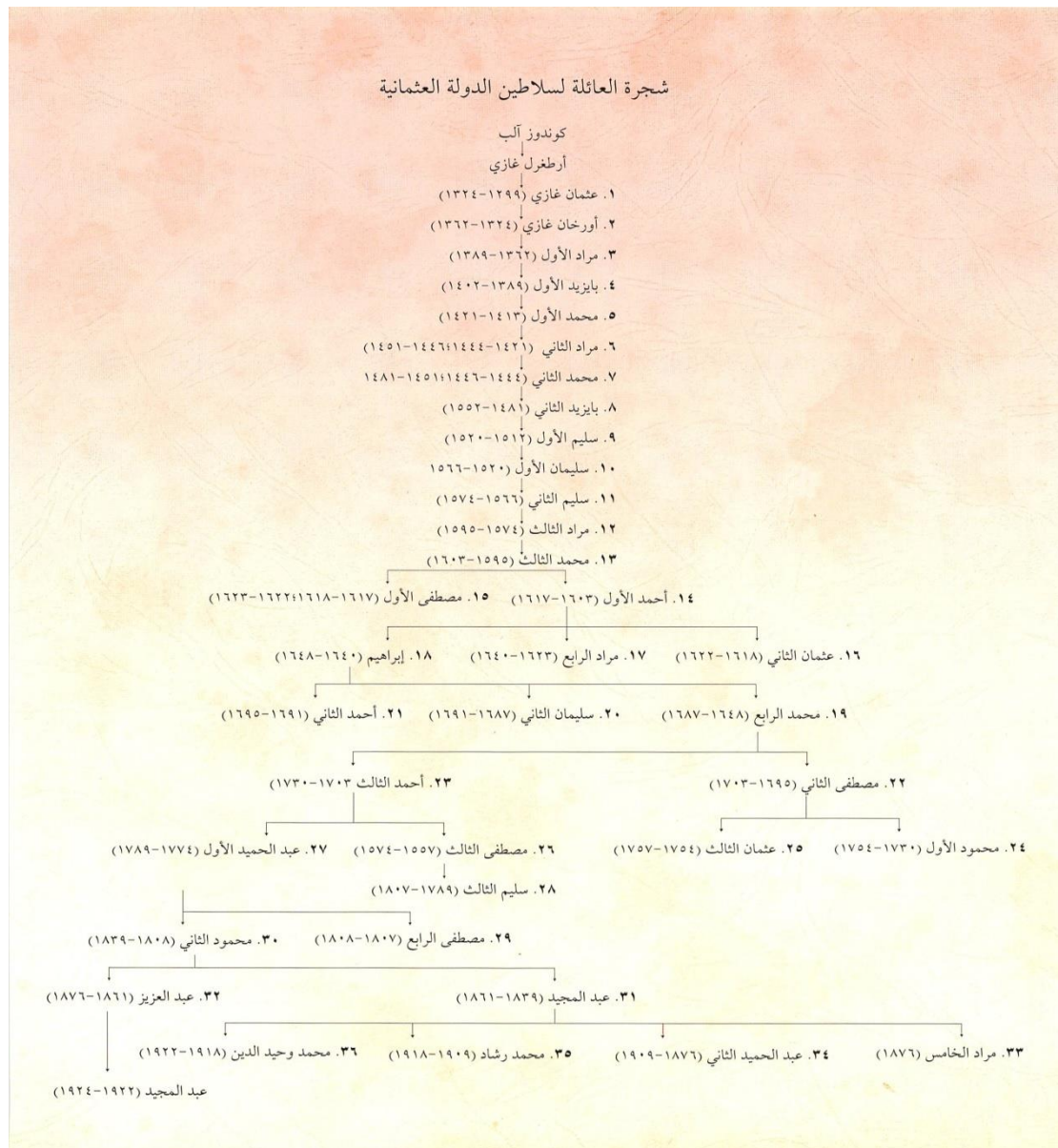


خريطة توضح انهيار الدولة الإمبراطورية العثمانية



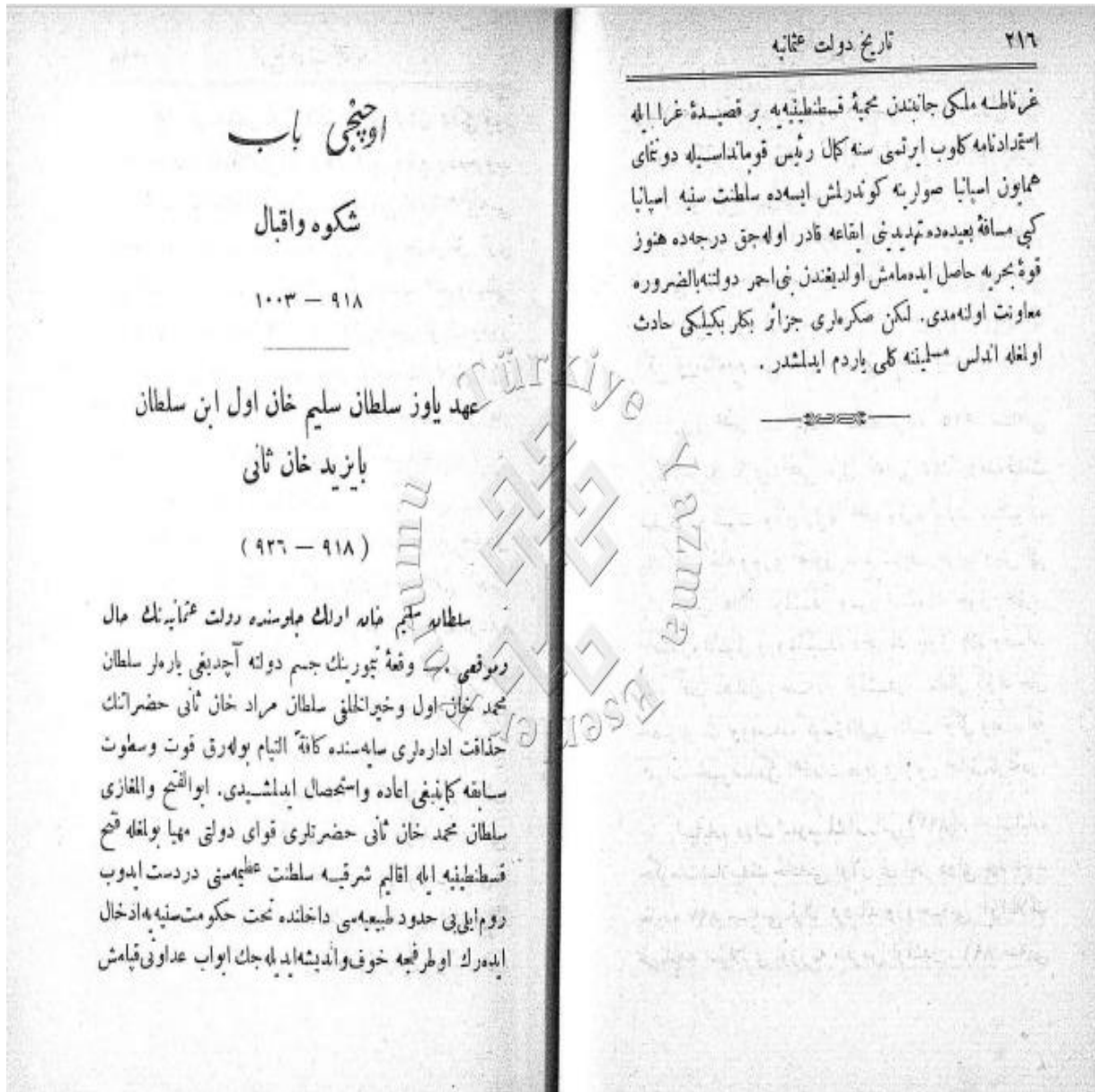
المصدر : غالبي غربي : دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي ... المرجع السابق ، ص : 275-278

الملحق رقم 2:



شجرة العائلة لسلطين الدولة العثمانية

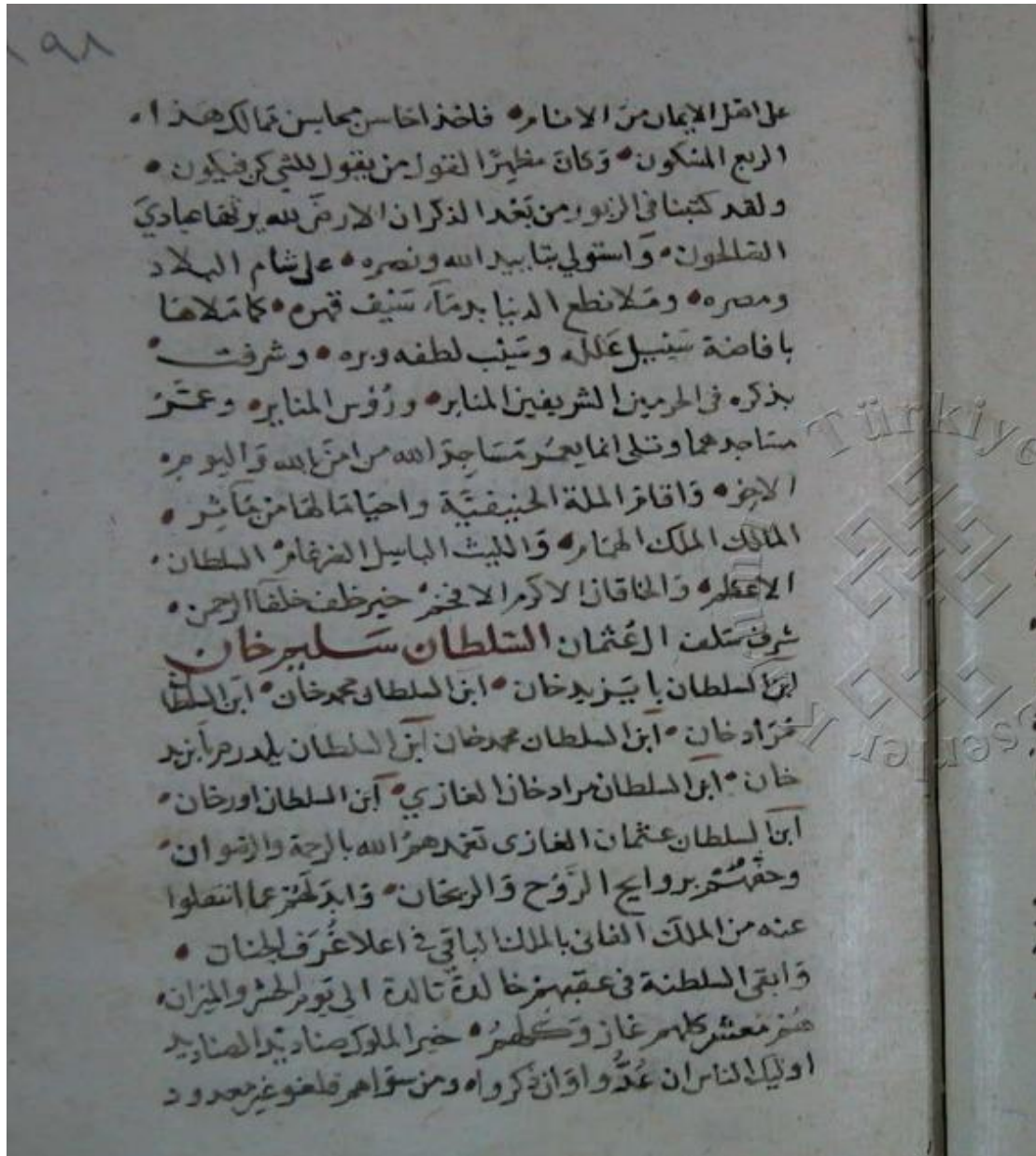
المصدر : صالح كولن ، سلاطين الدولة العثمانية ، المرجع السابق ، ص : 01 .



صورة من مخطوط "تاريخ دولت عثمانية" تشير إلى عهد السلطان سليم الأول

المصدر : *Ksüleymaniye yazma eser kütüphanesi müdürlüğü* ، إسطنبول

، تركيا ، تاريخ الزيارة 2018/11/15 .



صورة من مخطوط " لطايف الأول فيمن تصرف في مصر من الدول " تشير إلى

السلطان سليم الأول " خان " و نسبه .

المصدر : Ksüleymaniye yazma eser kütüphanesi müdürlüğü ، إسطنبول ، تركيا ، تاريخ الزيارة

2018/11/15

(أسماء الأمراء والملوك المعاصرين للسلطان سليم الأول وجهاتهم)

أوروبا

فرنسا	: شارلي الثامن ، ثم لوي الثاني عشر ، ثم فرانسوا الأول .	ملوك .
إنكلترا	: هنري السابع ، ثم هنري الثامن .	
المجر	: مانياس .	
دانيمارك	: كريستيان الثاني .	
أسكوجيا	: جاك تشار الخامس .	
ألمانيا	: الإمبراطور فردريك ، ثم ماكسميليان .	
بوهيميا	: لادسلاس السادس .	
بلونيا	: سيزموند الأول .	
الروسيا	: إيوان الثالث .	
برتغال	: أمانويل .	
غزناطة	: أبو الحسن .	
البابا	: أنيوسان ألك ساندريون العاشر .	
أسيانيا	:	
سجيليا	:	
ساردونيا	: شارلكان الخامس .	
فلمنك	:	
مكسيقا	:	

آسيا

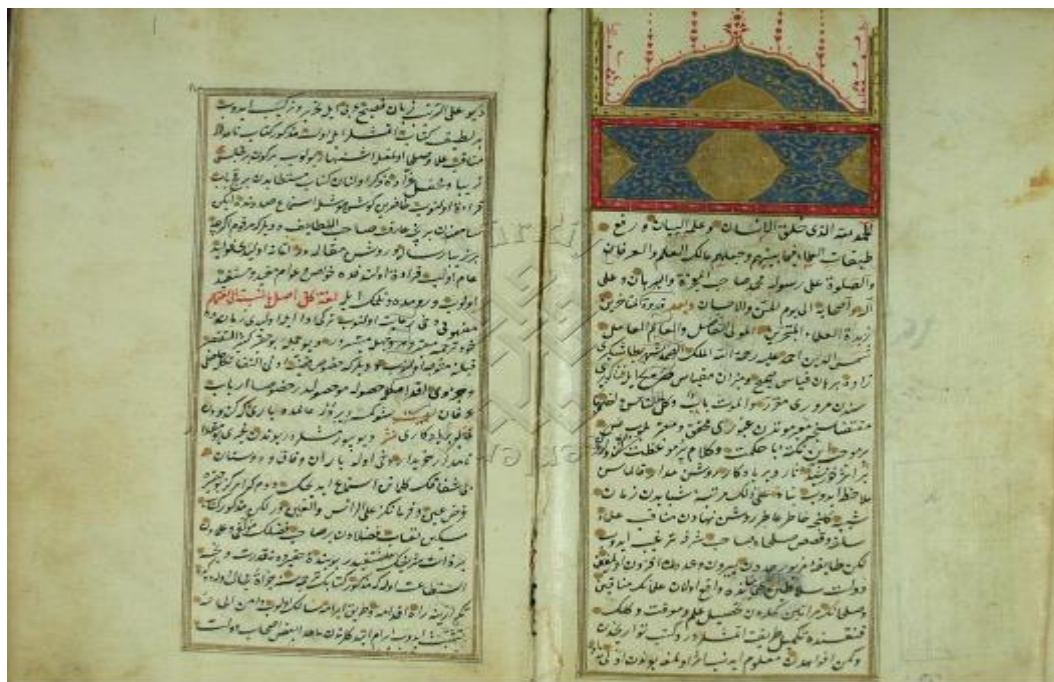
شاه العجم	: الشاه إسماعيل .
الهند	: نظام خان .

أفريقيا

مصر	: قانصوه الغوري الشرکسي ، ثم طومان باي ، ثم بعد قتله خيرى بك .
-----	--

المصدر : إبراهيم حليم بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية .. المرجع السابق ، ص: 86 .

الملحق رقم 6 :



الصفحات الأولى من مخطوط الشقائق النعمانية

المصدر : Ksüleymaniye yazma eser kütüphanesi müdürlüğü ، إسطنبول

، تركيا ، تاريخ الزيارة 2018/11/15 .



مسار رحلة العياشي المسماة بـ

-المصدر : مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة ، المرجع السابق ، ص : 95



ان اجل ما حضرت به انفس الافئدة • تدارق الطروس • واكمل ما ابيت •
 انفس الانام • حقائق الدروس • جد عالم الغيب والشهادة الملك القدوس •
 التي البت من مظروف الادب اجل ليس • وجعل في لواء الكبر الامنة •
 من انعام هذه الامة • اوتياح النجوس • وانزياح اليوس • والصلاة والسلام
 على سيدنا محمد الرسول الطاهر • العلم الطاهر • المعطي من ترى الفصل
 المحروس • الذي يورع اليه في عداقذ اليوم العيس • صلى الله وسلم عليه
 وعلى آله الطيبين • واصحابه الغر المحجلين • الرافعين من هيرلس الذين كل
 لموس • الباعرين بالور اليقين اشعة الشموس • صلاة وسلاما فليس دتميس
 يشرى نمرهما الا مطروبحوس • مانق من سمات الارامو رابق من فحات
 عروس • ما فافت نبوس • الى الطل من حياض البرامة بكشوس •
 وبعد جان الرحلة • منة من الله ونجلة • نصكب الغليظ الطبايع • غاية
 الرفعة والانطبايع • ونصيب من كابد لها نصبا • علما عزيزا وادبا • وانما لما من

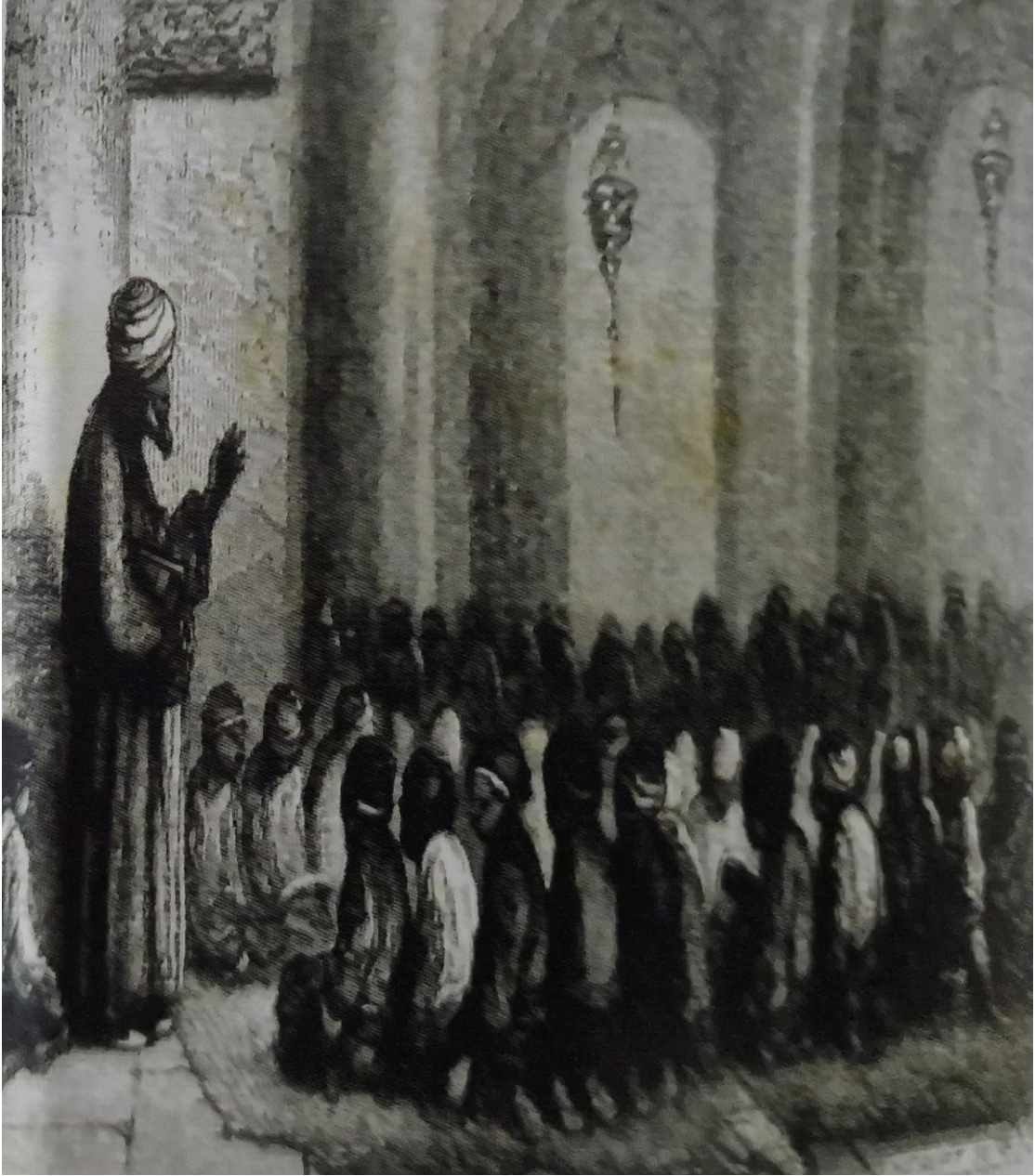
الصفحة الأولى من كتاب ابن زاكور "تشر أزهار البستان فيمن أجازني من علماء الجزائر و

تطوان"



صورة للمدرسة قرآنية في الجزائر العثمانية

المصدر : نصر الدين براهيمى و علي تابليت ، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق، ص:191.



صورة للمكتاتيب القرآنية (المسيد) بالجزائر في العهد العثماني

المصدر : نصر الدين براهيم و علي تابليت ،تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني ، المرجع

السابق، ص:191.

الملحق رقم 11 :



منظر داخلي للجامع الكبير " الجامع الأعظم " بقلم الفنان والرسام ألفراد شاطو



منظر خارجي للجامع الكبير " الجامع الأعظم "

المصدر : نصر الدين براهيمى و علي تابليت ، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني ، المرجع السابق، ص: 114، 115 .



صورة للجامع الجديد المصمم على النهج التركي من نفقات مؤسسة أوقاف سبل الخيرات

المصدر : نصر الدين براهيمى و علي تابليت ،تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني ، المرجع

السابق، ص:117

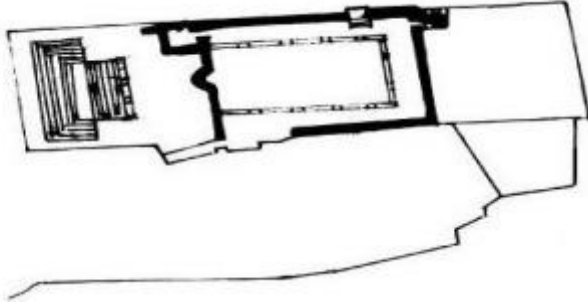
الملحق رقم 13 :



صورة لأشهر المساجد التاريخية في الجزائر العثمانية " جامع كتشاوة "



لوحة تشير إلى الكتابة التأسيسية لجامع كتشاوة المحفوظة في المتحف الوطني للأثار القديمة

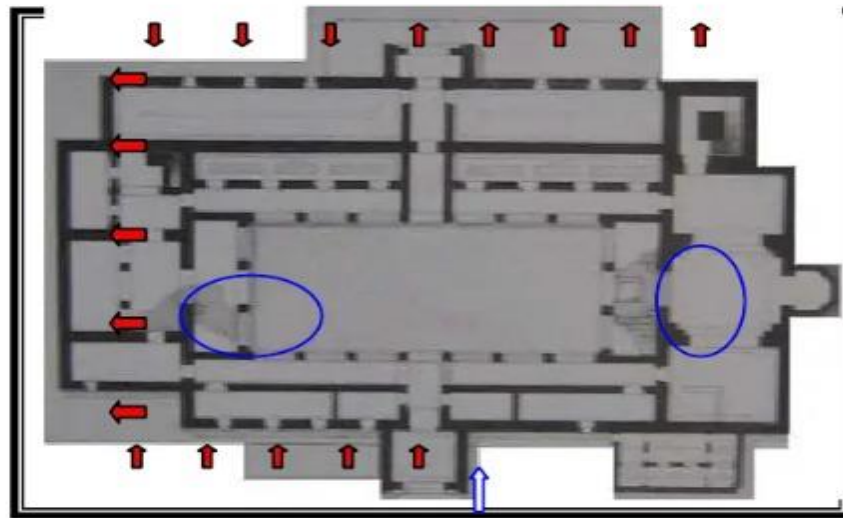


جامع كتشاوة بعد تحويله إلى كاتدرائية تحت إسم سان فيليب saint philipe

المصدر : بوزرينة السعيد ، المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة منبر التراث الأثري ، ع:2، المركز الجامعي ، البيض ،

2013 ، ص: 15، 16.

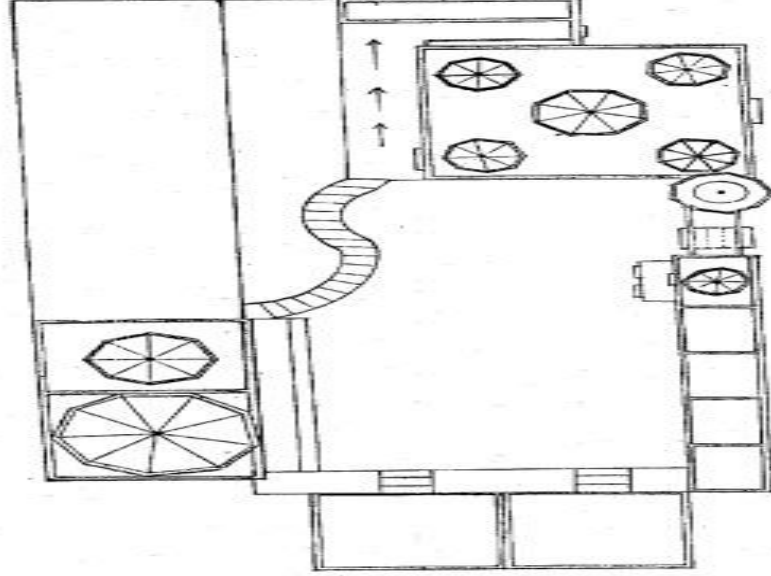
الملحق رقم 14 :



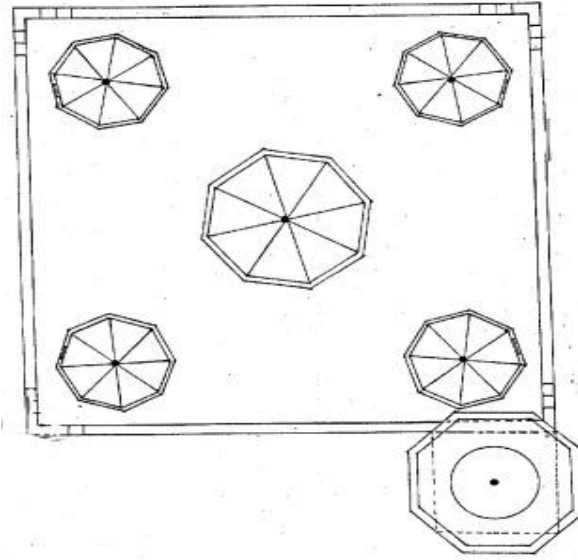
موقع و مخطط للمدرسة التاشفينية أو المدرسة الجديدة

- المصدر : الرزقي شرقي ، المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية (إستقراء و إعادة بناء لمخلفاتها الأثرية) ، دراسات في آثار الوطن العربي ، ع : 9 ، 2007 ، ص : 470 ، 471 .

الملحق رقم 15 :



مخطط أفقي لمدرسة مازونة



مخطط علوي لقبة لمدرسة مازونة

-المصدر :ميلود ميسوم ، مدرسة مازونة ...المرجع السابق ، ص:167،166 .

البيليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع

الكتب المقدسة:

✓ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

✓ الأحاديث النبوية الشريفة.

وثائق الأرشيف :

-الأرشيف الوطني: سجلات المحاكم الشرعية: العلبة رقم 10: وثيقة جاءت تحت رقم: 45، العلبة : رقم 55 ، الوثيقة 34 ، العلبة رقم 45، العلبة رقم 48 وثيقة رقم:45، العلبة رقم 51 وثيقة تحت رقم: 79. سجلات بيت المال البايك :سجل تحت رقم : 122 ،سجل 291 ، العلبة: 280 ، والسجل 389 :العلبة:292 و السجل تحت رقم 320 .

- سجلات المحكمة الشرعية بقسنطينة : أرشيف ولاية قسنطينة ، ج2، 559، 563 .

(1) المصادر المخطوطة والمطبوعة:

1-ابن النجار تقي الدين مُجَّد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار، منتهى الإرادات، ج3، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة:1، 1419هـ - 1999م.

2-ابن خلدون عبد الرحمن بن مُجَّد بن مُجَّد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988.

3-ابن عرفة مُجَّد بن مُجَّد ابن عرفة الورغمي، المختصر الفقهي، تحقيق: حافظ عبد الرحمن مُجَّد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، الطبعة: الأولى، ج8، 1435 هـ - 2014م.

4-ابن مفلح إبراهيم بن مُجَّد بن عبد الله بن مُجَّد ابن مفلح، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997..

- 5- ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق ابو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- 6- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ج17، ط1، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، 199.
- 7- أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبع في المطبعة الثعالبية، (د. ط)، 1908.
- 8- آل ابن مودود، عبد الله بن محمود بن مودود الموصللي البلدحي، اختيار لتعليق المختار، الجزء:3، مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356 هـ - 1937.
- 9- الأنصاري ابن الرفعة أحمد بن محمد بن علي، كفاية النبيه في شرح التنبيه، تحقيق: مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، الطبعة:1، 2009.
- 10- بردي ابن تغري جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق فهم شلتوت، ج 12.13.14.15.
- 11- بن صابل محمد وآخرون، صَحِيحُ الأَثَرِ وَجَمِيلُ العَبَرِ من سيرة خير البشر (ﷺ)، مكتبة روائع المملكة - جدة، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010.
- 12- التلمساني أبي العباس أحمد بن محمد المقرئ، رسائل المقرئ، الطبعة:1، تحقيق: أسماء القاسمي، دار الخليل، الجزائر، 2008.
- 13- التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد لكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تقديم محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، (د-ت).
- 14- التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج في تطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله هرامة، دار الكاتب، ليبيا، 2000.
- 15- الجزائري محمد ابن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الطبعة:2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 16- الحنفي محمد ابن أحمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط1، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

- 17-الراشدي أحمد ابن سحنون بن مُجَّد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، الطبعة:1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 18-الزركشي، إعلام المساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراني، ط3، (د.ن)، القاهرة، 1385هـ-1965.
- 19-زين العابدين مُجَّد سرور، مذكراتي، دار الأصول العلمية، الجزء:1، الطبعة الأولى، 2020.
- 20-السلمي مُجَّد بن صامل وآخرون، صَحِيحُ الأَثَرِ وَجَمِيلُ العَبَرِ من سيرة خير البشر (صل الله عليه وسلم)، مكتبة روائع المملكة - جدة، الطبعة: الأولى، 1431 هـ - 2010.
- 21-شالر وليام، مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر، ترجمة: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 22-الشريف الزهار أحمد، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1168-1830 م)، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974..
- 23-الشافعي عبدالغني بن علي الإسحاقى المنوفي، " لطايف الأول فيمن تصرف في مصر من الدول"، مخطوط، تحت رقم : 697، محفوظ بقسم المخطوطات بالمكتبة السليمانية.
- 24-شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
- 24-طاش كبرى زادة، مخطوط الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، بالمكتبة السليمانية، تركيا، تحت رقم: 924.
- 25-مخطوط " تاريخ دولت عثمانية" رقم 2354
- 26-العياشي، الرحلة العياشية، ج2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، 1977.
- عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، مج 2، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- 27-الفاسي أبو الطيب المكي الحسني مُجَّد بن أحمد بن علي، تقي الدين، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1421هـ-2000.

28- الفاسي الحسن بن مُحمَّد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: مُحمَّد حجي ومُحمَّد الأخضر، الجزء: 2، الطبعة: 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.

29- الفاسي مُحمَّد بن زاكور، نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، تقديم عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1967.

(2) - المراجع باللغة العربية والأجنبية:

(أ) المراجع باللغة العربية:

1. ابن مفلح إبراهيم بن مُحمَّد بن عبد الله بن مُحمَّد، (المتوفى: 884هـ)، المبدع في شرح المقنع، الجزء: 5، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997.
2. ابن مودود عبد الله بن محمود بن مودود الموصللي البلدحي، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي القاهرة، 1356 هـ - 1937.
3. ابو الطيب المكي الحسني الفاسي مُحمَّد بن أحمد بن علي تقي الدين، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، مج: 2، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000.
4. ابو العباس أحمد بن مُحمَّد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، (د-ط)، (د-ت) ..
5. ابو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، بيبير فونتانة (د-ط)، 1906.
6. ابو القاسم سعد الله، بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، مجلة البصائر، العدد: 81، الجزائر، 2002.
7. ابو صويح سيف جبل عامل في العهد العثماني: دراسة فكرية تاريخية، دار الرافدين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2017م.
8. احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العمرية، الجزائر، (د-ط)، 1993.
9. احمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، الطبعة: 2، 1986.
10. اشرف صالح مُحمَّد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، المرجع السابق، ص 66.
11. إتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
12. ايفانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 - 1574، ترجمة: يوسف عطا الله، دار الفارابي، ط1، 1988.

13. اينالجيك خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة مُحمَّد الأرناؤوطي، دار المدار الإسلامي، الطبعة: 1، 2002.
14. باغجوان سيد، شيخ الإسلام ابن كمال باشا وآراءه الاعتقادية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.
15. بالحميسي مولاي، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الطبعة: 2، الجزء: 2، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.
16. براهيم نصر الدين و علي تابلت، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر، 2010، ص : 113 .
17. بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية- دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق و المخطوطات 1517-1924، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، 2000.
18. البركتي مُحمَّد عميم الإحسان المجددي التعريفات الفقهية، ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003.
19. بعلي حفناوي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات، دار دروب للنشر والتوزيع، (د-ط)، (د-ت).
20. بك حليم ابراهيم، تاريخ الدولة العثمانية العلية (المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)، ط1 ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، 1988.
21. بلحسين آسيا، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، دراسات نفسية وتربوية، (د-ط)، 2011.
22. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، في العهد العثماني، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981.
23. بلقاضي بدر الدين و مصطفى بن حموش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط آلبير ديفولكس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
24. بن حموش أحمد، فقه العمران الإسلامي، مصطفى، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2000.
25. بن حموش مصطفى أحمد، فقه العمران الإسلامي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 2000.
26. بن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس و الوثائق العثمانية، (د-ط)، دار الأمة، 2010.
27. البهيجي إيناس حسن، الممالك البدائية و النهاية، الطبعة: 1، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2015.
28. البهيجي إيناس حسني، تاريخ الدولة العثمانية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، (د-ط)، (د-ت)..

- 29- بوحوش عمار، التاريخ السياسي من البداية لغاية 1962 ، الطبعة:2، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- 30- بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة: إبراهيم شبوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.
- 31- بوزير عمار بن محمد، الآثار الإسلامية بالجزائر مسجد سيدي غانم أنموذجاً، شبكة الألوكة، (د.ط)،(د.ت).
- 32- بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009.
- 33- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء:1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2009.
- 34- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء:2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 35- بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء:1، دار الغرب الإسلامي، 1995.
- 36- التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود على عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة:1، 1989.
- 37- جارشلي إسماعيل حقي، أشرف مكة و أمرائها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الطبعة:1، دار العربية للموسوعات، 2003.
- 38- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، الجزء:15، الطبعة: الرابعة 1422هـ/ 2001.
- 39- حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، الجزء:4، الطبعة:2، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- 40- الحفناوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، الجزء:1، بيروفونتاتة، الشرقية ، الجزائر ، 1906.
- 41- حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات، (د-ط)، دار دروب للنشر والتوزيع (د-ت).
- 42- حموش بدر الدين، تاريخ وعمران و قصبة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007.
- 43- حنيش ملكية، قراءة سوسيولوجية لدور الوقف في نشر العلم والبحث العلمي بالمجتمع الجزائري خلال فترة الحكم العثماني (د-ط)، (د-ت).
- 44- حنفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2008.
- 45- الدجاني أحمد صدقي، التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية، دار الإحياء الثقافي، القاهرة الطبعة الأولى، 2003..

- 46- دحدوح عبد القادر، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، (د-ط)، (د-ت).
- 47- دراج أحمد، الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس (1512-1543)، الطبعة:1، دار الأصاله، الجزائر، 2012.
- 48- سعيدوني ناصر الدين، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 49- دويب عبد الرحمن، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الطبعة:1، 2013.
- 50- رزوق مُحمَّد، الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17، الطبعة:3، دار إفريقيا الشرق، 1998.
- 51- الزهار أحمد شريف، مذكرات شريف أحمد الزهار، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الطبعة:2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
- 52- زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1900)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
- 53- سبنسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعليق وتعريب: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- 54- سرهنك إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء:1، الطبعة:1، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، 1894.
- 55- سرور زين العابدين مُحمَّد، مذكراتي، ج1، دار الأصول العلمية، الطبعة الأولى، 2020.
- 56- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء3.
- 57- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء1، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، طبعة خاصة، 2007.
- 58- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة:3، 1410هـ - 1990.

- 59- سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2004.
- 60- سعدوني ناصر الدين و بوعبدلي المهدي ، الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"، الجزء:4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 61- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، دار البصائر، الجزائر، (د-ط)، 2009.
- 62- سعيدوني ناصر الدين، الوقف و مكانته في الحياة الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي، دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001.
- 63- سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، (د-ط)، 2013.
- 64- سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر، الطبعة:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003.
- 65- سعيدوني ناصر الدين، دراسة تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية -الفترة الحديثة ، (د-ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001..
- 66- سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط2 . المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .
- 67- سمية الزاحي، المكتبات العامة في الجزائر بين النظريات العلمية ومعطيات الواقع،
- 68- السنيكي زكريا بن مُحمَّد بن أحمد بن زكريا، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، الجزء:1، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة: 1414هـ/1994.
- 69- سيد مُحمَّد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، مكتبة الآداب، ط 1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007.
- 70- سيد مُحمَّد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، مكتبة الآداب، الطبعة:1، 2007.
- 71- الشاهدي الحسن، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، الجزء:1، منشورات عكاظ، (ب- ط)، (ب-ت).
- 72- الشناوي عبد العزيز مُحمَّد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، (د. ط)، 1980.

- 73-الشوابكة نوال عبد الرحمن، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008.
- 74-شوقي ضيف، عصر الدولة والإمارات، دار المعارف، الطبعة: الأولى، (د-ت).
- 75-شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519 - 1830م)، ، دار الكتاب العربي، ط1، 2009.
- 76-شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره، (1800 - 1830) ، دار الكتاب العربي، الطبعة:1، 2011.
- 77-صديقي بلحاج، المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة 1830 - 1954م.
- 78-الصلابي علي محمد محمد، الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة:1، 1421هـ - 2001.
- 79-الصلابي علي محمد محمد، كفاح الشعب الجزائري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2017.
- 80-ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، الجزء:10، دار المعارف، مصر، ط1، 1960 - 1995م.
- 81-ضيف شوقي، عصر الدولة والإمارات، دار المعارف، الطبعة الأولى، (د-ت).
- 82-طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ط1، دار النفائس، بيروت لبنان، 2009.
- 83-طنطاوي محمد سيد ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، الطبعة: الأولى، (د-ت).
- 84-طوباش عثمان نوري ، العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشائخة، ترجمة : محمد حرب، دار الأرقم للنشر، الطبعة:1، 2016..
- 85-نجوى طوبال، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830م، من خلال سجلات المحاكم الشرعية ،دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2009 .
- 86-عاصي ناصر، أنا الكتاب وهذه سيرتي، دار المؤلف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012.
- 87-عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي " 1514 - 1830" ، الطبعة:2، دار هومة، الجزائر 2007.

- 88-عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، (د-ط)، (د-ت).
- 89-العسلي بسام، سلسلة جهاد شعب الجزائر، مجلد:7، دار النفائس، (د-ط)، 1403 هـ - 1983.
- 90-عصمت عبد المجيد بكر، المدخل لدراسة النظام القانوني في العهدين العثماني والجمهري التركي، دار الكتب العلمية (د-ط)، (د-ت).
- 91-عطا زبيدة، الترك في العصور الوسطى (بيزنطة و سلاجقة الروم والعثمانيون)، دار الفكر العربي للنشر ، (د-ط)، (د-ت).
- 92-عطلاوي عبد الرزاق، الرحلات العلمية وأثرها في الحركة الإصلاحية في الجزائر، دار اليازوري للنشر والتوزيع، (د-ط)، 2017.
- 93-العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، مكتبة الشرق، (د. ط)، (د.ت).
- 94-علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء:15، دار الساقى، الطبعة: الرابعة 1422هـ/ 2001.
- 95-عميم محمد، الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط1، 1424 هـ - 2003.
- 96-غربي الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي 1288-1916، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة:2، 2011.
- 97-غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- 98-فادي فتحي الأشرم. نحو استراتيجية تنمية لتطوير الوقف التعليمي لتمويل التعليم الجامعي في فلسطين 2018م،
- 99-الفاسي بن علي محمد بن أحمد تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، المجلد:2، الطبعة: الأولى 1421هـ-2000.
- 100-فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (910-1206 هـ/1505-1792 م)، دار هومة، (د-ط)، (د-ت).

- 101- كوبرلي مُجَد فؤاد، قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، تقديم: أحمد عزت عبد الكريم، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (د-ط)، 1967.
- 102- كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان: جدلية الدين والسياسة في إيران الصفوية-القاجارية والدولة العثمانية، الطبعة: 1، دار الطليعة، بيروت، 1990.
- 103- كوران أرجمنت، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة: عبد الجليل التميمي ، منشورات الجامعة التونسية، (د-ط)، 1970.
- 104- حرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات (1659 - 1671 م)، ، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، (د-ط)، (د-ت).
- 105- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا، 1492-1792، الطبعة: 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976.
- 106- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العمرية، الجزائر، (د-ط)، 1993.
- 107- المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، (د-ط)، 1984.
- 108- مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 109- مسعود أحمد طاهر ، المدخل إلى علم الاجتماع العام، ، دار جليس الزمان، الطبعة الأولى، 2011.
- 109- مصطفى أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط2، 1986.
- 110- المطيري عبد العزيز بن داخل، بيان فضل طلب العلم، معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، (ب. ط)، 1437هـ، 2015.
- 111- المغني ابن قدامة عبد الله بن أحمد بن مُجَد بن قدامة، الجزء: 6، مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968.
- 112- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1988.
- 113- المقرئ أحمد تقي الدين، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الطباعة المصرية ، بولاق، القاهرة، 1270 هـ، 1853.

- 114- مؤيد أحمد غازي، تاريخ الدولة التركية، المكتبة الجندرية، (د-ط)، (د-ت).
- 115- الملي مبارك بن محمد الهلالي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، (د.ط)، 1964.
- 116- النجدي عبد الرحمن، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، (د. ط)، (د. ت).
- 117- النسفي عبد الله بن أحمد بن محمود، كنز الدقائق، المحقق: سائد بكداش، دار البشائر الإسلامية، دار السراج، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011.
- 118- نقولا زيادة، في ميزان التاريخ، ترجمة وتحقيق: محمد عدنان بخيت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 2008.
- 119- هريدي عبد اللطيف، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، ط1، دار الصحوة، القاهرة، (د-ت).
- 120- هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الطبعة: 1، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر، 2008.
- 121- الوديني خلف بن دبلان بن خضر، الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1909م، جامعة أم القرى، الطبعة: 2، 2003.
- 122- وطفة أسعد علي وعلي جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي - بنيوية الظاهرة الاجتماعية ووظيفتها الاجتماعية، الطبعة: 1، 2003.
- 123- ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الطبعة: 1، 1996.
- 125- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988.

ب) المراجع باللغة الأجنبية (كتب/مجلات):

- 1- Archives Nationales d'Outre-Mer. Série Z-AIX-MI-BBINE66. s.d.
- 2- Belhamissi, Moulay. *Mazouna, une petite ville, une longue histoire*. Société Nationale d'Édition et de Diffusion, 1981.
- 3- Boyer, Pierre. *La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française*. Imprimerie Nationale, 1964.
- 4- Clifford-Geertz. *The Interpretation of Cultures*. Basic Books, 1973.
- 5- Devoulx, Albert. *Les edifices religieux de l'ancien Alger*. Revue Africaine, no. 10, O.P.U., 1866.
- 6- Devoulx, Albert , *Édifices religieux de l'ancien Alger*. Typographie Bastide, 1870.
- 7- - Devoulx, Albert , *Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger*. Revue Africaine, vol. 5, 1861.
- 8- Digo de Haedo. *Topographie et histoire générale d'Alger*. Édition Bouchène, 1998.
- 9- Féraud, Ch. L. *Les anciennes établissements religieux musulmans de Constantine*. Archives Nationales d'Outre-Mer, Série Z-AIX-MI-BBINE, no. 68, s.d.
- 10- Grammont. *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*. Ernest Leroux, 1887.
- 11- Mascarenhas, Joao. *Esclave à Alger: Récit de captivité de Joao Mascarenhas (1626-1626)*. Traduit du portugais, Édition Chandingene.

- 12- Shaw. *Voyage dans la Régence d'Alger. Traduit de l'anglais par J. MacCarthy, 2e éd., Bouslama, 1980.*
- 13- Shuval, Tall. *La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle. CNRS Éditions, 1998.*
- 14- Vallière, Ph. *L'Algérie en 1781 – Mémoire. Publié par le père Lucie Chaillou, Toulon, s.d.*
- 15- *Venture de Paradis. Alger au XVIIIe siècle. Imprimeur Libraire, édité par E. Faghan, 1898.*

(3) المجلات:

- 1- أبو الخشب إبراهيم علي الخطيب الديني ، الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المجلد: 19، العدد: 217، 1982.
- 2- الأحمر قادة وعطلاوي عبد الرزاق، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية، مجلة آفاق فكرية، المجلد: 3، العدد: 7، 2017.
- 3- الأشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، المجلد: 4، العدد: 7، 2013.
- 4- أعقيل نغير، المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، مجلة دراسات تاريخية، العدد (15-16)، 2011.
- 5- آيت حبوش حميد، واقع التعليم في الجزائر أواخر الحكم العثماني، مجلة كان التاريخية، العدد: 37، 2017.
- 6- باقي نصر الدين، دور الزوايا في الاستقرار السياسي والاجتماعي بالجزائر، مجلة آفاق فكرية، المجلد: 3 العدد: 7، 2017.
- 7- بحوش صبيحة، وضعية التعلم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد: 1، العدد: 9، 2015.

- 8- بجوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، المجلد: 1، العدد: 2، (د-ت).
- 9- بردي صليحة، الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني، دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، العدد: 11، 2018.
- 10- بروق مليكة و الزاوي حسن، البعد الجمالي للعمارة العثمانية بمدينة الجزائر، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد: 6، 2017.
- 11- بلحسين رحوي آسيا، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد: 7، 2011.
- 12- بلحميسي مولاي ، دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن 15 إلى منتصف القرن 20، مجلة العصر، العدد: 11، 1997.
- 13- بلعربي عبد القادر، الرحلة الورثانية ومصادرها المعرفية، مجلة آفاق فكرية، العدد: 6، 2017.
- 15- بن بلة خيرة وكريمة فيللفة، الحركة التعليمية ومراكزها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات الأثرية، العدد: 1، المجلد: 17، (د-ت).
- 14- بن عبد الرحمن مُحمَّد ، الزهرة النيرة بما جرى للجزائر حين غارت عليها الجنود الكفرة، مخطوط ، مجلة تاريخ و حضارة المغرب، كلية الآداب، الجزائر، 1978.
- 15- بوجمعة أكرم، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة كلية التربية للعلوم التربوية والإسلامية، جامعة بابل، العدد: 28، 2016.
- 16- بودوخة إبراهيم، التعليم القرآني في الجزائر خلال القرن السادس الهجري، مجلة الحقيقة، العدد: 38، (د.ت).
- 20- بوزرينة السعيد ، المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة منبر التراث الأثري، العدد: 2، المركز الجامعي، البيض، 2013.
- 21- بوزير عمار بن مُحمَّد ، الآثار الإسلامية بالجزائر مسجد سيدي غانم أنموذجاً ، شبكة الألوكة، د. ط، د.ت.
- 22- بوسليم صالح، والزين مُحمَّد، ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني، مجلة الحوار التوسطي، العدد: 9 - 10، (د-ت).

- 23- بوشيبة ذهبية، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد: 3-4، (د. ت).
- 24- بوعزيز يحيى، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20، مجلة الثقافة، العدد: 63، 1981.
- 25- بوكعبير تقي الدين، الفقه والقضاء المالكي في الجزائر خلال العهد العثماني: "قراءة في مخطوطة للشيخ أبي رأس الناصر المعسكري"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد: 5، (د. ت).
- 26- بونابي الطاهر، ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني، مجلة عصور الجديدة، العدد: 18، 2015.
- 27- تزارى مختارية، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، العدد: 14-15، 2001.
- 28- التميمي عبد الجليل، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية، العدد: 5، 1985.
- 29- جاب الله طيب، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، المجلد: 8، العدد: 14، 2013.
- 30- جرناز محمد أحمد، المكتبات الجامعية أهميتها ودورها في تطوير التعليم العالي، مجلة الجامعي، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعي، العدد: 9، 2005.
- 31- الجيلالي سالمي، التعليم في الجزائر بين الممارسات الاستعمارية والسياسات الحكومية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد: 1، 2019.
- 32- حمد مؤيد محمود، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد: 16، 2103.
- 33- حمداني هجيرة، نظرة حول تاريخ الأوقاف في الجزائر، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد: 32، 2017.
- 34- حنيش ملكية، قراءة سوسيولوجية لدور الوقف في نشر العلم والبحث العلمي بالمجتمع الجزائري، خلال فترة الحكم العثماني، خميس مليانة، (د. ت).
- 35- الحيرش جيلالي، واقع القراءات القرآنية في الجزائر في العهد العثماني، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد: 11، 2018.

- 36- الخطيب إسماعيل، أدب الرحلات، مجلة دار الحديث الحسنية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - مؤسسة دار الحديث الحسنية، العدد: 6، 1988.
- 37- خفي مختار، الدور السياسي والاجتماعي لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني (1518م - 1830م)، مجلة كان التاريخية، المجلد: 10، العدد: 37، 2017.
- 38- خنشلاوي زعيم، التصوف في تاريخ الجزائر، مجلة البحث العلمي والأكاديمي، العدد: 26، 2010.
- 39- خيرة بن بلة، وكرمة فيللفة، الحركة التعليمية ومراكزها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد: 17، العدد: 1، (د.ت).
- 40- دحدوح عبد القادر، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، .
- 41- درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10هـ - 13هـ / 16م - 19م) بين التأثير والتأثر.
- 42- دلالي الجيلالي، دور الوقف في النهضة العلمية والثقافية قراءة في التجربتين الإسلامية والغربية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد: 17، 2017.
- 43- دهيبة بوشيبة، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد: 3-4، (د-ت).
- 44- دوبالي خديجة، إسهامات الكراغلة في بناء الجزائر العثمانية، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، العدد: 11، 2017.
- 45- ذياب هندي صالح، الرحلة في طلب العلم في الإسلام وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد: 38، العدد: 1، 2011.
- 47- رحوي آسيا بلحسين، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد: 7، 2011.
- 48- الرزقي شرقي، المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية (إستقراء و إعادة بناء لمخلفاتها الأثرية) ، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، العدد: 9، 2007.
- 49- المهدي البوعبدلي، الرباط والفدا في وهران والقبائل الكبرى ،مجلة الأصالة، ع: 13، 1973.
- 50- كوديد سفيان، واقع الوقف في الجزائر، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد: 9، 2014.

- 51- زاهي مُجّد، مصير مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد: 6، العدد: 9 - 10، (ب-ت).
- 52- الزيد عبد الله بن أحمد، أهمية الوقف وحكمة مشروعيته، مجلة البحوث الإسلامية، (السعودية)، العدد: 36، 1992.
- 53- السنوسي الصادق أُمّجّد، النظام التعليمي داخل الكتاتيب والزوايا في ليبيا، مجلة جامعة سرت العلمية للعلوم الإنسانية، جامعة سرت - مركز البحوث والاستشارات، المجلد: 6 العدد: 2، 2016.
- 54- السيد أشرف صالح مُجّد ، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم و التكنولوجيا، العدد: 4، 2013.
- 55- سيد صالح مُجّد ، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، المجلد: 4، العدد: 7، 2013.
- 56- شارف رقية، الواقع الاقتصادي للجزائر من خلال نماذج لمؤرخين جزائريين نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: 41، 2014.
- 57- الشارف لطروش، جماليات العمارة العثمانية في الجزائري، المجلة الدائمة، كلية الآداب، جامعة استانبول، 2011.
- 58- شدرى معمر رشيدة ، المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية (1518 - 1830م)، مجلة معارف، السجل: 11، العدد: 20، 2016.
- 59- شرقي الرزقي، المدرسة التاشفينية بمدينة تلمسان الزيانية، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، 2007.
- 60- شلابي نبيلة، وعمر حيدوسي، الحالة العلمية بالجزائر في العهد العثماني (القرنان الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد) من خلال رحلة أبي رأس المعسكري "فتح الإله ومنته"، مجلة الإحياء، المجلد 19، العدد: 23 ديسمبر 2019.
- 61- المشهداني محمود حمد، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 - 1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد: 5، العدد: 16، 2013.
- 62- صاري جيلالي، مخطوطات قسنطينة و مصيرها بعد سقوط المدينة في سنة 1837، مجلة الثقافة، العدد: 80 ، الجزائر، (د-ت).

- 63-صالح صالحي، الوقف الإسلامي ودوره في التنمية المستدامة، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد: 1، 2014.
- 64-الطاهر بونابي، ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني، مجلة العصور الجديدة، العدد: 18، 1436هـ - 2015.
- 65-عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، النظم الإدارية العثمانية في البلدان العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية ، مجلة الدارة، العدد: الأول، 1403هـ ، 1982.
- 66-عبيد مصطفى، القضاء بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور الجديدة، العدد: 11-12، 1435هـ - 2014.
- 67-عجناك بشي يمينة، أدب الرحالة الجزائريين إلى الحجاز خلال القرن الـ18 " نخلة الحبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب " لابن عمار، مجلة بحوث، المجلد: 3، العدد: 11، (ب-ت).
- 68-علي أبو الخشب إبراهيم علي، الخطيب الديني، الوعي الإسلامي، مجلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المجلد: 19، العدد: 217، 1982.
- 69-عليوة المسلمي محمد كمال، الوظيفة التربوية للمسجد في ظل المتغيرات المجتمعية المعاصرة، مجلة كلية التربية ببور سعيد، العدد: 7، 2010.
- 70-العماري الطيب الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، دراسة انتربولوجية، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد: 15، 2014.
- 71-عمار عبد الله، واقع تعليم اللغة العربية في الزوايا القرآنية بمنطقة توات الجزائرية، مجلة آفاق علمية، المجلد: 11، العدد: 3، 2019.
- 72-عمريوي فهمية، إسهام الجيش الانكشاري في أوقاف الحرمين الشريفين خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: 41، 2014.
- 73-عومري عبد الحميد ، التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد: 8، (د.ت).
- 79-العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، العدد: 3، 1980.
- 80-غطاس عائشة، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر - العهد العثماني، مجلة إنسانيات، العدد: 3، 1997.

- 81- فضل الله علي فضل الله، الأجور والحوافز في الإسلام قضايا منهجية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد:13، العدد:25، (د-ت).
- 82- قاصري محمد السعيد، مقارنة تاريخية بين نظام الحكم العثماني في الجزائر وبين نظام الحكم في دولة الأمير عبد القادر، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، العدد:3، 2017.
- 83- قرمان عبد القادر، المنشآت الدينية والتعليمية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مجلة عصور، العدد: 28 – 29، 2016.
- 84- كفادار جمال، تكوين الدولة العثمانية ، مجلة دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، مج 11، العدد:41 – 42، بيروت ، 1999.
- 85- كوديد سفيان، واقع الوقف في الجزائر، مجلة دراسات اقتصادية، المجلد:12، العدد:2، (ب-ت).
- 86- لبصير سعاد، التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المشرق خلال العهد العثماني، مجلة قضايا تاريخية، العدد:8، 2017.
- 87- لحرش فضيل، تسيير الأملاك الوقفية في الجزائر، مجلة التراث، العدد:17، 2015.
- 88- لنوار صبرينة ، مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع 34، 2017.
- 89- ماهود محمد سحر، الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر، مجلة التراث العلمي العربي، العدد:2، 2015.
- 90- محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، مجلة أماراباك، المجلد: 4، العدد: 7، 2013.
- 91- مخفي مختار، الدور السياسي والاجتماعي لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني (1518م – 1830م)، مجلة كان التاريخية، المجلد:10، العدد:37، 2017.
- 92- مريخي رشيدة، ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد:5، العدد:12، 2017.
- 93- مسدور فارس، الأوقاف الجزائرية بين الاندثار والاستثمار، مجلة معهد العلوم الاقتصادية، المجلد:12، العدد:3، (د-ت).

- 94- مسعود العيد، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، العدد: 3، 1980.
 - 95- ميسوم ميلود، ملامح من الحياة الثقافية بحاضرة مازونة خلال العهد العثماني، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد: 10، العدد: 1، 2019.
 - 96- ندير أعقيل، المؤسسات الوقفية الجزائرية في العصر العثماني ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، مجلة دراسات تاريخية، العدد (15-16)، 2011.
 - 97- هلايلي حنفي، الشرطة والقضاة في مدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، المجلد: 36، العدد: 13، 2009.
 - 98- هلايلي حنفي، الجزائريون والرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورتلاني وأبو راس الناصري، مجلة الشهاب الجديد، المجلد: 7، العدد: 7، 2008.
 - 99- هندي صالح ذياب، الرحلة في طلب العلم في الإسلام وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد: 38، العدد: 1، 2011.
 - 100- يحيى نجا، علاقة الأسرة بالمدرسة في العملية التعليمية، مجلة دفاتر المسألة التربوية في ظل التحديات الراهنة، العدد: 20، 2018.
- 4) المؤتمرات، والملتقيات، ومنشورات المؤسسات:**
- 1- ابو غندة حسن عبد الغني، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، المؤتمر الدولي الثالث للأوقاف بالمملكة العربية، الجامعة الإسلامية، السعودية، 2009.
 - 2- بلحاج معروف، المساجد العثمانية في الجزائر: دراسة من ناحية التخطيط المعماري، المؤتمر الدولي الخامس بعنوان: العرب والترك عبر العصور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السويس، 2013.
 - 3- بوبشيش صالح، المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني، الملتقى الوطني الأول (المذهب المالكي في الجزائر)، الموافق 21 - 22 أفريل، جامعة باتنة، 2004.
 - 4- بورابة لطيفة، الآثار الباقية من جامع السيدة المندثر في مدينة الجزائر العثمانية: دراسة تاريخية أثرية، المؤتمر السابع عشر للاتحاد العام للأثريين، 2014.
 - 5- الدريبي عيسى بن ناصر، تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية وأثره العلمي والتربوي، ندوة التراث المدرسي الشرعي والمدارس الشرعية في مواجهة مسار الحداثة، جامعة ألب أرسلان، تركيا، 2012.

6-المدارس والكتاتيب القرآنية وقفات تربوية وإدارية، مؤسسة المنتدى الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د.ط)، (د.ت).

75) المعاجم والقواميس والموسوعات:

1-ابن منظور الأنصاري مُجَدِّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، المجلد: 1 - 1414هـ-2013م.

2-أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م.

3-الأزدي أبو بكر مُجَدِّد بن الحسن بن دريد، جوهرة اللغة، ط1، ج1، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، 1987م، ، (د-ت).

4-الجاف حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلى نهاية الدولة القاجارية، المجلد: 3، الطبعة: 1، 2008.

5-جبران مسعود، معجم الرائد، ، دار العلم للملايين، الطبعة: 7، المجلد: 1، 1992.

6-جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، الطبعة: الرابعة، الجزء 15، 1422هـ/ 2001.

7-مرتضى الزبيدي الحسيني أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الجزء: 16، (د-ت).

8-الحسيني القريني الكفوي أيوب بن موسى ، أبو البقاء الحنفي الكليات، المحقق: عدنان درويش - مُجَدِّد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص 871.

9-خدوسي رابع، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، مجموعة من الأساتذة، إشراف: منشورات الحضارة، الجزء: 1، 2014م.

10-رينهات بيتز آن دُوزي ، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، ج4، من 1979 - 2000م.

11-السرخسي، المبسوط، دار المعرفة ، (د. ط)بيروت، 1414هـ - 1993م.

- 12- صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ، (د-ط)، 2000 .
- 13- الصُّحاري سَلَمَة بن مُسْلِم العَوْتِي ، الإبانة في اللغة العربية، تح: عبد الكريم خليفة - و آخرون ، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م
- 14- عمر مختار أحمد و آخرون، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، الجزء1، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008.
- 15- الفارابي أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، ط 4 ، ج 2 ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، 1407 هـ - 1987 م.
- 16- الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر مُجَدِّد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005.
- 17- قلنجي مُجَدِّد رواس وحامد صادق ، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988م.
- 18- المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، الجزء: 9، 1421 هـ - 2000.
- 19- نويهض عادل ، مُعْجَمُ أعلام الجزائر - مِن صَدَر الإسلام حَتَّى العَصْر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980م.
- 20- اليحصبي السبتي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو ، أبو الفضل ، "مشارك الأنوار على صحاح الآثار"، مج 2 المكتبة العتيقة ودار التراث،(د.ت) .
- 21- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مج : 2 ، ص775.

(6) الرسائل و الأطروحات الجامعية:

- 1- ابن صحراوي كمال ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي، مصطفى اسطنبولي - معسكر، الجزائر، 2008.

- 2-إفخارس مُجّد ، نادية صلاح مُجّد صديق، رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، بحث غير منشور، الإمارات.
- 3-أوربي أسماء تأثير أدب الرحلة في التقارب الحضاري، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم، الجزائر، 2017م.
- 4-بجري أحمد ، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500 - 1900 م)، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، الجزائر، 2013م.
- 5-بكري رشيد، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2013.
- 6-بكري عبد القادر ، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2016م.
- 7-بلبراوات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008م.
- 8-بلحسين رحوي عباسية، النظام التعليمي الابتدائي بين النظري والتطبيقي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة السانبا _وهران، 2012م
- 9-بلغيث عبد القادر ، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، الجزائر، 2014م
- 11-بن بلة خيرة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008م.
- 10-بن ساعد عائشة، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2004.
- 11-بن صافي حبيب ، صورة المعلم في ثقافة المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، الجزائر، 2006.
- 12-بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، 2009م.

- 13- بوحلو حسين ، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية - وهران، الجزائر، 2009م.
- 14- بوسعيد عبد الرحمن، الأوقاف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2012م.
- 15- بوضياف عبد الرزاق، إدارة أموال وسبل استثماره في الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، 2006.
- 16- الثقفى محمد أحمد محمد، زواج السلاطين العثمانيين من الأجنيات وأثره في إضعاف الدولة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، السعودية، 1432هـ-2010م.
- 17- حاج سعيد محمد، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها ودورها وعمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2015.
- 18- حالة خديجة، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700 - 1830 م) ، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الحديث، الجامعة الإفريقية، العقيد أحمد درارية - أدرار، 2013م.
- 19- حورية قايش، التحليل اللغوي للخطاب الشعري الجزائري في العصر التركي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، 2008.
- 20- الديبسي محمد بن مصطفى بن عبد السلام ، السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة، 1431هـ .
- 21- دخية فاطمة، الحركة الأدبية في الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمه لنيل شهادة دكتوراه في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب جزائري قديم، كلية الآداب واللغات، جامعته محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015 .
- 22- درام الشيخ، النظم التعليمية في الزوايا، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سطيف، 2013م .
- 23- الدرعان فيصل بن سليمان، الدور الأمني للمسجد من خلال الخطب المنبرية، رسالة ماجستير، الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2007.

- 24- درقاوي منصور، الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين (10هـ - 13 م / 16م - 19م) بين التأثير والتأثر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، الجزائر، 2015م.
- 25- رزوقي عبد الله، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، 2017.
- 26- رقاد سعدية، المؤسسات العلمية في بابل الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700 - 1830)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، الجزائر، 2019.
- 27- الزاحي سمية، المكتبات العامة في الجزائر بين النظريات العلمية ومعطيات الواقع، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري - قسنطينة -، الجزائر، 2006.
- 28- زردوم صورية، النظام القانوني للأموال الوقفية في التشريع الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2010.
- 29- زروق جيجيك، المرابطون و الطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين، رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2001.
- 30- الزين محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين: الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، الجزائر، 2003م.
- 31- سعيد محمد حاج، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها ودورها وعمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة، كلية العلوم والإسلامية، جامعة الجزائر، 2015.
- 32- سيساوي أحمد، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2014.
- 33- شاطو محمد، نظرة المصادر المحلية إلى السلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة لنيل هادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- 34- شدري رشيدة معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر: فترة الدايات (1671 - 1830 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2006م.
- 35- شرابي يسمينة، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2013.

- 36- شويتم أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800 - 1830م)، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، الإسكندرية، 1988.
- 37- صديقي بلحاج ، المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة (1830م - 1954م)، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.
- 38- صغيري سفيان ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 - 1830م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2012م.
- 39- ضاهر عبد الوهاب مصطفى، عمارة المكتبات في الإسلام، شبكة الألوكة، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي، موسوعة العمارة في الإسلام، مج12، (د.ط)، (د.ت).
- 40- الطاهر حسين، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر، 2014م.
- 41- طاهيري محمد، النظام التعليمي ومسألة الهوية بالجزائر، ، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور - الجلفة، 2019.
- 42- طيان شريفة ، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991م.
- 43- عاشوري أحمد ، الأصول السوسيوثقافية للزوايا في الجنوب الغربي للجزائر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2017م.
- 44- العاصي أمل شفيق محمد، مباني الأوقاف الإسلامية وأثرها في استدامة الأنسجة الحضرية للمدن التاريخية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010.
- 45- العايب كوثر ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، 2014م.
- 46- عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني الجزائري، رسالة دكتوراه، تخصص أدب شعبي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2009م.
- 47- عبو ابراهيم، العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 16-19م، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس، 2018.

- 48- عقاد سعاد ، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519 - 1830 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر ، 2013/2014.
- 49- عومري عبد الحميد ، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي، 2017م.
- 50- فنتازي خير الدين، نظام الوقف في التشريع الجزائري، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2007م، ص 15 - 16.
- 51- فيطس عبد القادر، الشعر الملحون الديني الجزائري، ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص أدب شعبي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2009.
- 52- قايش حورية، التحليل اللغوي للخطاب الشعري الجزائري في العصر التركي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف، 2008م
- 53- كشروود حسان ، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659م إلى 1830م ، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الاجتماعي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2008م.
- 54- كمال خليل ، المدارس الشريعة الثلاثة بالجزائر: التأسيس والتطور (1850-1951م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، 2008م ..
- 55- لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518 - 1830، رسالة ماجستير، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية ، 2011.
- 56- لواليش فتيحة ، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1994.
- 57- العاصي أمل شفيق مُحمَّد ، مباني الأوقاف الإسلامية وأثرها في استدامة الأنسجة الحضرية للمدن التاريخية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010م.
- 58- حاج سعيد مُحمَّد، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها ودورها وعمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة، كلية العلوم والإسلامية، جامعة الجزائر، 2015م.

- 59-قرود مُجَّد، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م من خلال ثلاث نماذج، أحمد المقرري، عيسى الثعالي، يحيى الشاوي النائلي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الجزائر ، 2010/2009 ص : 41
- 60-مصبح مُجَّد معتز ، دور الوقف الخيري في التنمية الاقتصادية، رسالة ماجستير، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، 2013م
- 61-معاشي جميلة، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008م.
- 62-معيوف زهية وقاسى زهية، الشبكة العلمية لمنطقة زواوة خلال العهد العثماني (1519م – 1830م)، رسالة ماستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أكلي محند أولحاج، الجزائر، 2019.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس لبعض أسماء الأعلام :

- أ
- أبا عبدالله محمد، 39
- أبو حفص سيدي عمار التنسي، 119
- أبو راس الناصري، 74، 79، 84، 116، 155، 164، 172، 186، 191، 192، 197، 214، 215، 257، 258
- أبو عبد الله محمد بن سي عياد الأندلسي، 113
- أبو مدين الشعيب، 80
- أبي الفضل محمد المشدالي البجائي، 75
- أبي حمو موسى، 163
- أبي زيان ناصر بن مزني البسكري، 75
- أحمد بن الشريف الدرقاوي، 56
- إ
- إبراهيم التازي، 76، 167
- إبن القنفذ، 75، 76
- إبن زاكور الفاسي، 183، 184، 222، 224
- إبن سعد، 167
- إسحاق، 38
- ابن الأحرش، 54، 55، 56، 59
- ابن الحاجب، 203، 257
- ابن الشريف، 54، 56
- ابن الصخري، 48
- ابن العنابي، 191، 197
- ابن خلوف، 159
- ابن علي المجاجي، 140
- ابن لولو التلمساني، 191
- أحمد بن القاضي، 43
- أحمد بن سحنون الراشدي، 40
- أحمد بن عبد الله الجزائري، 76، 126
- أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري، 75
- أحمد بن عمار، 191، 197، 216
- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، 80
- أحمد بن يحيى الونشريسي، 75، 121
- أحمد شريف الزهار، 42
- أرطغرل، 22، 25، 27، 30
- الباشا إبراهيم، 48
- الباشا خضر، 47
- البوكياشي خليل، 49
- التمقروتي، 166، 80، 78، 43، XI
- الجبرتي، 173، XII
- الحاج علي التماسيني، 57
- الداي مصطفى، 54، 58
- السخاوي، 120
- الشاه إسماعيل، 32
- الشيخ الفكون، 45
- الشيخ علي بن عبد الرحمن، 118
- الطبيب الوزاني، 128
- العياشي، 80، 174، 215، 268، 283
- الغبريني، 144، 121، 112، XII
- الورتلاني، 74، 150، 198، 226، 314
- الورثيلاني، 104
- ب
- بايزيد الأول، 23

سليم الأول، 32، 34، 38، 39، 41، 77، 264، 265	بوعكاز، 45، 132
سليمان القانوني، 32، 33، 34	بوقصبة، 159
سليمان بن قتلمش، 21	
سیدی مُجّد الشريف الزهار، 118	ج
سیدی الكتاني، 93، 115، 186	جنكيز خان، 22
سیدی عبد الرحمن الثعالبي، 37، 101، 110، 132، 249، 257	ح
سیدی عيسى بن العباس، 93	
سیدی یعقوب، 127	حسن آغا، 43، 45
ش	حسن قورصو، 45
شارلکان، 44، 130	حسین "ميزوموترو"، 52
	حسین باشا، 52، 66
ص	خ
صالح باي، 57، 58، 59، 93، 104، 115، 132، 156، 157، 159، 173، 180، 256، 257	خضر باشا، 110
صالح راي، 43	خليل، 24، 29، 35، 50، 87، 93، 173، 180، 183، 185، 201، 208، 249، 257، 279، 288، 291، 322
ع	خير الدين، 38، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 67، 69، 239، 285، 322
عبد الواحد السجلماسي الأنصاري، 224	د
عبد الرحمن الأخضر، 121، 140، 258	ديفولكس، IX، 101، 104، 111، 114، 115، 130، 165، 289، 290، 291
عبد الرحمن الثعالبي، 75، 76، 80، 125، 126	ر
عبد الرزاق إين حمادوش، 80	رمضان آغا، 50
عبد القادر الجيلاني، 126	س
عبد الكريم الفكون، 318، 216، 121، 79، 45، XI	سالم تومي، 37، 38
عبد الله الكتاني، 258	سعد الله، 1، 3، 38، 65، 67، 68، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 112، 119، 121، 126، 127، 130، 139، 140، 146، 147، 156، 159، 161، 162، 163، 165، 166، 167، 169، 172، 173، 174، 180، 182، 183، 184، 188، 190، 191، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 207، 213، 216، 217، 219، 221، 222، 227، 237، 241، 255، 283، 287، 293، 301
عبد المؤمن، 224، 127، 48، X	سعيد المقرري، 79، 215
عبدی باشا، 116، 165	سعيد بن إبراهيم قدورة، 224
عثمان، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 31، 54، 57، 58، 59، 82، 93، 103، 114، 156، 191، 212، 217، 296	سعيد قدورة، 191، 215، 221
عثمان بك، 22، 24	
عروج، 285، 44، 40، 38، XI	
علج علي، 43	
علي آغا، 51	
علي باشا، 50، 54، 62، 63، 116	
علي بتشين، 116، 110، 106، 101، XII	
علي خوجة، 54، 66، 173، 246	
علي نقسيس، 54	
عمر المشدالي، 163	

عمر بن مُجد الكماد الوزان، 215	مراد الثالث، 45، 46
عيسى بن مُجد الثعالبي، 79	مصطفى باشا، 54، 58، 101
	مصطفى بن زرفة، 134
	موسى بن عيسى، 76
م	
مُجد الحزنأجي، 54	
مُجد الكبير، 57، 82، 103، 106، 108، 114، 133، 148،	
158، 173، 182، 185، 218، 255، 257	هايدو، 72، 104
مُجد إلياس، 38	<u>هولاكو</u> ، 22
مُجد بن أحمد المعروف، 75، 258	
مُجد بن عبد الكرم المغيلي، 75، 121	
مُجد بن عبد الله التنسي، 75	
مُجد بن علي مملول، 191	
مُجد بن ميمون الجزائري، 43، 176	
مُجد بن يوسف السنوسي، 75	
	ه
	ي
	يحي ابن صالح، 79
	يحي الشاوي، 82، 121، 323
	يحي المازوني، 121

فهرس الأماكن

فهرس الأماكن

144,145, 142, 141, 140, 139, 138, 135
 157, 156, 155, 152, 151, 150, 148, 146
 167, 166, 165, 164, 161, 160, 159, 158
 175, 174, 173, 172, 171, 170, 169, 168
 184, 183, 182, 181, 180, 178, 177, 176
 192, 191, 190, 189, 188, 187, 186, 185
 200, 199, 198, 197, 196, 195, 194, 193
 208, 207, 206, 205, 204, 203, 202, 201
 218, 217, 216, 215, 214, 213, 212, 209
 228, 227, 226, 224, 222, 221, 220, 219
 240, 239, 238, 237, 236, 231, 230, 229
 249, 248, 247, 245, 244, 243, 242, 241
 268, 258, 257, 256, 255, 252, 251, 250
 281, 280, 274, 273, 272, 271, 270, 269
 290, 289, 288, 287, 286, 285, 283, 282
 298, 297, 296, 295, 294, 293, 292, 291
 306, 305, 304, 303, 302, 301, 300, 299
 314, 313, 312, 311, 310, 309, 308, 307
 323, 322, 321, 320, 319, 318, 317, 315
 344, 342, 341, 340, 339, 338, 336
 الحجاز، 33, 167, 222, 226, 227, 229, 310, 314

الدولة العثمانية، 21، 42، 136، 156، 157

السودان، 75، 174

الصحراء، 174

العراق، 21، 33، 34

القل، 44

القلعة، 200

المدينة، 42، 70

المرسى الكبير، 40، 41

المشرق العربي، 262، 180، 79، 62، 32، V

المغرب الأقصى، 173، 174، 180

المغرب العربي، 250، 143، 125، 79، 77، 61، 42، 38، V

258

اليمن، 33

أ

أوروبا، 159، 80، 62، 35، 32، 25، 24، 23، IX، V

300، 344

إ

إسبانيا، 35، 36، 37، 39، 67، 131، 173، 298

إستانبول، 62، 78، 174، 309

إسطنبول، 27، 46، 77، 112، 167، 264، 265، 268

إسكي شهر، 24، 28

إفريقيا، 89، 76، 47، 39، 37، 36، 35، XII، XI، I

123، 222، 283، 286، 288، 291، 292

إيران، 23، 32، 296، 298، 316

إيطاليا، 101

آ

آسيا، 208، 131، 92، 86، 33، 27، 25، 24، 22، 21، I

289، 304، 308

ا

الإمارات التركية، 21

الأناضول، 21، 23، 24، 25، 26، 28، 29، 30، 31، 32

186، 73، 68، 46، 34

الأندلس، 35، 39، 65، 67، 72، 121، 131، 142، 163

167، 169، 173، 174، 188، 238، 242، 258

259

البلقان، 22، 23، 27، 28، 29

البلدية، 70

البوسفور، 21، 27

الجزائر، 1، 3، XIII، XII، XI، X، IX، VIII، VII، VI، V، IV، III، II، I

XIV، XV، 21، 22، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43،

44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56،

57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 65، 66، 67، 68، 69، 70،

84، 82، 81، 80، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79

95، 94، 93، 92، 91، 90، 89، 88، 87، 86، 85

106، 105، 104، 103، 102، 101، 99، 97، 96

114، 113، 112، 111، 110، 109، 108، 107

122، 121، 120، 119، 118، 117، 116، 115

134، 133، 132، 130، 129، 126، 125، 123

أوروبا الشرقية، 22، 23	دولة سلاجقة الروم، 21
أرمينيا، 32	
ب	ز
بايلك التيطري، 42	زمورة، 45
بايلك الشرق، 42	زواوة، 42، 128، 144، 150، 169، 323
بايلك الغرب، XIV، 42، 55، 56، 103، 104، 158، 168، 172، 177، 181، 319، 322	161، 162، 163، 165، 166، 167، 169، 172، 173، 174،
بجاية، 37، 38، 42، 43، 75، 108، 114، 121، 128، 129، 168، 258	<u>سلاجقة الروم</u> ، 21، 22، 186، 296
بحر مرمرة، 21، 27، 30	
بسكرة، 75، 86، 319	
بغداد، 22، 34	
بلاد القبائل، 36، 43، 146، 148، 150	
بني ورتلان، 149	
بيشينيا، 27	
ت	
تبريز، 33، 34	
تراقيا، 21	
تركستان الشرقية، 22	
تركيا، 21، 24، 27، 77، 99، 101، 112، 264، 265، 268، 282، 287، 301، 315	
تلمسان، XIV، 36، 37، 40، 44، 48، 70، 75، 89، 93، 106، 108، 125، 127، 129، 130، 133، 157، 158، 159، 163، 168، 175، 187، 200، 258، 259، 275، 308، 309، 318، 320، 321، 344	
تونس، 37، 39، 43، 44، 45، 47، 52، 55، 58، 59، 101، 162، 173، 230، 231	
تيطوان، 230	
ج	ق
جربة، 35، 39	قسنطينة، IX، 42، 45، 57، 59، 75، 84، 87، 89، 104، 106، 127، 132، 140، 148، 157، 159، 162، 167، 169، 172، 173، 180، 181، 183، 194، 195، 206، 207، 212، 215، 216، 220، 239، 242، 258، 278، 304، 307، 310، 320، 322، 323، 344
جرجرة، 71	
جيغل، 38، 55، 93	
د	م
دار السلطان، 42، 88، 102، 116، 131، 288، 303، 309، 313	مازونة، XIV، 42، 71، 75، 140، 158، 163، 164، 181، 201، 257، 276، 304، 314، 317
دمشق، 34	مالطا، 45
	مستغانم، 84، 229، 317
	مصر، 22، 23، 32، 33، 34، 38، 62، 64، 87، 166، 167، 169، 172، 190، 236، 252، 265، 279، 280، 285، 293، 295، 296، 303، 323
	معسكر، XI، 42، 53، 56، 93، 114، 156، 215، 220، 257، 317
	مليانة، 56، 200
	ميدلي، 38

وهران، 37, 40, 42, 45, 55, 56, 59, 76, 91, 92, 93, XI, XIV,
 103, 105, 108, 111, 115, 125, 133, 134, 139, 145,
 158, 172, 174, 177, 191, 258, 305, 312, 318, 319,
 321, 344

میزاب، 169

و

ورقة، 169

فهرس الجداول

<u>الصفحة</u>	<u>العنوان</u>	<u>الرقم</u>
177	جدول ورسم بياني يوضح عدد ونسب مساجد المذهب الحنفي والمالكي في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني	01
130	جدول ورسم بياني يوضح عدد الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني	02
161	جدول ورسم بياني لعدد المدارس الابتدائية في ثلاثة مدن كبرى بالجزائر في العهد العثماني	03
250	جدول يوضح الأوقاف العامة المسجلة باسم مؤسسة سبل الخيرات	04

فهرس المحتويات

الرقم	العنوان	الصفحة
	الإهداء.....	
	كلمة الشكر.....	
	قائمة المختصرات.....	
	المقدمة.....	
XIX -I		
الفصل التمهيدي: الأوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية بالجزائر في العهد العثماني (1519-1830)م		
أولاً	الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني.	52-22
	بدايات الدولة العثمانية و تأسيس الحكم التركي بالجزائر.....	22-42
	مراحل الحكم العثماني في الجزائر (فترة البايبربايات - الباشاوات - الأغوات - الدايات).....	43-54
	نهایة الحكم العثماني بالجزائر (الثورات الريفية - تكاثر الأزمات - الأسباب السياسية والدينية).....	52-54
ثانياً	الأوضاع الاجتماعية في الجزائر في العهد العثماني.	74-62
	البنية الاجتماعية في الجزائر والعوامل المؤثرة في تطورها خلال العهد العثماني	63-62
	التدرج الطبقي (الفئات الاجتماعية) للمجتمع الجزائري في العهد العثماني.....	72-67
	مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع خلال العهد العثماني: بين التعليم والنزواج.....	74-72
ثالثاً	الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني.	83-74
	لمحة عن الوضع الثقافي خلال القرنين الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر....	78-74
	المميزات الثقافية في القرون الثلاثة (السابع عشر - الثامن عشر - التاسع عشر)..	80-78
	العوامل المؤثرة على التعليم خلال العهد العثماني.....	83-80
الفصل الأول: المنشآت التعليمية الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني.		
أولاً	الكتاتيب القرآنية بالجزائر في العهد العثماني.	101-85
	تعريف الكتاتيب لغة واصطلاحاً.....	87-85

91-87	إسهامات السلطة العثمانية بالجزائر في ترسيخ منظومة الكتاتيب القرآنية....	
101-91	دور الكتاتيب القرآنية التعليمية والتثقيفي بالجزائر في العصر العثماني.....	
123-101	المسجد بالجزائر في العهد العثماني.	ثانياً
143-101	مفهوم المسجد لغة واصطلاحاً.....	
104-103	إسهامات العثمانيين في بناء المساجد و تطويرها.....	
118-109	أهم المساجد بالجزائر في العهد العثماني.....	
123-118	دور المسجد التعليمي والتثقيفي خلال العهد العثماني بالجزائر.....	
139-123	الزوايا و الأضرحة والرباطات بالجزائر في العصر العثماني	ثالثاً
130-123	الزوايا والأضرحة والرباطات: المفاهيم والنشأة ودورها التعليمي.....	
134-130	- أهم الزوايا والرباطات والأضرحة في الجزائر في العهد العثماني.....	
136-134	- إسهامات الدولة العثمانية في إنشاءها وتنظيمها.....	
139-136	-الدور التاريخي للزوايا والأضرحة و الرباطات.....	
139-136	- دور الزوايا والرباطات و الأضرحة في الجزائر في العهد العثماني.....	
154-139	المبحث الرابع : المعمرات في العهد العثماني.	رابعاً
147-139	-مفهوم المعمرات لغة واصطلاحاً.....	
149-147	-أنواع المعمرات بالجزائر في العهد العثماني.....	
154-149	-دور السلطة العثمانية في إنشاء المعمرات.....	
الفصل الثاني :المباني التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519 - 1830).		
168-156	-المدارس في الجزائر خلال العهد العثماني: مفهومها، أنواعها، ودورها التعليمي.....	أولاً
158-156	-تعريف المدارس لغة واصطلاحاً.....	
163-158	-دور السلطة العثمانية في تأسيس المدارس بالجزائر.....	

165-163	-أنواع المدارس في الجزائر العثمانية.....	
168-165	-أهم المدارس الجزائرية في العهد العثماني.....	
177-168	المكتبات بالجزائر في العهد العثماني.	ثانياً
170-168	مفهوم المكتبات لغة واصطلاحاً.....	
171-170	دور المكتبات وأثرها في حركة التعليم في االة الجزائر.....	
173-171	اهتمام السلطة العثمانية بالمكتبات.....	
177-173	أنواع المكتبات وأهمها بالجزائر في العهد العثماني.....	
181-177	الأندية المنزلية بالجزائر في العهد العثماني.	ثالثاً
179-177	مفهوم الأندية المنزلية لغة واصطلاحاً.....	
181-179	دور الأندية المنزلية بالجزائر في الحياة التعليمية خلال العهد العثماني.....	
الفصل الثالث :واقع التعليم بالجزائر في العهد العثماني(1519-1830م)		
199-183	السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني.	أولاً
186-183	أوضاع التعليم بالجزائر في العهد العثماني.....	
190-186	تدخل السلطة العثمانية في شؤون التعليم بالجزائر.....	
196-190	المعلمون في العهد العثماني بالجزائر.....	
199-196	التلاميذ في العهد العثماني بالجزائر.....	
216-199	المناهج التعليمية بالجزائر في العهد العثماني.	ثانياً

202-199	مناهج التعليم الابتدائي بالجزائر في العهد العثماني.....	
205-202	مناهج التعليم الثانوي بالجزائر في العهد العثماني.....	

207-205	المواد التعليمية بالجزائر في العهد العثماني.....	
209-207	حواجز التعليم وأهدافه بالجزائر في العهد العثماني.	ثالثاً
210-209	حواجز التعليم بالجزائر في العهد العثماني (الحافز الديني / الحافز الأسري)	
216-210	أهداف التعليم بالجزائر في العهد العثماني.....	
الفصل الرابع: العلماء والرحلات العلمية ودور الأوقاف في استمرار حركة التعليم ومراكزه في الجزائر العثمانية.		
225-214	مكانة العلماء ووظائفهم بالجزائر في العهد العثماني.	أولاً
216-214	مكانة العلماء بالجزائر في العصر العثماني (المكانة الإجتماعية - المكانة العلمية).....	
219-216	أهم العلماء البارزين	
225-219	وظائف العلماء بالجزائر في العهد العثماني.....	
236-225	الرحلات العلمية بين الجزائر وغيرها من البلدان في الفترة العثمانية.	ثانياً
226-225	مفهوم الرحلة العلمية.....	
233-226	أهداف الرحلات العلمية في العهد العثماني.....	
236-233	أشهر الرحلات العلمية في العهد العثماني.....	
349-236	دور الأوقاف في دعم المؤسسات التعليمية بالجزائر في العهد العثماني.	ثالثاً

239-236	مفهوم الوقف لغة واصطلاحاً.....	
240-239	أنواع الأوقاف في العهد العثماني.....	
243-240	أهم المؤسسات الوقفية بالجزائر في العهد العثماني.....	
259-243	دور الوقف في دعم الحياة التعليمية في الجزائر العثمانية.....	
264-259		الخاتمة
280-264		الملاحق
312-280		البيبلوغرافيا
329 -313		الفهارس
315-313		فهرس الأعلام
319-315		فهرس الأماكن
325-323		فهرس الجداول والأشكال
329-325		فهرس المحتويات
334-331		الملخص

المملخص

الملخص:

أولاً : باللغة العربية:

التعليم هو المحرك الأساسي للحركة الفكرية والعلمية إذ به تنتشر الثقافة بين أفراد المجتمع وبه تتطور العلوم وتزدهر وبه أيضا يحقق المجتمع التطور التاريخي والرقى الحضاري ، فأى مجتمع يريد التطور والتحضر عليه بتشجيع العلم وخوض غمار البحث فيه . وعلى الرغم مما يُعاب على الحياة الثقافية والعلمية في العهد العثماني من تقلص فكري و جمود عقلي ، وغياب الإبداع والأصالة والتجديد إلا أن المراكز التعليمية ظلت بمثابة القود الذي يضيء الطريق في ذلك العصر ، فبرزت المساجد العظيمة التي نافست دروسها ما كان يلقي بالجامع الأزهر بمصر والزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب الأقصى ، كما انتقل التعليم في تاريخ الجزائر العثمانية -بعدها كان محصوراً في الحواضر الكبرى (كجاية ، تلمسان ، قسنطينة ، الجزائر، وهران) - إلى الأرياف و المناطق النائية وهذا ما جعل الزائرين إلى الجزائر في الفترة العثمانية ينبهرون بها ، وهذا الأمر وقف عنده الفرنسيون في فترة الاحتلال حيث رأوا أن الأمية منعدمة تماماً وكان سكان الجزائر يجيدون الكتابة و القراءة و مبادئ الحساب الأولية والفضل في ذلك يرجع إلى مالهبة المراكز التعليمية من دور في نشر التعليم وتثقيف الفرد الجزائري : كالكتاتيب القرآنية ، والزوايا والرباطات ، وكذا المدارس والمعمرات والأندية المنزلية ، والمساجد ، والمكتبات في نشر التعليم رغم بساطته وعدم انفتاحه على ما شهدته أوروبا من ثورة صناعية و نهضة فكرية في شتى العلوم (الطب ، الفلك ، الفلسفة ، الرياضيات)، وكذلك دور الوقف في تسيير وتغذية هذه المراكز التعليمية ، وعلى الرغم من غياب مؤسسات حكومية حاضنة للتعليم انتشر العلم (خصوصاً التعليم الابتدائي) في المدن الكبرى و الأرياف و القرى وظهرت ثلة من العلماء الأجلاء اشتهروا بمصنفاتهم العلمية و الدينية القيمة التي انحصرت أغلبها في المجال الديني و الأدبي و هذا راجع إلى طبيعة التعليم في تلك الفترة الذي كان نتاج للفترات السابقة .

الكلمات المفتاحية: الجزائر ، الأندية المنزلية ، الكتاتيب القرآنية ، المراكز التعليمية ، المسجد ، التعليم ،

المؤسسات الثقافية ، الزوايا ودورها التعليمي

ثانياً: باللغة الفرنسية :

L'éducation est le moteur essentiel du mouvement intellectuel et scientifique, car elle permet la diffusion de la culture parmi les membres de la société, favorise le développement et l'essor des sciences, et contribue également au progrès historique et à l'élévation civilisationnelle. Toute société aspirant au développement et à la modernisation doit encourager la science et s'engager dans la recherche.

Bien que la vie culturelle et scientifique sous l'Empire ottoman ait été critiquée pour son rétrécissement intellectuel, sa stagnation mentale et l'absence de créativité, d'authenticité et de renouveau, les centres éducatifs ont néanmoins continué à jouer un rôle fondamental en éclairant le chemin du savoir à cette époque. De grandes mosquées se sont distinguées par l'excellence de leurs enseignements, rivalisant avec ceux dispensés à l'université d'Al-Azhar en Égypte, à la Zitouna en Tunisie et à l'université Al-Qarawiyyin au Maroc .

De plus, sous l'ère ottomane en Algérie, l'éducation, autrefois limitée aux grandes villes telles que Béjaïa, Tlemcen, Constantine, Alger et Oran, s'est progressivement étendue aux campagnes et aux régions reculées. Ce phénomène a suscité l'étonnement des visiteurs de l'époque ottomane, et plus tard, les autorités françaises, durant la période coloniale, ont constaté l'absence totale d'analphabétisme. La population algérienne maîtrisait la lecture, l'écriture et les principes fondamentaux du calcul, grâce au rôle déterminant joué par les centres éducatifs dans la diffusion du savoir et l'instruction des individus.

Ces centres comprenaient notamment les écoles coraniques (kouttaps), les zaouïas, les ribats, ainsi que les madrasas, les écoles, les clubs culturels et domestiques, les mosquées et les bibliothèques. Malgré la simplicité de l'enseignement et son manque d'ouverture sur la révolution industrielle et la renaissance intellectuelle en Europe dans divers domaines (médecine, astronomie, philosophie, mathématiques), l'éducation a continué à se propager. Le système du waqf (fondations pieuses) a également joué un rôle essentiel dans le financement et la gestion de ces institutions éducatives.

Bien qu'aucune structure gouvernementale ne supervisait l'éducation, le savoir – notamment l'enseignement primaire – s'est répandu dans les grandes villes, les campagnes et les villages. Une élite de savants éminents s'est distinguée par ses contributions intellectuelles et religieuses précieuses, bien que celles-ci aient été essentiellement centrées sur les sciences religieuses et littéraires, reflétant ainsi la nature de l'éducation de l'époque, héritée des périodes antérieures.

Mots-clés : Algérie, clubs culturels domestiques, écoles coraniques, centres éducatifs, mosquée, éducation, institutions culturelles, zaouïas et leur rôle éducatif.

ثالثاً : باللغة الإنجليزية:

Summary :

Education is the main engine of the intellectual and scientific movement, as it spreads culture among the members of society, science develops and flourishes, and society also achieves historical development and cultural advancement .any society wants to develop and urbanize by encouraging science and engaging in research in it. Despite the intellectual contraction and mental rigidity that plagued the cultural and scientific life in the Ottoman era, and the absence of creativity and originality, educational centers remained the fuel that lit the way in that era, so the great mosques that competed with their lessons highlighted what was being thrown at the Al-Azhar mosque in Egypt, Zaitouna in Tunisia and the qarawiyyin mosque in the far Maghreb, and education moved after it was confined to the major metropolises ((Bejaia, Tlemcen, Constantine, Algeria)) to rural and remote areas, and this visitors to Algeria during the Ottoman period are impressed by it, which is what the French stood for during the occupation period, as they saw that illiteracy was completely absent and the population of Algeria They are fluent in writing, reading and the principles of arithmetic . This is due to the role played by educational centers from the role of Quranic manuals, corners and ties, as well as schools, madrasas and home clubs in spreading education, despite its simplicity and lack of openness to the Industrial Revolution and intellectual renaissance in various sciences(Medicine,Astronomy,Philosophy,Mathematis) in Europe, and despite the absence of government institutions incubating Education, Science spread and a constellation of

eminent scientists appeared famous for their valuable works and a product of previous periods.

Key words : Algeria, ClubsHousehold , Al ,Katateeb Quranic, bookstores, education ,Mosque, Educational Centers, Cultural Institutions, al-zawia, Its educational role... .